

إعداد المركز العربي للدراسات الاستراتيجية
دور الجيش العراقي في حرب تشرين ١٩٧٣
مدونة أبو عبدو
أبو عبدو البغل

إعداد المركز العربي للدراسات الاستراتيجية

دور الجيش العراقي في حرب تشرين ١٩٧٣

المؤسسة العربية للدراسات والنشر
شارع سوريا - بناية صمدي وصالحة
ص.ب ٥٤٦٠ - تلفون ٣٥١١١٠
بيروت - لبنان

الطبعة الاولى

تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٥

مقدمة

تعتبر المشاركة العراقية في حرب تشريـــن الاول ١٩٧٣ حدثا مجيدا في تاريخ النضال العربي ومن المشاركات الفريدة التي شهدتها الحروب . فلقد تمت دون تخطيط مسبق على صعـــيد القتال او الشؤون الادارية ، ونفذت بشكل مفاجيء سريـــع ، وبمبادرة عراقية بحتة . وكان من المنتظر في مثل هذه الظروف ان تكون المشاركة رمزية او محدودة على الاقل ، ولكن العراق دفع الى ارض المعركة ثلاثة ارباع قواته الجوية المقاتلة ، وثلثي قواته المدرعة ، وخمس ما يملكه من وحدات المشاة ، وبدا يعد العدة لارسال المزيد من المشاة والدروع . وكان تركيزه عـــلى الاسراع بارسال الطيران والدبابات نابعا من رغبة القيـــادة السورية في الحصول على هذين السلاحين قبل اي شيء آخر ، وقدرة الطيران والدروع على التحرك الى حقل المعركة البعيدة بشكل آني .

وبالاضافة الى الحجم المادي الكبير للمشاركة العراقية ، فقد كان هناك عامل ثان يتعلق بجوهر العمل العسكري الـــذي يتأثر عادة بطبيعة التحالفات وشدتها . ومن الواضح ان العراق لم يدخل الحرب كبلد حليف ذي مصالح خاصة متطابقة مـــع المصالح العامة لمجمل حلفائه ، ويقاتل لتحقيق المصالح الخاصة من خلال تحقيق المصالح العامة ، ويوازن بين الجهد والربـــح ، ولا يقدم الى الحلف سوى الجهد الادنى مقابل الربـــح الاقصى . ولكنه دخل الحرب كدولة معنية مستعدة لتقديم كـــل شيء ، وتجاهل كل الاعتبارات وتحديدات العمل ، واسقاط الحسابات القطرية في سبيل تحقيق الهدف القومي العام . ولـــو لم يعتبر العراق نفسه طرفا معنيا لا طرفا حليفا فقط ، لما تمـــت حركة قواته بزخم وسرعة ، ولاختفت الطبيعة الصدامية التي اتسمت بها عملياتها .

والعامل الثالث الذي يميز المشاركة العراقية . هو ان القوة البرية ـ الجوية الكبيرة التي دخلت سورية . والتي كانت بحجم فيلق مدرع مدعوم باربعة اسراب طائرات مقاتلة . لم تشكل قيادة ميدانية مستقلة . بل وضعت نفسها تحت تصرف القيادة السورية مباشرة . بغية تسهيل عمل هذه القيادة. واعطائها قدرة على زج القوات في المعركة باسرع وقت ممكن . وهذه مسألة كبيرة الاهمية في ظروف حرب تشرين . ويمكن ان تسجل كمثل في التاريخ العسكري الذي يذكر القادة البريطانيين والبلجيكيين والهولنديين الذين عملوا بتعاون وثيق مع المارشال فوش خلال الحرب العالمية الاولى . وتصرفوا كحلفاء لهم حساباتهم الذاتية والعامة . ولكنه يميز الجنرال الاميركي بيرشينغ الذي وضع نفسه وقواته تحت تصرف فوش منذ وصوله الى البر الفرنسي .

ولم يكتف العراق بسل سلاحه العسكري . ولكنهاستخدم ايضا سلاحه الاقتصادي ضد اعداء الامة العربية والمشاركينفي نهبها . وقدم الشعب العراقي الى الشعب السوري النفط والمساعدات الاقتصادية والذخائر ودبابات التعويض . واعتبر ان ما يقدمه جزء من حق الشعب العربي السوري في ثروات الامة العربية ومن بينها ثروات العراق .

ورغم كل هذه الحقائق التي تؤكد ان العراق ذهب الى الحرب على اساس انها حربه ، لا حرب حلفائه ، وقدم كل ما يستطيع تقديمه في الظروف التي وضع فيها ، فان دور قواته المسلحة بقي مجهولا للقارىء الذي حدثته وسائل الاعلام العربي عن دور اللواء الاربعين الاردني اكثر من ان تحدثه عن دور تسعة الوية عراقية تعادل دباباتها سبعة اضعاف الدبابات الاردنية ، وتعادل مسافة انتقالها الى ساحة المعركة عشرة اضعاف مسافة انتقال اللواء الاردني . ولسنا نريد من هذه المقارنةالانتقاص منبطولةجنود وضباط اللواء الاربعين الاردني، ولكننا نريد التأكد على ان بعض وسائل الاعلام العربي حاولتان

تسرق من الجندي العراقي بطولاته ، وان تلقي الظلال على حقه في الاستشهاد دفاعا عن قضية العروبة كلها .

لهذا كان من الضروري وضع كتاب يكشف ملابسات المشاركة العسكرية العراقيه في حرب تشرين الاول ، وحجمها ، واهدافها ، والدوافع الكامنة وراءها . ويضع بين يدي الانسان العربي صورة لجانب من جوانب الحرب ، تجاهلته الكتابات العسكرية العربية رغم اهميته ، واعترف به المحللون العسكريون الغربيون ، والصهاينة انفسهم . وهذا ما دفعنا الى وضع كتاب استقينا معلوماته من شهادات عدد من القادة الذين صنعوا القرار السياسي التاريخي ، وضباط الاركان العراقيين الذين ساهموا في تخطيط العمليات ، وشهادات القيادات والمراتب الميدانية التي خاضت المعارك ببطولة ، فكتب لها شرف النصر دون أن يكتب لها شرف الشهادة .

ولقد حاولنا عند وضع هذا الكتاب الغوص الى كبد الحقيقة ، والوصول الى استنتاجات وعبر عملية ونظرية ، والسمو بالكلمة الى مستوى الحدث التاريخي. ويقيننا ان الكتابة عن الأعمال الخالدة تبقى دائما دون مستوى صناعة هذه الاعمال، وان تاريخ البطولات المسطر بالدم ابلغ من اي تاريخ مسطر بالمداد . وان مشاركة الجيش العراقي في حرب تشرين تستحق اكثر من هذا الكتاب ، تماما كما تستحق بطولات الجيشين المصري والسوري اكثر مما كتب عنها حتى الآن ، رغم غزارة ما كتب في هذا المجال .

وسيلاحظ القارىء من تتبع الاحداث في هذا الكتاب ، ان القيادتين السياسية والعسكرية في القطر العراقي ، وضعنا في موقف صعب جدا ،نظرا لان المخططين الاساسيين لحرب تشرين لم يطلعوهما مسبقا على نواياهم ، الامر الذي جعل القوات المسلحة العراقية تدخل الحرب وسط شروط غير ملائمة ، حرمتها من اظهار كل الامكانات والطاقات الكامنة فيها ، وجعلت دورها — رغم كبره — اصغر بكثير من الدور الذي كان بوسعها

ان تلعبه ، لو انها وضعت في شروط ملائمة كالشروط التي وضعت بها القوات المصرية والسورية ، خاصة وان فاعلية القوات المسلحة لا تتعلق فقط بقوتها وكفاءتها الذاتية ، ولكنها تتعلق ايضا ، والى حد كبير ، بالشروط المفروضة عليها خلال العمل . ويهمنا في هذا المجال التأكيد على ست نقاط :

اولا : ان الجيشين المصري والسوري والقوات العربية الملحقة بهما (١) ، قامت باستطلاع مسرح العمليات بشكل دقيق ، ونظمت تنفيذ المهمات المحددة مسبقا ، على حين دخل الجيش العراقي الحرب في سورية على ارض لم يستطلعها ، ونفذ واجباته من الحركة في معركة تصادمية تعتبر من اصعب اشكال الحرب واكثرها تعقيدا .

ثانيا : تمركزت القوات العربية في منطقة التحشد قبل الحرب ، ثم انطلقت منها لتنفيذ واجباتها مباشرة ، على حين قامت القوات العراقية بواجباتها بعد تنقل طويل تراوح بين ١٢٠٠ و ١٥٠٠ كيلو متر (حسب مكان تمركزها) .

ثالثا : كانت الشؤون الادارية للقوات العربية (الامداد ، التموين ، الاخلاء ... الخ) تتم ضمن عمق المهمة اليومية للقوات المدرعة . ولا تتطلب جهدا استثنائيا خاصا ، على حين كانت القوات العراقية المقاتلة في الجولان تؤمن معظم شؤونها الادارية عبر قصبة التنفس الاستراتيجية الطويلة (بغداد ـ دمشق) .

رابعا : عملت القوات المصرية والسورية والقوات العربية المعززة لها بسياق عمل واحد جرى التدريب عليه قبل الحرب ، بينما دخلت القوات العراقية الجوية والبرية المعركة بسياق عمل يختلف عن سياق عمل القوات السورية ، ويختلف عن سياق عمل اللواء الاردني الاربعين الذي يغطي جناحها الايسر .

---

١ ـ القوة المغربية في سورية ، وجيش التحرير الفلسطيني في مصر وسورية ، وكتيبة دبابات كويتية وجناح جوي عراقي في مصر

خامسا : لقد تم زج القوات البرية العراقية على الجبهة السورية الضيقة فقط . ولم يسمح لها باستخدام مجال عملها الواسع على الجبهة الاردنية العريضه ، الامر الذي حرمها من حرية العمل واختيار مكان الضربة ، وجعل ضربتها غير المباشرة الموجهة الى مجنبة جيب «سعسع» تأخذ طابعا تكتيكيا بدلا من الطابع الاستراتيجي الذي كانت الضربة غير المباشرة ستحققه لو انها توجهت الى « البطن الرخو » الاسرائيلي عبر الحدود الاردنية ــ الاسرائيلية .

سادسا : لقد اثرت ظروف دخول الجيش العراقي الى سورية على حركة القوات المدرعة العراقية وجعلتها تصل الى الجبهة تباعا . وفرضت ظروف المعركة زجها بالتقسيط (بالالوية) ، بدلا من زجها بكتلة ضاربة (فرقة او فيلق) ، وفق ابسط مبادىء قتال الدبابات في الحرب الحديثة . ولقد ادى زج الدبابات الاجباري بالتقسيط الى حرمانها من استغلال عامل الصدمة الى الحد الاقصى .

لهذا كله ، فان من الغبن القول بان ما جرى يمثل الدور الذي يمكن ان يلعبه الجيش العراقي في المعركة القومية . واذا اردنا ان نكون موضوعيين ، توجب علينا ان نقول بأن المنجزات الضخمة التي حققتها القوات المسلحة العراقية في حرب تشرين الاول ، هي المنجزات القصوى التي كان من الممكن تنفيذها في الظروف الحقيقية التي وضعت بها ، وضمن تحديدات الزمان والمكان التي فرضت عليها ، علما بأن هذه التحديدات فرضت هذه المرة من قبل الصديق لا من قبل العدو ــ كما هي العادة في الحروب. ومن هنا جاء كتابنا وصفا لما وقع ؛ لا لما كان من الممكن ان يقع . والفرق بين الحالتين كبير جدا ، وهو لا يدخل في اطار فن القتال ، بل يمس بشكل مباشر أعلى مراتب الاستراتيجية ، ويتناقض تناقضا جذريا مع مبدأ اساسي من مبادىء الحرب هو **مبدأ الحشد** الذي يكمن وراء كل الانتصارات العظيمة عبر العصور .

الفصل الاول
تناقض مقدمات الحرب الرابعة مع نتائجها

تشكل الحرب العربية ــ الاسرائيلية الرابعة (حرب تشرين الاول ١٩٧٣) حلقة في سلسلة الصراع العربي الطويل ضد الغزوة الصهيونية . ولقد بدا هذا الصراع منذ اول انتفاضة عربية فلسطينية ضد المهاجرين الصهاينة منذ اواخر القرن الماضي وسلطات الانتداب البريطاني بعد الحرب العالمية الاولى ، ولا يزال مستمرا حتى اليوم . ولا يمكن ان يتوقف قبل ان تتمكن الجماهير العربية من تدمير هذه الحملة الصليبية الجديدة التي فرضها الامبرياليون على المنطقة لتنفيذ سياساتهم القمعية فيها .

ولقد مر الصراع ضد الصهاينة بعدة مراحل ، كانت اولاها (١٩١١ ــ ١٩٤٧) فلسطينية الطابع ، جابه فيها الشعب الفلسطيني المدعوم بمساعدات عربية محدودة ، قوى متفوقة تمثلت في سلطات الانتداب ومنظمات المستوطنين المسلحة الارهابية . وفي حرب ١٩٤٨ تعرب الصراع الى حد ما ، واشتركت الجيوش العربية والقوى الثورية الفلسطينية في القتال ضد العصابات الارهابية التي تحولت الى جيش نظامي بفضل المساعدات الاقتصادية والعسكرية التي تم الحصول عليها من الدول الشرقية والغربية . ولكن عددا من العوامل السياسية منع العرب من حشد كل قواهم في المعركة . واستطاعت الدول الغربية التي كانت تسيطر على الدول العربية المستقلة حديثا ، توجيه الحرب وفق مخططاتها الاستعمارية . وادت هذه

الحرب والضغوط التي رافقتها الى ضياع جـــزء من فلسطين وخلق الكيان الصهيوني . وكانت حرب ١٩٤٨ والعمليات التــي تلتها عبارة عن صدام مسلح محلي بين قوتين خاضعتين سياسيا لتوجيهات المعسكر الاستعماري الذي يمون الطرفين المتنازعين، بنسب متفاوتة ، بالسلاح والمعدات الحربية ، ويفرض عليهمـــا العمليات الحربية التي تلائمه .

وفي العام ١٩٥٥ خرجت سوريامن حلقة التبعية العسكرية للغرب ، ومارست حقها في الدفاع عن النفس ، عندمـــا كسرت احتكار السلاح ، وعقدت مع التشيكيين اول صفقة سلاح بيــن العرب والكتلة الشرقية ، ثم تلتها مصر ، وبدأ الاستقطاب بيــن الكتلتين الشرقية والغربية في المنطقة العربية ، واخذ الصراع طابعا دوليا ، وغدا جزءا من الحرب الباردة التي كانت دائرة بين المعسكرين العملاقين . وفي هذا الظرف اندلعت حــرب ١٩٥٦ بين مصر منجهة والقوات البريطانية ــ الفرنسية ــ الاسرائيلية من جهة اخرى . ولم تشارك الدول العربية الاخرى في القتال . رغم ان دولتي سورية والاردن قامتا بتعبئة قواتهما المسلحة الى حد ما بغية المشاركة في الحرب . وكانت المشاركـــة العربية الوحيدة هي قيام السوريين بنسف انابيب ومحطات ضخ شركة نفط العراق I. P. C. مسددة بذلك ضربـــة اقتصاديــة لبريطانيا التي كانت تمتلك القسط الاكبر من هذه الشركة .

ولقد حاولت الولايات المتحدة بعد الحرب اخراج الصراع العربي ــ الاسرائيلي من دائرة الحرب الباردة بين المعسكريــن واعادته الى دائرة الصراع المحلي تحت سقف الامبرياليـــة . وكانت تعتقد ان نجاحها في هذا المجال سيحقق لها عدة مكاسب هي : ايقاف تغلغل النفوذ السوفياتي في شرقي البحــر الابيض المتوسط ، واحتلال مواقع فرنسا وبريطانيا في المنطقة ، والقيام بدور «عراب» النزاع العربي ــ الاسرائيلي ، الامر الذي يحول دون تفجره بشكل يهدد المصالح الاميركيـــة الاقتصاديـــة ــ السياسية المتنامية في المنطقة العربية . ولكن الولايات المتحدة التي ساهمت مع الاتحاد السوفياتي في الضغط على المعتديــن

الثلاث للانسحاب من سيناء وقطاع غزة وبور سعيد ، وحاولت بعد ذلك تهدئة المنطقة وتدجينها عن طريق استجرارها الى الاحلاف العسكرية ، اصطدمت بعقبة جادة تتمثل في عنف الدوافع الكامنة وراء الصراع العربي ـ الاسرائيلي ، ورغبة الجماهير العربية في تحرير الارض المحتلة ، واستحالة ردم هوة العداء بين اسرائيل والعرب . وعندما وصلت سياسة التسلل الاميركية الى طريق مسدود ، تبنت الولايات المتحدة الفكرة الاسرائيلية القائلة بان تهدئة المنطقة لا يمكن ان تتم الا عن طريق خلق « اسرائيل القوية » القادرة على فرض ارادتها السياسية على الدول المجاورة بشكل يعرقل تقدم هذه الدول ويمنع اتحادها ، ويجعل الدولة الصهيونية سدا امام تزايد النفوذ السوفياتي في الوطن العربي ، ويؤمن اجهاض حركة التحرير العربية ، التي اعطتها الوحدة السورية المصرية (شباط ١٩٥٨) واندلاع ثورة تموز ١٩٥٨ في العراق ، وانتصار الثورة الجزائرية (١٩٦٢) زخما جديدا .

وانطلاقا من هذه الفكرة زادت واشنطن اهتمامها بالوضع العسكري الاسرائيلي ، ولكي لا تتورط في تسليح اسرائيل بشكل يحرج العرب التقليديين المؤيدين لسياستها في المنطقة ، اوعزت الولايات المتحدة الى المانيا الغربية بتقديم المساعدة العسكرية ـ الاقتصادية الى الدولة الصهيونية ، تحت ستار تعويض اليهود عن جرائم النازية،كما سمحت لفرنسا وبريطانيا بتقديم الاسلحة والمعدات والمساعدات التكنولوجية لرفع مستوى الاستعداد الحربي « للدولة ـ المعسكر » . واعتقدت فرنسا ان بوسعها استعادة المواقع التي فقدتها في شرقي البحر الابيض المتوسط ومنافسة النفوذ الاميركي في المنطقة عن طريق التحالف مع اسرائيل . ولم تعارض الولايات المتحدة هذا التحالف الذي يسمح لاسرائيل ببناء قوة جوية متفوقة وخلق القاعدة التكنولوجية اللازمة لبناء صناعة نووية ، لانها كانت تعرف ان مراكز القوة السياسية في الدولة الصهيونية قد غيرت اتجاه اهتماماتها السياسية العليا ، واقتنعت بضرورة التخلي عن الاعتماد على الدول الاوروبية ، التي لم تصمد امام الضغط

الاميركي — السوفياتي خلال حرب ١٩٥٦ او بعدها ، والارتباط بالولايات المتحدة مباشرة . ولقد ادت السياسة الغربية ازاء اسرائيل الى تزايد حدة الاستقطاب الدولي في المنطقة ، وتزايد اعتماد الدول العربية الراديكالية على الاتحاد السوفياتي والكتلة الشرقية (١) .

ولقد اخذت مظاهر الاستقطاب الدولي بعد حرب ١٩٦٧ شكلا سياسيا حادا ، بالاضافة الى الشكل العسكري الذي تمثل بقيام السوفيات باعادة تسليح الجيشين المصري والسوري ، وتعزيز القوات المسلحة العراقية ، وقيام الولايات المتحدة باعباء تسليح اسرائيل مباشرة (صفقة دبابات «م—٦٠» في العام ١٩٧١ ، وتزويد اسرائيل بطائرات « سكايهوك » في العام ١٩٦٨ وبطائرات « فانتوم » في العام ١٩٦٩) . وكانت حرب الاستنزاف على قناة السويس (١٩٦٩ — ١٩٧٠) ذروة الاستقطاب العسكري، اذ كانت هذه الحرب ، في اعقد مراحلها، صراعا تكنولوجيا بين الصواريخ السوفياتية والطائرات الاميركية بما تحمله من قذائف متطورة واجهزة تشويش اليكترونية .

واستمر الاستقطاب في فترة اللاحرب واللاسلم (١٩٧٠— ١٩٧٣) ، رغم انهاء الرئيس انور السادات لمهمة الخبراء السوفيات في مصر (تموز ١٩٧٢) . ثم عاد ليأخذ شكلا حادا في حرب ١٩٧٣ التي لعب فيها الجسر الجوي الاميركي الى اسرائيل ، والجسران السوفياتيان الجوي والبحري الى مصر وسوريه دورا حاسما ، وسمح للطرفين المحليين المتحاربين

---

١ — كان احد الطرفين المحليين متمثلا باسرائيل ، بينما كان الطرف الاخر متمثلا بدول عربية راديكالية (مصر وسورية والعراق) . اما الاردن الذي لم يكن مرتبطا بالكتلة الشرقية فقد استجر الى الحرب لاعتقاد الملك حسين في ايار ١٩٦٧ بأن الحرب لن تندلع ، وبأن ازمة الملاحة في مضايق تيران ستحل سياسيا، وان من مصلحة نظامه اخذ موقف وطني لاكتساب الجماهير الفلسطينية التي كانت تشكل ٧٧٪ من سكان المملكة الاردنية ، و٨٨٪ من سكان الضفة الشرقية وحدها.

بمتابعة القتال بوتيرة عالية ، مع استخدام معدات واسلحة وقوة نارية لا تتناسب مع المستوى الصناعي او العلمي للدول المتحاربة . وفي يوم ٢٤ تشرين الاول وصل الاستقطاب الى اخطر ذراه عندما اعلن الرئيس الاميركي السابق ريتشارد نيكسون استنفار الاسلحة الاستراتيجية الاميركية في العالم ، بحجة أن السوفيات استنفروا قوات محمولة جوا (٤٠ الف جندي) واستعدوا لنقلها الى المنطقة لفرض وقف اطلاق النار على اسرائيل التي استغلت وقف اطلاق النار الذي نص عليه قرار مجلس الامن رقم ٣٣٨ وتاريخ ١٠/٢٢ ، وتابعت تقدمها نحو الجنوب بغية احتلال السويس واكمال تطويق الجيش المصري الثالث .

وبعد حرب ١٩٧٣ ، سادت في الاوساط الرسمية في مصر الفكرة القائلة بان الولايات المتحدة لا تقف ضد العرب والى جانب اسرائيل الا لان الدول العربية الراديكالية متحالفة مع السوفيات . وكانت هذه الفكرة قد ظهرت في مصر الى العلانية منذ وفاة الرئيس جمال عبد الناصر في العام ١٩٧٠ ، وغذت الدول العربية التقليدية (وخاصة السعودية) هذا الاتجاه الذي كان السبب الاول وراء انهاء مهمة الخبراء السوفيات في مصر لاكتساب اميركا واقناعها بضرورة الضغط على اسرائيل واجبارها على الانسحاب من الاراضي العربية المحتلة . ولكن الولايات المتحدة لم تقدم لمصر آنذاك ثمن هذا التصرف ، لانها كانت تعتقد بعجز العرب عن كسر حالة اللاسلم واللاحرب ، وترى ان استمرار هذه الحالة سيدعم « اسرائيل القوية » وسيرغم الدول العربية الراديكالية على الركوع بشكل يضمن المصالح الاميركية . بيد ان حرب ١٩٧٣ بدلت هذه القناعة وجعلت الاميركيين يواجهون الحقائق الجديدة التالية : ١ — ان « اسرائيل القوية » لا تستطيع ضمان التهدئة ، ٢ — ان جمود الموقف الناجم عن عدم انسحاب اسرائيل سيؤدي الى انفجار مسلح جديد ، ٣ — ان المعسكر العربي الراديكالي سيزداد اقترابا من السوفيات للحصول على السلاح اللازم للحرب الخامسة ، في الوقت الذي تضعف فيه مواقع اميركا داخل

المعسكر العربي التقليدي ،٤٠ – ان اية حرب عسكرية سترافقها بالضرورة حرب بترولية تهز اسس المجتمع الراسمالي، وتزيد حدة الخلافات بين اميركا وحلفائها الاوروبيين واليابانيين، ٥ – ان المجابهة المسلحة المحلية يمكن ان تتطور الى مجابهة شاملة مع السوفيات .

وانطلاقا من هذه القناعات ، واعتمادا على استعداد مصر لانهاء الاستقطاب الدولي في الصراع العربي – الاسرائيلي، بدات الولايات المتحدة تلعب لعبة « الطرف المحايد » الراغب في تحقيق السلام.، وبدا النظام المصري يلعب ورقة خلق الشرخ داخل المعسكر الامبريالي ، عن طريق تعميق التناقضات بين المصالح الاميركية والمصالح الاسرائيلية .

وتبني مصر سياستها على النقاط التالية : ١ – ان القاهرة مستعدة لانهاء الاستقطاب وابعاد السوفيات عن المنطقة اذا ما تم التوصل الى حل للازمة يتضمن انسحاب الاسرائيليين من الاراضي التي احتلوها في العام ١٩٦٧ واقامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية وغزة اللتين ستنسحب منهما اسرائيل، ٢ – ان مصالح الولايات المتحدة لا يمكن ان تتحقق الا عن طريق تهدئة المنطقة، ٣ – ان التهدئة مستحيلة قبل تحقيق الحل الشامل ؛ وبالتالي فان مصالح الولايات المتحدة مرتبطة بهذا الانسحاب، ٤ – ان مصالح اسرائيل الذاتية تتعارض مع الحل الشامل الذي سيجبرها على الانسحاب ، ويقزمها ، ويهدىء المنطقة بضمانات دولية ، ويحرم الدولة الصهيونية من دورها المتميز « كشرطي » قمعي وما يمثله هذا الدور من دعم اقتصادي – سياسي – عسكري اميركي، ٥ – ان تناقض المصالح الاميركية والاسرائيلية حول مفهوم التهدئة وبالتالي حول الانسحاب وحقوق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير ، سيؤدي الى شرخ في العلاقات الاميركية – الاسرائيلية ، رغم قوة الصهيونية داخل الكنغرس . ومن المحتمل ان تنجح السياسة المصرية في مجال شق معسكر العدو اذا مالت موازين القوى في واشنطن لصالح الادارة الاميركية لا لصالح الكنغرس.وفي هذه الحالة ، التي يحتاج الاقتناع بامكانية حصولها قسطا كبيرا من التفاؤل ، ستضغط الولايات المتحدة

على اسرائيل للانسحاب من الاراضي المحتلـــة (مع بعـــض التعديلات في الحدود) ، وستضمن الدول الكبرى حـدود دول المنطقة وسيادتها ، وستحتل قوات الامـم المتـحدة النـقاط الاستراتيجية في المناطق العربية المحـــررة ، وستخلق دولــة فلسطينية مستقلة او متحدة مع الضفة الشرقية ، وستخضـع القدس لادارة دولية ، وسيكون المعنى السياسي العملي لكـل ذلك ، اعتراف الدول العربية العملي ببقاء اسرائيل على جـزء مغتصب من الارض العربية ، والتخلـــي عن حق المطالبـــة بهذا الجزء ، مع تأمين مصالح الولايات المتحدة الاميركية فـــي المشرق العربي واضعاف حركة التحرر العربية بشكل عـــام، وعرقلة التحول الاشتراكي الذي بدأ في بعض الاقطار العربية ، والعودة الى محاولة الخروج من التخلف الاقتصادي ــ الاجتماعي وفق برامج « البورجوازية الرثة» (٢) التي لم تعط في العالـــم الثالث سوى « تطور رث » .

ومن المؤكد ان هذه النتائج السياسية التي قد لا يتم التوصل اليها الا بعد جهد طويل في مؤتمر جنيف وخارجـه ، لا تتناسب مطلقا مع النتائج الحقيقية لحرب ١٩٧٣ . وهي تمـثل تنازلات

---

٢ ــ لقد اشتق اندريه غوندر فرانك تعبير « البورجوازية الرثـــة » Lumpen Bourgeoisie من تعبير « البروليتاريا الرثة » المشهور ، وطرح في كتابه « البورجوازية الرثة والتطور الرث » الصادر في بيروت ١٩٧٢ ، الفرق الكبير بين البورجوازية الاوروبية التي حققت الثـــورة البورجوازية الرأسمالية في اوروبا ضد الانظمة الاقطاعية ــ الاستبدادية في نهاية القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر ولعبت دورها التقدمي انذاك عندما ساهمت في تطور اوروبا الاقتصادي والاجتماعي والثقافي ، وبورجوازية العالم الثالث (المتخلفة تنظيميا وايديولوجيا عن البورجوازية الاوروبية) التي رفضت اتباع السبيل الاشتراكي للخروج ببلدانها من التخلف الى التقـــدم ، وآثرت تطبيق برامج التطور البورجوازية ، التي ادت الى « تطور رث » تمثل في اثراء بعض الشرائح البورجوازية ، وافقار غالبية الشعب ، وربط الاقتصاد الوطني كله بعجلة الاحتكارات العالمية ، وجعل الدولة البورجوازية وسيطـــا كومبرادوريا بين الشعب والاحتكارات الاجنبية .

لو قبلت بها قبل حرب ١٩٦٧ القيادة الفعلية لحركة التحــــرر العربية (الرئيس جمال عبد الناصر وحـــزب البعث العربـــي الاشتراكي) ، لما وقعت حرب ١٩٦٧ ، ولما كانت هناك اراض عربية محتلة او قدس مغتصبة . ولكن القيـــادة الناصرية ـــ البعثية رفضت آنذاك الخضوع والمغريات ، ورات انه اذا كانت الظروف المحلية والدولية لا تسمح بالهجوم لتدمير الاسس المادية للقاعدة الصهيونية ، وبناء مجتمع ديمقراطي تحـرري متجاوب مع تطلعات العرب الى الوحدة والتقدم ، فان من الممكـــن اخذ مواقع الدفاع لمنع هذه الدولة العنصرية من التوسع او لعـــب الدور القمعي،والتمسك بموقف عدم الاعتراف بشرعية اغتصاب الاراضي المحتلة في العام ١٩٤٨ ، وانتظار تبدل الظروف العالمية والمحلية لتنفيذ مهمة التحرير التاريخية . واذا قارنا بين موقف القيادة الناصرية البعثية قبل العام ١٩٦٦ ، وموقف القـــيادات الحالية المعنية بالتسوية ، لوجدنا ان الموقف الاول كان منسـجما مع حقائق موازين القوى السائدة آنذاك ، بينما لا ينسجم الموقف الثاني مع الحقائق السياسية ـــ العسكرية التي اثبتتها حـــرب ١٩٧٣ .ولو ان مثل هذه التسوية تمت بعد هزيمة ١٩٦٧ مباشرة لوجدت من يبررها بالعجز العربـــــي ازاء العدو ، ولكـــــن وقوع التسوية بعد وعي الامة العربية بمكامن قوتها وملامـــس ضعف الخصم ، واستخدام مكامن القوة العربية بنجاح نسبـــي في حرب ١٩٧٣ ، يعني وجود تباين بين المقدمات والنتائج . واذا كانت المقدمات تتمثل في النجاح السياسي على الصعيد العالمي . وعزل اسرائيل دوليا ، واكتساب التأييد العالمي ، واستخدام القوة العربية العسكرية والاقتصادية والسياسيـــة ، وهـــز المجتمع الاسرائيلي بعنف ، فان النتائج المحتملة للتسوية المحتملة هي قبول الوجود الاسرائيلي المضمون كحقيقة واقعة ، وتامين المصالح الاميركية،مقابل استعادة الارض المحتلةفي العام ١٩٦٧ .

ولأظهار التباين الكبير بين التنازلات المطلوبة والنتائج المنتظرة لا بد لنا من القاء الضوء على العوامل الخمسةالواردة في النتائج، لتحديد ماهيتها الحقيقية ، دون الوقوع في فخ الالفاظ .

النتيجة الاولى : قبول الوجود الاسرائيلي

تطالب اسرائيل اليوم باعتراف عربي رسمي بوجودها ، وأقامة علاقات اقتصادية وسياسية مع جيرانها . ويرفض العرب المعنيون بالتسوية في الوقت الحاضر هذه المطالب التي لا يسمح بها جدار الدم الذي بنته اسرائيل خلال اكثر من ربع قرن. ويعتبرون ان المهمة الملحة الان هي تحقيق التسوية وانهاء حالة النزاع . ولقد صرح الرئيس انور السادات امام وفد من اتحاد اعضاء هيئة التدريس في كليات ولاية تكساس الاميركية، في ١٩٧٥/٦/٢ : « حين قبلنا قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ عام ١٩٦٧ ، اصبحت اسرائيل حقيقة واقعة . ولكن لا تطلبوا مني اقامة علاقات طبيعية مع اسرائيل . انني مستعد لابرام اتفاق سلام وانا ملتزم بذلك. ولكن من الطبيعي انه بعد ٢٧ سنة من الحروب والعداوة وسفك الدماء لا يمكن في لحظة واحدة ان تقوم علاقات طبيعية . ان اكبر انجاز هو ان تنتهي حالة الحرب بضمانات من الدول الكبرى او من اميركا وان نترك للاجيال المقبلة حرية التصرف » (٣) .

ومن المحتمل ان تتابع اسرائيل السعي لتحقيق مطالبها . ولكن الجماهير العربية ستبقى عاملا مؤثرا لمنع اي مواطن عربي من الانتحار بقبول مثل هذه المطالب . ان الحل المطروح يقضي بانهاء حالة الحرب مع اسرائيل ؛ وقبولها كحقيقة واقعة، والحصول على ضمانات دولية لحدود دول المنطقة التي لا ينتظر ان تكون متطابقة تماما مع حدود ٥ حزيران ١٩٦٧ . ولكن قبول الوجود الاسرائيلي ، ولو بشكل غير رسمي ، ووجود الضمانات الدولية - التي استعدت واشنطن وموسكو لتقديمها - يعنيان بالضرورة تخلي الدول العربية عن هدف استراتيجي اساسي (التحرير) ، كما يعنيان الاعتراف العملي بحق الاسرائيليين في احتلال حيفا ويافا وعكا وبئر السبع والقدس الجديدة ، وحقهم في اخضاع اكثر من ٣٠٠ الف فلسطيني لحكم عنصري

---

٣ ـ (ا.ش.ا.)، ١٩٧٥/٧/٢ ، نقلتها النهار ، ١٩٧٥/٦/٣

ثيوقراطي . وهناك فرق كبير على المستوى القومي بين وجود الاسرائيليين في كل الاراضي الفلسطينية وجزء من الاراضي العربية ، واخضاعهم اكثر من مليون عربي لحكمهم ، مع اصرار العرب على التحرير ، واعدادهم له سياسيا واقتصاديا وعسكريا ، ووجود الاسرائيليين على جزء من الاراضي الفلسطينية فقط واخضاعهم ٣٠٠ الف عربي ؛ مع التخلي عن مبدأ التحرير وعدم الاستعداد له(علما بأن الاستعداد يصبح بلا معنى ما دامت هناك ضمانات دولية ، وخاصة اذا كانت هذه الضمانات اميركية — سوفياتية). ويرجع هذا الاختلاف الى ان الموقف الاول يجسد التمسك بالحق الفلسطيني (وهو حق قومي بالنسبة الى العرب) ، مع السعي لانتزاعه ، بينما يجسد الموقف الثاني التخلي عن الحق الفلسطيني مقابل الحصول على جزء محدود من هذا الحق واستعادة الاراضي العربية المحتلة في حرب ١٩٦٧. واذا كان الموقف الاول قوميا في منطلقاته ، فالثاني قطري في جوهره .

ولا يمكن في هذا المجال طرح المسألة بالقول : ايهما نفضل بقاء الجولان وسيناء والضفة الغربية وقطاع غزة تحت الاحتلال الاسرائيلي ام تحريرهما ؟ لان بالامكان طرح السؤال بشكل آخر يقول : ايهما نفضل بقاء هذه المناطق والاراضي الفلسطينية المحتلة في العام ١٩٤٨ تحت الاحتلال مؤقتا ريثما يتم تحريرها بحرب عربية طويلة الامد ، ام التخلي عن الاراضي المحتلة في العام ١٩٤٨ في سبيل الحصول على جزء من الاراضي المحتلة في حرب ١٩٦٧ ؟ .

ان طرح السؤال الاول يفترض بالضرورة ان القسم المحتل في حرب ١٩٤٨ لا يمكن تحريره . وهذا افتراض غير صحيح ولا يتناسب مع حقائق منحنى تبدل موازين القوى المحلية والعالمية، ومع خبرات الشعوب النضالية بما فيها نضال الشعب العربي في مختلف اقطاره ضد الدول الاستعمارية . اما طرح السؤال الثاني فهو يفترض امكانية التحرير استنادا الى الحقائق المذكورة نفسها .ورغم ان السؤالين مطروحين حول مسألة واحدة، فهما مختلفان

من الناحية المبدئية . وجوهر المسألة هنا يتطلب اختيارا محددا بين موقف كيسلينغ وبيتان ، او موقف ديغول وتشرشل . ومن المؤكد ان الموقف الثاني يتطلب نضالا اطول وتضحيات اكبر ولكنه يتلاءم كل التلاؤم مع تطلعات الجماهير العربية وطموحاتها المشروعة . وهو المحك العملي والموضوعي لاية قيادة عربية طالما ان المبرر الاول لوجود القيادة ، هو تعبئة الجماهير واعدادها وقيادتها خلال النضال من اجل تحقيق الطموحات الجماهير المشروعة ، مهما طال النضال وكبرت التضحيات ،

النتيجة الثانية : المصالح الاميركية

ان الحديث عن التناقض بين المصالح الاميركية والمصالح الاسرائيلية لا ينفي الطابع الاستغلالي – القمعي لمصالح الأميركيين المتمثلة بالحفاظ على عملية النهب الامبريالي لثروات الوطن العربي، ولا يمكن الوصول عمليا الى تحقيق هذا الغرض الا عن طريق قمع حركة التحرر العربية وتدعيم المعسكر العربي التقليدي وتأمين سيطرته على الجماهير العربية وتدجينها ، لان استمرار قوة حركة التحرر العربية ، التي تشكل الانظمة العربية الراديكالية جزءا منها ، يعني عدم قدرة الاميركيين على ضمان استمرار مصالحهم .

ومن المؤكد ان عودة الروح الى المعسكر العربي التقليدي، وعودة سيطرة الانظمة التقليدية في الوطن العربي ، لن تؤديا الى تأمين مصالح الاميركيين الاقتصادية والسياسية فحسب . ولكنهما ستؤديان ايضا الى كبح جماح التيار الوحدوي، وحدوث تراجعات هامة على صعيد التحول الاشتراكي، الامر الذي يعني حرمان الامة العربية من قاعدتين اساسيتين من قواعد تطورها الاقتصادي – الاجتماعي : الوحدة والاشتراكية .

ومن المعروف تاريخيا ان عودة النظام التقليدي الى بلد من بلدان العالم الثالث التي سارت فترة من الزمن على طريق التحول الاشتراكي ، وارتباط هذا النظام بالمعسكر الامبريالي،

عبارة عن ردة معاكسة لمسيرة التطور التاريخي ، ولا يمكن لها النجاح الا في ظل نظام بوليسي قمعي يحطم التنظيمات الجماهيرية، ويغلق كافة النوافذ التي تحمل الى الجماهير نسمات الحرية (بمعناها الشعبي لا بمعناها البورجوازي الليبرالي) . ولذا فان عودة الانظمة التقليدية الى السيطرة على الوطن العربي سيرافقها بالضرورة فترة ارهاب تدمر مؤقتا القاعدة الثالثة للتطور : الحرية .

وهكذا نرى ان لتأمين المصالح الاميركية انعكاسات كبيرة لا تقتصر على حرمان العرب من ثرواتهم ، وحرمانهم بالتالي من راس المال المتراكم اللازم للتنمية والتطور ، ولكنها تمتد لتشمل العلاقات بين طبقات المجتمع العربي، وتوزيع الدخل العام في كل قطر وفي مجمل الاقطار ، والثقافة التقدمية المولودة حديثا ، والوعي بضرورة العمل السياسي ضمن اطر تنظيمية متقدمة . اي انها تعود بالوطن العربي الى مرحلة بداية الخمسينات، وتشطب من تاريخ النضال العربي ربع قرن من الزمن .

النتيجة الثالثة : استعادة الارض المحتلة في حرب ١٩٦٧

ان استعادة الارض المحتلة في حرب ١٩٦٧ ، مهمة بقدر ما تشكله من مدخل الى تحرير الارض المحتلة كلها . وعندما طرحت الدول العربية المعنية مسألة « ازالة آثار العدوان » بعد حرب ١٩٦٧ مباشرة ، اكدت المقاومة الفلسطينية التي كانت تطرح آنذاك شعار « تحرير كامل تراب الوطن » ان تحرير جزء من تراب الوطن لا يتعارض مع تحرير كامل تراب الوطن ، اذا لم يكن الهدف الاول على حساب الهدف الثاني ، اي اذا لم يكن ثمن تحرير الجزء (سلما ام حربا) هو التخلي عن الكل . ولقد اكدت المقاومة العربية الفلسطينية التي كانت في ذلك الوقت البندقية العربية الوحيدة المرفوعة في وجه الاحتلال ، ان اية خطوة يخطوها العرب يجب ان تكون مدخلا للتحرير ، وتكتيكا يخدم استراتيجية التحرير .

بيد أن التسوية المطروحة اليوم ، ترفع تكتيك « ازالة آثار العدوان » الى مستوى الاستراتيجيه ، لانها تحوله من هدف لمرحلة من مراحل الصراع العربي ـ الاسرائيلي ، الى هدف لمجمل الصراع العربي ـ الاسرائيلي ، وكأن هذا الاحتلال كان سبب النزاع لا نتيجة من نتائجه . ان « سبب النزاع » ، او « الهدف السياسي » للحرب المعلنة ضد الصهيونية منذ مطلع هذا القرن ، هو اقتلاع الوجود الصهيوني سواء كان هذا الوجود مستعمرات تحميها عصابات ارهابية ام دولة تحميها قوات مسلحة نظامية . ولقد سقط خلال هذه الحرب آلاف الشهداء ، ودمرت معدات واسلحة ومدن ، واحتل العدو الاسرائيلي اجزاء من الارض . ولكن هذه الخسائر كلها تبقى في اطار نتائج الصراع لا اسبابه . والامة العربية على استعداد لتقديم اضعاف هذه التضحيات في سبيل انتزاع حقها الطبيعي في ارضها وفي تحقيق وحدتها وتقدمها وتحررها . وبما ان الوجود الصهيوني يشكل اكبر انتهاك لجميع هذه الحقوق والاهداف فان من الطبيعي ان يكون النضال ضده هدفا رئيسيا للنضال العربي .

النتيجة الرابعة : الغاء الاستقطاب الدولي

يدخل الغاء الاستقطاب الدولي في مجال عدم الانحياز . ولقد كان من الممكن اعتباره هدفا قابلا للمناقشة لو ان الاستقطاب والارتباط العربي ـ السوفياتي كانا عملا تكتيكيا ، او ان الغاء الاستقطاب ، وفك الارتباط مع السوفيات ، سيؤديان حتما الى انهاء الدعم الاميركي لاسرائيل ، واعادة الصراع من مستواه الدولي الى مستواه المحلي . ولكن الارتباط مع السوفيات عبارة عن ارتباط استراتيجي بالنسبة الى اقطار عربية متعددة كما اعلن زعماء هذه الاقطار اكثر من مرة ، كما ان الاستقطاب لم يات بشكل عفوي ، بل جاء من ان الدول الاستعمارية ساعدت على خلق الدولة الصهيونية ، ثم زودتها بوسائل البقاء والمنعة وجعلتها اداة لتنفيذ سياساتها في المنطقه .

وليس هناك ما يدل على ان الغاء الاستقطاب الدولي سيدفع الدول الاستعمارية الى التخلي عن اسرائيل ، لان

دعمها لها لم يبدأ بعد كسر احتكار السلاح في العام ١٩٥٥ ،ولكنه بدأ منذ ان وجدت الفكرة الصهيونية ، واخذ شكلا عنيفا قبل ان يقيم العرب علاقات متينة مع المعسكر الشرقي ، وعندما كانت الدول العربية معادية للسوفيات ، وخاضعة لتوجيهات السياسة الغربية او لتهديداتها . ولو كانت العلاقات العربية — السوفييتية سبب الاستقطاب والدعم الاوروبي — الاميركي لاسرائيل ، لما قامت بريطانيا بتقديم الدعم السياسي—العسكري الصهاينة خلال نضال الشعب الفلسطيني ضد المستوطنين في مرحلة (١٩١١ — ١٩٤٧) ، ولما حصلت اسرائيل في حرب ١٩٤٨ على دعم واسع رسخ جذورها، ولما قدمت الدول الغربية لاسرائيل في فترة (١٩٤٨ — ١٩٥٥) دعما ساعدها على البقاء. ومن هنا جاء الاستنتاج بأن تحالف اسرائيل مع المعسكر الامبريالي المعادي لحركات التحرر تحالف عضوي واستراتيجي، وبالتالي فان تحالف العرب مع المعسكر الاشتراكي الداعم لحركات التحرر لا بد ان يكون استراتيجيا طويل الامد .

النتيجة الخامسة : حصول الشعب الفلسطيني على حق في تقرير المصير

ان الشعب الفلسطيني ، كما لكل شعب في العالم ، حقه المشروع في تقرير مصيره واختيار النظام الاقتصادي — الاجتماعي الذي يؤمن تطلعاته . ولقد حرم الفلسطينيون من هذا الحق منذ العام ١٩٤٨ حتى اليوم ، اذ اخضع قسم منه لسلطات الاحتلال الاسرائيلي (الاراضي المحتلة في حرب ١٩٤٨) ، وبقي القسم القاطن في قطاع غزة ، من سكان غزة واللاجئين الى القطاع ، تحت الادارة المصرية ، واستطاع الملك عبد الله ، ملك الاردن آنذاك ، بدعم من البريطانيين ، وبعد صراع سياسي طويل داخل جامعة الدول العربية ، فرض سلطته على سكان الضفة الغربية .

وعندما قويت شوكة المقاومة الفلسطينية ، كان هدفها المعلن تحرير الارض والانسان ، اي استعادة الارض المغتصبة وفتح المجال امام الشعب الفلسطيني لممارسة حق تقرير المصير

علـى ارضـه . ثم تطور الطرح عندما رفعت المقاومـة شـعار المجتمع الديمقراطي في فلسطين ضمن اطار تطلعات الامة العربية للوحدة والتقدم . ولكن هذا الشعار لم يكن يتنافى مع التحريـر وتقرير المصير، لان المجتمع الديمقراطي لا يمكن ان يتحقق الا بعد تدمير التكوين الصهيوني العنصري المسيطر علـى الاراضي المحتلة .

واذا نظرنا الى التسوية المقترحة ــ اذا نجحت ــ وجدنا ان ستؤمن للفلسطينيين حق بناء دولتهم وتقرير مصيرهم وطبيعة علاقاتهم مع الجوار ، على جزء محدود من الارض الفلسطينية . الامر الذي يسقط من الحساب مبدأ التحرير ، كما يسقط الى حد ما مبدأ حق تقرير المصير . ويرجع السبب في هذا الحكم الـى النقاط التالية :

١ ــ ان الدولة الفلسطينية المنتظرة ستكون مضطرة لقبـول سيادة اسرائيل على الاراضي التي ستبقى فيها ، خاصة وان هذه السيادة ستكون مضمونة من الشرق والغرب. واذا كانت التسوية تفترض اساسا انهاء حالة النزاع في الشرق الاوسط ، فانها تفترض بالتالي انهاء حالة النزاع بين الفلسطينيين والاسرائيليين .

٢ ــ ان من المتعذر اعتبار الدولة الفلسطينية قاعدة انطـلاق للتحرير، كما تقول الاوساط المؤيدة لاقامة نظام فلسطيني على اي جزء يتم انسحاب الاسرائيليين منه . لان قاعدة الانطلاق لا يمكن ان تكون فلسطينية ، ولا بد ان تكون عربيـة . فاذا كانت الدول العربية المحيطة باسرائيل موافقة على انهاء حالة النزاع ، فـان فلسطينيي الدولة الجديدة سيكونون مضطرين بالتالي لانهائها ، وعندها تفقد الدولة صفة قاعدة الانطلاق . واذا قرر الفلسطينيون عدم انهاء حالة النزاع ومتابعته بوسائلهم الخاصة ، تحول النزاع من نزاع عربي ــ اسرائيلي ، الى نزاع فلسطينـي ــ اسرائيلي . وهنا لابد لنا من التأكيد على ان الوزن الاقتصادي

والبشري ، وبالتالي العسكري ، للدولة الفلسطينية وحدها - لا يسمح لها بمجابهة الوزن الاقتصادي والبشري الاسرائيلي - ولا يسمح لها بالتالي ان تكون قاعدة انطلاق للتحرير .

ويعتمد انصار فكرة قاعدة الانطلاق على نتائج التجربتين الجزائرية والفيتنامية الجنوبية - ويقولون بأن ميزان القوى كان مائلا لصالح العدو . ومع هذا استطاعت الجزائر وفيتنام الجنوبية خلق قاعدة الانطلاق ومتابعة النضال التحريري. والحقيقة ان قاعدة الانطلاق في الجزائر وفيتنام الجنوبية لم تكن معزولة عن جيرانها أو عن العالم . فلقد كان للجزائر عمق عربي ودولي ، وكان لفيتنام الجنوبية عمق فيتنامي شمالي وصيني — سوفياتي . ولم تكن الدول المجاورة للجزائر وفيتنام الجنوبية،ولا الدول العظمى ، ضامنة لوجود دول المنطقة وسلامة اراضيها . لذا فان المقارنة هنا بين الدولة الفلسطينية المحددة بالتسوية من جهة والجزائر وفيتنام الجنوبية من جهة اخرى لا تستند الى الحقائق الموضوعية في الحالتين .

٣ — ان عملية الانطلاق من القاعدة من اجل التحرير ، تتطلب قبل كل شيء اعداد القوة المسلحة التى تحتاج ٣ عوامل اساسية هي : التعبئة والتنظيم السياسيين ، والبناء الاقتصادى ، والبناء العسكرى . وقد تستطيع الدولة الفلسطينية ممارسة التعبئة والتنظيم الى حد ما ، لانها رغم استقلاليتها ستكون محكومة بالمناخ التقليدي العام الذي سيسود المنطقة بعد التسوية كما راينا من قبل . وقد تستطيع هذه الدولة السير خطوات واسعة على طريق البناء الاقتصادي ، رغم تخلفها الاولى اقتصاديا ، وذلك بفضل جهودها الذاتية الخلاقة ومساندة العرب الاغنياء المالية التي لا تستطيع بنود التسوية منعها نظرا لطابعها السلمي . ولكن بناء القوة المسلحة سيصطدم

بالضمانات الشرقية ـ الغربية لامن المنطقة ، ووقوف الدول الصناعية القادرة على تزويد الدولة الجديدة بسلاح متطور يجابه سلاح اسرائيل ؛ موقفا سلبيا من مسألة تسليح الفلسطينيين ، لان هذا التسليح يتنافى مع متطلبات التهدئة . وما دامت الصناعة الحربية الفلسطينية او حتى العربية عاجزة في المستقبل المنظور عن تقديم السلاح المتطور اللازم للمجابهة التقليدية ،فان القوات المسلحة للدولة الجديدة ستكون عاجزة عن القيام بالتحرير . والبديل الوحيد للحرب التقليدية هو حرب التحرير الشعبية . ولكن مثل هذه الحرب لا يمكن ان تكون فلسطينية ، ولا بد ان تكون عربية الجوهر والاداة والمجال . فاذا كان العرب ملتزمين بانهاء حالة العداء، فقدت مقولة حرب التحرير الشعبية الفلسطينية البحتة مقومات نجاحها ؛ وفقدت قاعدة الانطلاق بالتالى صفتها كقاعدة انطلاق .

٤ ـ ان الشعب الفلسطيني كل لا يتجزأ ، وحقه في تقرير مصيره حق متكامل . واذا كانت الدولة الفلسطينية ستضمن حق تقرير المصير لسكان الضفة الغربية وقطاع غزة وجزء من اللاجئين الفلسطينيين الذين تركوا البلاد بعد حربي ١٩٤٨ و١٩٦٧ وسيعودون اليها بعد التحرير ، فانها لن تضمن حق تقرير المصير لسكان الاراضي المحتلة في العام ١٩٤٨ ولا لسكان القدس الشرقية التي ستؤدي التسوية في احسن الحالات، اذا ما نجح مشروع فورد ، الى تدويلها ، كما انها لن تضمن حق تقرير المصير لسكان المناطق التي ستضم الى اسرائيل وفق مبدأ تعديل حدود ١٩٦٧ الذي يتمسك به الاميركيون ، ولا للاجئين الفلسطينيين الذين ستتعذر عودتهم الى الدولة بسبب ضيق مساحة الدولة الجديدة، وقلة امكاناتها الاقتصادية ، وضعف قدرتها على استيعاب كافة الفلسطينيين الراغبين في العودة .

ومن هنا نرى ان حق تقرير المصير الذي تلوح به التسوية

امام الفلسطينيين هو حق موهوم ومجتزا ، وان الدولة الجديدة لا يمكن ان تكون قاعدة انطلاق للتحرير ، لان الضمانات الدولية وانهاء حالة النزاع من قبل عرب دول الطوق ، سيضع السلطة التي ستقام على ارض هذه الدولة امام تحديدات عمل جدية .

* * *

ان تحليل العناصر السلبية والايجابية للتسوية المطروحة يكشف المعنى الحقيقي لهذه العناصر ، ويحدد الاخطار الكامنة وراء الكلمات الضخمة ، ويؤكد على ان التسوية تتعارض الى حد بعيد مع المصالح القومية ، وان كانت تؤمن الى حد ما عددا من المصالح القطرية . الامر الذي يبرهن بشكل لا يدع مجالا للشك ان التسوية المطروحة لا تتناسب مع النتائج الظاهرة والخفية لحرب ١٩٧٣، ولا تتطابق مع الحقائق التي كتبها الجنود العرب بدمائهم في سيناء والجولان وقمم جبل الشيخ . والقبول بهذه التسوية بعد حرب ١٩٧٣ المجيدة ، يعني من الناحية المنطقية ، ان السياسة استطاعت اجهاض منجزات الجماهير العربية والجندي العربي وافرغتها من محتواها ، او ان القوات المسلحة العربية لم تحقق اية منجزات . ولكن جموع شعبنا والجنود الذين خاضوا المعركة بكل ضراوتها ، وحققوا معجزات لا يرقى اليها الشك ، وانتزعوا انتصارات لم تحققها القوات المسلحة العربية منذ معركة حطين ، يعرفون تماما اين تكمن الحقيقة .

الفصل الثاني

القرار السياسي بدخول الحرب

كانت الولايات المتحدة بعد حرب ١٩٦٧ تخشى ان يؤدي احتلال اسرائيل لمزيد من الاراضي العربية ، الى افتقاد المنطقة استقرارها بشكل يهدد المصالح الاميركية العليا المبنية على التهدئة واعادة الاستقرار في ظل التفوق العسكري الاسرائيلي. ولم تكن التهدئة في الحقيقة هدفا في حد ذاتها ، ولكنها كانت المناخ اللازم لتحقيق المصالح التي تحدثنا عنها في الفصل السابق . وكانت واشنطن ترى ان انسحاب اسرائيل من بعض الاراضي العربية المحتلة ، وايجاد صيغة لاعطاء الشعب الفلسطيني بعض حقوقه من خلال النظام الاردني « سيؤديان الى التهدئة ، وسيحققان بالتالي المصالح الحيوية الاميركية . وهذا ما جعل جهود البيت الابيض السياسية تتجه في البداية نحو اقناع اسرائيل بضرورة ترك بعض المناطق المحتلة ، وتخفيف حدة موقفها ازاء الفلسطينيين بغية استيعابهم .

ولقد وجدت اسرائيل ان هذا التوجه الاميركي يتعارض مع استراتيجيتها ، ويصطدم بشكل مباشر مع رغباتها في الاحتفاظ بالاراضي المحتلة وتحقيق حلم الصهيونية التوسعي . ولكنها لم تكن ترغب في الصدام مع الولايات المتحدة . وللخروج من هذا الموقف المتناقض ، والاحتفاظ بالاراضي دون الاحتكاك مع واشنطن ، لجأ حكام تل ابيب الى الاستمرار في الحديث عن السلام، مع طرح شروط استفزازية وتعجيزية لايمكن للعرب قبولها. واقناع الولايات المتحدة ، بان العرب يقفون عقبة امام التهدئة ،

ويمثلون بالتالي خطرا على مصالح اميركا . وان الحل الوحيد للتهدئة هو خلق « اسرائيل القوية » القادرة على ردع العرب ومنعهم من خرق الاستقرار ، و « ان اسرائيل كدولة كبرى اقليمية .... هي احدى الضمانات الهامة للاستقرار ، وهي الشرط الاول للمحافظة على الاستمرار في تزويد البترول » (١).

وهكذا سارت سياسة اسرائيل على خط مزدوج ذي وجهين انتقده افرايم اورباخ أستاذ الدراسات اليهودية في الجامعة العبرية بقوله : «لقد اعلنا حقا حتى العام ١٩٦٧ على الاقل ، في فترات مختلفة ، رغبتنا في السلام . الا ان اعمالنا وكل الاجراءات التي اتخذناها لم تكن متناسقة مع التصريحات . لذا كبرت الهوة بين الاعلانات والتصريحات من جهة ، والممارسات اليومية من جهة اخرى . ولم نستغل دائما كل الامكانات والمناسبات » (٢) .

واقتنعت الادارة الاميركية — المناهضة للامة العربية ، والخاضعة للمنطق الامبريالي وللنفوذ الصهيوني، والمستعدة في الاصل لتقبل المنطق المعادي للشعوب بوجهة النظر الاسرائيلية ، واتجهت نحو خلق «اسرائيل القوية» التي تأخذ على عاتقها مهمة تهدئة المنطقة وتريح الولايات المتحدة المتورطة في حرب فيتنام من التدخل اليومي المباشر في امور الشرق الاوسط. وزاد من قناعتها توقف حرب الاستنزاف على جبهة القناة في تموز ١٩٧٠ ، وقيام النظام الاردني بضرب المقاومة الفلسطينية في ايلول من العام نفسه ، وجمود الجبهات العربية الاساسية ، والتقت المصالح العليا الاميركية مع المصلحة الصهيونية التوسعية ، وبدأت مرحلة طويلة من « اللاسلم واللاحرب » ، تحت مظلة الردع العسكري الاسرائيلي .

وكانت اسرائيل تود استمرار هذه الحالة اطول فترة ممكنة ، والبدء بالضم الزاحف ، وتدجين سكان المناطق المحتلة من اجل خلق حقائق جديدة يعتاد عليها العالم ويتقبلها العرب كأمر

---

١ — شنفايتسر ، هارتس ، ١٩٧٢/٨/٢٤

٢ — افرايم اورباخ ، معاريف ، ١٩٧٢/١١/٢٢

واقع ؛ حتى يتحول « الوضع الراهن المفروض » الى « وضع معترف به » بشكل رسمي او ضمني على الاقل (٣) . ولقد اعتقد الاسرائيليون بصحة المفهوم السياسي الذي صاغه الثلاثي « مائير — دايان — غاليلي » بناء على المعطيات التالية :

١ — لقد خسر العرب في حرب ١٩٤٨ بعض الاراضي ولم يسلموا بالهزيمة ، ولكنهم اعتادوا العيش معها . ثم خسروا في حرب ١٩٦٧ اراضي جديدة ، ولم يسلموا بالهزيمة ، ولكنهم سيعتادون العيش معها .

٢ — ان التهدئة مطلب اميركي . ولكنها تلقى في الوقت نفسه تأييد السوفيات الذين لا يودون اندلاع حرب تجبرهم على مجابهة الولايات المتحدة في هذه المنطقة . كما تلقى تأييد اوروبا الراغبة في وصول النفط الى موانئها بانتظام .

٣ — ان قوة الصهيونية في الولايات المتحدة عامل فعال في منع الادارة الاميركية من الضغط على اسرائيل . وهي في الوقت نفسه عامل مساعد الحصول على المساعدات الاميركية (الاقتصادية والعسكرية) .

٤ — ان الولايات المتحدة بحاجة الى اسرائيل في سبيل منع التغلغل السوفياتي في المنطقة ؛ و « يرى الاميركيون في

---

٣ — هاجم البروفسور يعقوب تلمون (بعد حرب ١٩٧٣ طبعا) المفهوم السياسي الاسرائيلي بقوله : « هل كان الناطقون باسمنا متبجحين عميانا وجهلة ؟ كلا . لقد ارادوا من العالم ان يمنحنا مهلة ويصرف نظره عنا ، ويسمح لنا بخلق الحقائق ، وبوضع العرب والولايات المتحدة والعالم امام حقائق جديدة .... وكلما كانت الرغبة في الضم تزداد ، كان علينا ان نؤمن اكثر فاكثر بانه لا خطر من الخارج . وكلما استمرت الهدنة ، برزت احتمالات الضم . اضف الى ذلك ان الاستيطان والضم صورا بانهما ادوات لتدعيم الامن ، وبمفهوم معين ، بديل الحرب وضمانة ضدها » (هارتس ١٩٧٣/١١/٣٠) .

اسرائيل وما ترمز اليه في اسلوب حياتها، حاجزا في وجه الاتحاد السوفياتي والشيوعية » (٤).

٥ — ان الانظمة العربية تعيش معضلاتها الداخلية وصراعاتها الاقليمية ، وتحس امام العسكرية الاسرائيلية منذ حرب ١٩٦٧ بعقدة نقص مخيفة تمنعها من التفكير الجدي في شن الحرب وكسر حالة الجمود .

٦ — ان المقاومة الفلسطينية قد فقدت الكثير من فاعليتها بعد ضربتي ايلول ١٩٧٠ وتموز ١٩٧١ ، في الاردن ، ولم تعد قادرة على تبديل حالة الاستقرار القسري التي تعيشها المنطقة .

٧ — ان خطة سياسية — اجتماعية مدروسة بدقة ، قادرة على احتواء سكان المناطق المحتلة وتدجينهم ، بعد تيئيسهم وربطهم بعجلة الاقتصاد الاستهلاكي الاسرائيلي .

٨ — ان القوة هي السبيل الوحيد للتفاهم مع العرب . وان تقديم اية تنازلات سيشجعهم على طلب المزيد ، وسيدعم العناصر الراديكالية بينهم .

٩ — ان التخلف العلمي والتكنولوجي والاجتماعي الذي تعيشه الامة العربية ، سيجعل اسرائيل متقدمة في هذا المجال ، وسيجعل القوات المسلحة الاسرائيلية دائما اقوى من القوات المسلحة العربية (٥).

■ — اسحاق رابين ، معاريف ، ١٩٧٢/١/١٤

■ — في العام ١٩٧١ قدر البروفسور ارنست برغمان ، رئيس لجنة الطاقة الذرية الاسرائيلية « ان العرب متاخرون عن اسرائيل في العلم والتكنولوجيا مئة سنة » (دافار ، ١١ /٤/١٩٧١) .

ومن رحم المفهوم السياسي الاسرائيلي ومعطياته المغلوطة خرج المفهوم الامني الاسرائيلي المغلوط، والمبني على : الحدود الآمنة ، وتناسق الردع والعمل ، والاعتماد على الاستخبارات لتحقيق هامش الزمان ، والافادة من المناطق المحتلة لتوسيع هامش المناورة في المكان ، والمناورة على الخطوط الداخلية ، والضربة الاجهاضية المسبقة ، ونقل الحرب الى ارض الخصم ، والاعتماد على القوى النظامية المحدودة للصد والقوى الاحتياطية الكبيرة للرد .

وامام هذا التحدي الكبير للامة العربية كان على هذه الامة ان تجد حلا في مستوى التحدي . ولم يكن هذا الحل سوى تجسيد قومية المعركة بشكل عملي ، عن طريق تعبئة طاقات الامة كلها ، وزجها في ميدان المعركة الطويلة الرامية الى تدمير الصهيونية العنصرية الاستعمارية ، وتحرير الارض العربية ، والوقوف بصلابة امام الولايات المتحدة ، وتهديد مصالحها ، وضرب هذه المصالح عند اللزوم ، حتى لو ادى ذلك الى صدام مباشر مع « الثور الاميركي » . ولكن مثل هذا الحل الذي بدا على صعيد الطرح منطقيا ومعقولا ، رغم ما يحمل في طياته من تضحيات جسام ، كان يصطدم على صعيد التطبيق بعقبات عملية كبيرة اهمها **انعدام وحدة ارادة الصراع العربية** ، الناجم عن عدة اسباب هي :

اولا، التباين في التقييم السياسي لمعسكر العدو ومعسكر الصديق : فلقد كانت الانظمة العربية التقليدية تنظر الى الولايات المتحدة كصديق ، وتتعامل معها على هذا الاساس رغم ما تقدمه لاسرائيل من دعم على مختلف المستويات . وتعتبر الاتحاد السوفياتي عدوا ايديولوجيا خطيرا لا بد من محاربته ، رغم ما يقدمه للامة العربية من مساعدات عسكرية واقتصادية،ورغم مواقفه السياسية المؤيدة ـ بشكل عام وبما ينسجم مع استراتيجيته العالمية ـ لقضايا التحرر العربي . في حين كانت الانظمة الراديكالية تضع السوفيات في معسكر الاصدقاء والولايات المتحدة في معسكر الاعداء . ومن هنا

جاء خلل التحالفات العربية اللازمة للتحرير . ففي الوقت الذي كانت به اسرائيل تتصرف بشكل منسجم مع سياستها ، وتعتبر نفسها جزءا من المعسكر الامبريالي ، وتقف من الاتحاد السوفياتي موقفا عدائيا . كان جزء من المعسكر العربي يتحالف من السوفيات (تحالفا تكتيكيا او استراتيجيا) ،ويعادي الولايات المتحدة (عداء صداميا او غير صدامي) ، بينما كان جزء آخر من هذا المعسكر يعادي الاصدقاء السوفيات ويتحالف مع الولايات المتحدة التي تضعها طبيعتها وتصرفاتها المؤيدة لاسرائيل في معسكر العدو .

ثانيا ، التباين داخل الدول الراديكالية في تحديد اسلوب التعامل مع العدو والصديق : فلقد كانت هناك دول ترى ان تخفيف العداء الإميركي لقضايا الامة العربية لا يأتي عن طريق العنف ، بل عن طريق تامين مصالح الولايات المتحدة ، بغية اقناعها بعدم جدوى اعتمادها على اسرائيل لتأمين هذه المصالح . في حين كانت دول اخرى ترى ان شق التحالف الاميركي ـ الاسرائيلي المبني اساسا على المصالح ، لا يمكن ان يتم عن طريق التقرب من واشنطن ، بل عن طريق تهديد مصالحها بشكل يخلق التناقض بين الحليفين ، ويساعد على تفتيت معسكر الخصم .

اما بالنسبة الى معسكر الصديق ، فقد كانت هناك دول ترى ضرورة التقارب من السوفيات تكتيكيا ، بغية المساومة فيما بعد على هذا التقارب ، مقابل تعديلات تدخلها الولايات المتحدة على موقفها من الصراع العربي الاسرائيلي ، في حين كانت هناك دول تعتبر الاتحاد السوفياتي حليفا استراتيجيا لحركات التحرر العالمية ، ومن بينها حركة التحرر الوطني العربية ، وترى في تقاربها مع السوفيات وسيلة للضغط على الاميركيين لا وسيلة لجذبهم .

ثالثا : التباين في فهم حجم التاثيرات العالمية : كانت كافة اطراف المعسكر العربي تؤمن بأهمية الراي العام

العالمي والتأثيرات العالمية على الصراع العربي ـ الاسرائيلي. وخاصة فيما يتعلق بتوسيع المعركة ضد الكيان الصهيوني حتى تشمل الارض المحتلة في العام ١٩٤٨ . ولكن بعض الانظمة العربية كانت تنظر الى هذا العامل نظرة جمودية وتؤمن باهميته وتأثيراته القاهرة على الوضع الذاتي من جانب واحد . وتحاول ملاءمة الذاتي مع الموضوعي ، في حين ان انظمة اخرى كانت تؤمن بأن العلاقة بين الذاتي والموضوعي في هذا المجال علاقة متبادلة . فكما يضغط الوضع الدولي والرأي العام العالمي على طبيعة الصراع في الشرق الاوسط ، فأن تنامي القوة الذاتية عن طريق جمع الطاقات العربية وتوحيدها وتوجيهها نحو التحرير ، سيدخل تبديلا نوعيا وكميا على العامل الذاتي ، ويجعل هذا العامل قادرا على التأثير بفاعلية على العامل الموضوعي ، لانه سيضع العدو امام قوة يحسب حسابها ، كما سيضع الصديق امام قوة تستحق الاحترام والمساندة والمعاملة على اساس الند للند . وكانت هذه الانظمة ترى ان العالم الذي لا يوافق الآن على تسديد ضربات لاسرائيل داخل الاراضي المغتصبة في العام ١٩٤٨ ، غير مستعد لدخول معركة مع العرب اذا سددوا هذه الضربات لاسرائيل ، خاصة اذا تم ذلك خلال حرب تبدأ باسم تحرير الاراضي المحتلة في العام ١٩٦٧ ، ولا تقف بالضرورة عند حدود هدنة ١٩٤٩ .

رابعا ، تباين هدف النزاع بالنسبة الى الانظمة العربية:
ويرجع هذا التباين الى الوضع الجغرافي لكل بلد ، ومدى حقيقة قناعة كل نظام بأن الخطر الصهيوني هو خطر فعلي وجاد على الامة العربية جمعاء ، وحجم الضمانات التي تقدمها الامبريالية الاميركية لهذا النظام او ذاك ، ومدى الضغط الداخلي على النظام نحو هدف تحرير الاراضي المحتلة .

ولقد حاولت الدبلوماسية الاميركية اللعب على هذا التباين في سبيل منع الصراع العربي ـ الاسرائيلي من استقطاب الدول العربية كلها . كما حاولت اسرائيل استخدام الوسيلة نفسها عن طريق التشدد امام مسألة الانسحاب من الجولان ، والتساهل الى حد ما بالنسبة الى الانسحاب من

بعض المناطق في سيناء، بغية خلق التناقض بين النظامين السوري والمصري . وكانت اسرائيل تعلن موقفا حازما بالنسبة الى الفلسطينيين (وخاصة منظمة التحرير) وتبدي استعدادا للتساهل والتفاوض مع الملك حسين على مستقبل الضفة الغربية ضمن اطار مشروع آلون ، بغية تعميق التناقض بين النظام الاردني والفلسطينيين .

خامسا ، التطور غير المتماثل لاقطار الوطن العربي :
كانت التجزئة (ولا تزال) السبب الاول لضعف المعسكر العربي ، وكان تجاوز هذا الضعف يتطلب السير خطوات حثيثة نحو الوحدة . بيد ان العوامل الدافعة نحو الوحدة (وحدة التاريخ والمصير والاصل واللغة والتقاليد) كانت تصطدم بعدة عوامل اهمها : مصالح البنيات القومية القطرية التي لا يمكن تأمينها الا عن طريق تكريس التجزئة ، والتطور غير المتماثل لاقطار الوطن العربي اقتصاديا وثقافيا واجتماعيا .

واذا كان بوسع الجماهير العربية الواعية ان تضغط على البنيات الفوقية لاجبارها على التخلي عن مصالحها التي لم تنم الا في ظل القطرية ، ودفع هذه البنيات نحو اشكال متطورة من التضامن فالتوحيد ، فان الجماهير نفسها تصبح ، في ظل فقدان التنظيم الثوري الشعبي الطليعي الواعي ، عامل ضغط عكسي اذا كان وعيها القومي ضبابيا ، وكانت مصالحها الذاتية المؤقتة تتضرر من الغاء التجزئة . لانها تعتبر توجه اي قطر عربي فقير او غير متطور نحو الوحدة مع قطر عربي غني او متطور نسبيا ، توجها مصلحيا ، وتنظر اليه بعين الريبة والحذر . وتعتبر توجه اي قطر عربي غني او متطور نسبيا نحو الوحدة مع قطر عربي فقير او غير متطور ، توجها استغلاليا ، مسقطة بذلك الخلفية القومية للتوجه الوحدوي .

وكانت السلطة الثورية في العراق واضحة بالنسبة الى كل هذه المسائل . فهي تعتبر المعسكر الاشتراكي معسكرا صديقا ، وترفع العلاقة معه الى مستوى التحالف ، وتعتبر المعسكر الامبريالي معسكرا معاديا ، وترفع العداء معه الى

المستوى الصدامي . وترى ان شق المعسكر الامبريالـــي ـــ الصهيوني لا يتم عن طريق تأمين مصالح الامبرياليين بل عـــن تهديدها . وتؤمن بأن القوة الذاتية قادرة على تبديل الظـــرف الموضوعي . وكان وعيها العميق للعلاقة المتبادلة بين الامـــن القومي والامن القطري ، وايمانها بأن الخطر الصهيوني على اقطار الامة العربية واحد مهما كانت هذه الاقطار بعيدة عـــن بؤرة الصدام ، يدفعانها الى اعتبار الدفاع عن القطر السوري او اية ارض عربية ، دفاعا عن العـــــراق ، وان المشاركة العراقية في تدمير القوة الصهيونية وبناء القوة العربية ستؤدي الى بعث أمة عربية قوية لا تســتطيع القوى المعادية تهديـــــد جناحها الشرقي .

ولم تكن ثروة العراق وتطوره في تلك الفترة مماثليـــــن لما هما عليه اليوم (٦) ، ولكن قيادته كانت تؤمن بقومية المعركة وبأن تباين التطور والثروة لا يمكن ان يقف حجر عثرة امـــــام المسيرة الوحدوية ، اذا كان الحكام في القطر الغني يفكـــرون بأفق قومي ، ويعرفون ان قوة نظامهم مستمدة من بعده القومي في التفكير والنهج ، وان الانعزال سيجعلهم ضعفاء حتى لـــو كانوا اغنياء ومتطورين بالنسبة الى اقطار عربية اخرى .

---

٦ ـــ يبين الجدول التالي تبدل الدخل القومي عبر ثلاث سنوات :

العام	الدخل القومي العام (مليار دولار)	معدل الدخل الفردي السنوي (دولار)
١٩٧١	٢،٦٦	٣٧٥
١٩٧٢	٢،٥	٣٤٥
١٩٧٣	٥	٤٦٥

وعلى اساس هذه المنطلقات الفكرية ، بنى النظام العراقي موقفه من الصراع العربي — الاسرائيلي . فرفض الاعتراف بقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ (١٩٦٧/١١/٢٢) ورأى انه يقزم الصراع العربي — الاسرائيلي ، ويحوله من صراع يدور حول ارض عربية مغتصبة بين الغزاة واصحاب الحق الشرعيين ، الى صراع يدور حول الاراضي المحتلة في ١٩٦٧ اي صراع حدود بين دول مستقلة تعترف بوجود بعضها البعض . ويعتبر ان اعادة هذه الاراضي او بعضها هو الثمن الذي ينبغي على اسرائيل ان تدفعه مقابل الاعتراف الرسمي بالاغتصاب الاول الذي تم في العام ١٩٤٨ ، عن طريق انهاء حالة الحرب، واحترام السيادة والحدود الاقليمية والاستقلال السياسي لكل دول المنطقة (بما فيها اسرائيل) وحقها في ان تعيش في نطاق حدود آمنة ومعترف بها محمية من استعمال القوة والتهديد بها (٧) . وهذا يعني التخلي عن الاصل في سبيل الحصول على الفرع . علما بأن الاراضي المحتلة في العام ١٩٦٧ لم تكن اصل النزاع بل نتيجة فرعية من نتائجه، وان اصل النزاع هو العدوان الصهيوني على الشعب الفلسطيني ، وتشريده من ارضه ، ومنعه بالقوة من العودة اليها .

واعتبرت القيادة في العراق ان تحرير الاراضي الفلسطينية هو الهدف القومي الذي لا ينبغي اسقاطه من اجل هدف قطري . وان تحرير القنطرة والعريش ونابلس يفقد قدسيته اذا كان الثمن هو التخلي عن حيفا ويافا وعكا للاسرائيليين . وان طبيعة العدو وتحالفاته تجعل تحقيق الهدف القومي بحاجة لجهد قومي مشترك طويل الامد وفي جميع المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية . ولقد بدات القيادة العراقية تحركها على هذا الاساس . فاعدت مشروعاً لعرضه على مؤتمرالقمه الثلاثي المقرر عقده في

٧ — ان نص قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ مرفق مع الملاحق (ملحق رقم ١) .

طرابلس (تموز ١٩٧٠) بين الرئيس احمـــد حسن البكـر والرئيس الراحل جمال عبد الناصر والرئيس معمر القـذافي ، وكان هذا المشروع يؤكد على ضرورة جعل ميدان المعركة ميدانا قوميا ، والعمل لتحرير جميع الاراضي المحتلة بما فيها ارض فلسطين العربية ، وان الظروف الدولية لا تستطيع ايقاف هذا التحرير اذا كانت هناك قيادة واحدة تملك حريـــة التخطيط وحرية العمل في الميدان . وقبل انعقاد المؤتمـــر قدم وزير الخارجية الاميركية وليام روجرز مشروعه برسالة وجهها الى وزير الخارجية المصري محمود رياض في ١٩٧٠/٦/١٩ (٨) .

وتمت اولى جلسات مؤتمر القمة قبل اعلان موافقة مصر على المبادرة الاميركية،وطرح الرئيس البكر المشروع الوحدوي التحريري العراقي . ولكن هذا المشروع فقد امكانات تطبيقه عندما وافقت مصر والاردن على المبادرة الاميركية . واضطـر العراق الى سحب قوات صلاح الدين من الاراضي الاردنيـة حتى لا يكون طرفا في مثل هذه التسويات خاصة بعد الغـــاء الجبهة الشرقية ، وتقسيمها الى جبهتين شمالية وشرقيـــة ، وعدم موافقة العراق على الغاء الجبهة الشرقية .

ولم يلق المشروع العراقي موافقة الحكومة السوفياتيـــة التي اعتبرته غير عملي . فكان رد الحكومة العراقية مطالبة السوفيات بطرح تصور بديل ، ومتابعة السعي لاقناع الزعماء العرب بمشروعها . ولقد وجد البعض آنذاك ان سياســـة العراق متشددة وغير واقعية ولا تتمتع بالمرونة الكافية . ولكن القيادة العراقية كانت تعتبر التشدد في مجابهة الاستعمـــار « واقعية الى امام » (٩) ، وان الراي العام العالمي واقعـي يعرف مصالحه ولا يقف الا معها ، وانه سينظر بواقعية الـى

---

٨ ـ ان نص مشروع روجرز مرفق مع الملاحق (ملحق رقم ٢) .

٩ ـ اوجز نائب رئيس مجلس قيادة الثورة في العراق السيد صدام حسين الموقف العراقي من الصراع العربي ـ الاسرائيلي خلال حديث معه بقوله : « نحن واقعيون الى امام ».

اي انجاز عربي في فلسطين ، خاصة اذا كان وراء هذا الانجاز قوة عسكرية واقتصادية كبيرة.

وفي آذار ١٩٧٢ قام نائب رئيس مجلس قيادة الثورة في العراق السيد صدام حسين بزيارة لدمشق والقاهرة . وعرض مشروع وحدة مقاتلة مستندا الى المنطلقات القومية التحررية لحزب البعث العربي الاشتراكي . وكان محور هذا المشروع تحرير فلسطين . وكان رد فعل القيادة السورية انها عممت على الاعضاء الحزبيين نشرة معادية للمشروع . ولم يتقبل المصريون هذا المشروع ، واعتبروه غير عملي . ولقد فوجيء السيد صدام حسين بالموقف المصري عندما سأل نائب رئيس الجمهورية المصرية حينذاك محمود فوزي : « هل ستقيمون سلما حقيقيا مع اسرائيل » ، فأجابه فوزي:« نعم » (١٠) .

وفي كانون الثاني ١٩٧٣ عرض الوفد العراقي امامجلس وزراء الخارجية والدفاع العرب ، مشروعا اقتصاديا ــ سياسيا ذا نتائج عسكرية . وكان المشروع يتعلق باستخدام البترول كسلاح لايجاد الارضية السياسية والنفسية اللازمة للحرب . وكانت وجهة نظر العراق تتلخص في ضرورة اعداد الجماهير العربية عنطريق تأميم الحصص الاميركية في شركات النفط ، وتهديد الدول الغربيه بالتاميم وقطع النفط اذا ما وقفت هذه الدول الى جانب العدو الصهيوني . ولم يلق هذاالمشروع اذنا عربية صاغية .

وبالاضافة الى هذه المشاريع والمحاولات الرسمية . فقد قام العراق باتصالات مستمرة لاستقطاب الدول العربية حول مشروع تحريري وحدوي متكامل ، يحدث تبدلا نوعيا في القوة العربية ، ويخلق قاعدة مادية ومعنوية يمكن الانطلاق منها نحو التحرير . وفي الوقت نفسه كانت مصر وسورية

١٠ ــ من الحديث المذكور انفا مع صدام حسين نائب رئيس مجلس قيادة الثورة في العراق .

تعدان العدة لحرب تشرين الاول : مستبعدتين العراق عن خططهما . وكان التصور العام المصري — السوري : ان مصر ستجتاز القناة بقوة هجومية وتدمر قسما من القوات المسلحة المعادية ، ثم تقف على الضفة الشرقية للقناة وتفرض على العدو حرب استنزاف متحركة ، في الوقت الذي يقوم به السوريون بهجوم يحررون به هضبة الجولان ، ويدمرون قوات العدو المتمركزة فيها ، ويقفون دفاعيا عند حدود نهر الاردن لصد هجمات العدو المعاكسة . ويذكر كتاب « حرب رمضان » (الذي قدم له الرئيس انور السادات) هدف الحرب بقوله : « كان على القيادة العامة المصرية ان تخطط للقيام بعملية هجومية استراتيجية مشتركة ، تنفذ بالتعاون مع القوات السورية ، وتقوم فيها مصر بالاقتحام المدبر لقناة السويس وتدمير خط بارليف ، والاستيلاء على رؤوس كباري (رؤوس جسور) بعمق ١٠ — ١٥ كيلو مترا على الضفة الشرقيةللقناة وتكبيد العدو اكبر خسارة ممكنة ، وصد وتدمير هجمات وضربات العدو المضادة ، والاستعداد لتنفيذ اية مهام تالية اخرىتكلفبها فيما بعد.اما سوريةفتشن الهجوموتخترقدفاعات العدو بالجولان وتجزيء تجمعه ، وتدمر قواته الى الخط — نهر الاردن ، الشاطيء الشرقي لبحيرة طبرية — »(١١) .

وكان من المنتظر بعد ذلك ان يتدخل مجلس الامن لايقاف القتال، بعد ان تخلق القوات العربية حقائق جديدة تعيد الازمة الى بؤرة الاهتمام العالمي ، وتجبر اسرائيل على تطبيق قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ . ولما كان العراق غير موافق على هذا الهدف الاستراتيجي للحرب ، ولا يعتبر تطبيق قرار مجلس الامن في الاساس صالحا لتسوية النزاع ، فقد حجبت القيادتان المصرية والسورية عن القيادة السياسية

---

١١ — اللواء حسن البدري واخرون :« حرب رمضان ، الشركة المتحدة للنشر والتوزيع : القاهرة ، ١٩٧٤ ص ٣٤ .

العراقية جميع المعلومات الخاصة بالاعداد للمعركة (١٢) .

ولقد اعتقد المصريون والسوريون ان ظروف العراق لن تسمح له بالمشاركة في القتال . لان وجود التهديد الايراني على حدوده الشرقية . وعدم استقرار الحل السلمي للمسالة الكردية، سيمنعانه من تحريك القوات الى الجبهة . وبالاضافة الى ذلك ، فان مدة انجاز الواجب من قبل القوات السورية ستكون قصيرة الى الحد الذي يجعل اية قوة يدفعها العراق الى الجبهة (رغم ظروفه المذكورة) ستصل بعد وقف القتال ، أو بعد تصفية القوات المعادية في الجولان على الاقل . ويتعذر عليها تقديم مساهمة عملية في النصر ، الامر الذي سيضعف موقف النظام العراقي ويعرضه لانتقادات الجماهير العربية التي تقيم اي موقف بمقدار ما يقدمه الى قضية التحرير .

ويبدو ان عددا من العوامل كان وراء استبعاد العراق اهمها ضغط النظام السعودي الذي كان يربط مساعدته لمصر وسورية بعزل العراق ، والغاء المعاهدة السوفياتية ــ المصرية ، ويؤكد على ضرورة اجراء مصالحة مصرية ــ سورية ــ اردنية (١٣) .

ومن المؤكد ان القيادة العراقية كانت تنتظر وقوع عمل عسكري في المنطقة ، دون ان تستطيع تحديد حجمه أو توقيته. وكانت التقديرات الاولويه تشير الى ان هذا العمل سيقع في

---

١٢ ــ حجبت المعلومات عن الرئيس معمر القذافي للسبب نفسه . وفي مساء ٧/١٠ اعلن الرئيس القذافي في خطاب القاه بمناسبة ذكرى انسحاب القوات الايطالية من ليبيا ، بانه لم يكن موافقا على خطة المعركة التي اعدتها مصر وسورية ، ولكن اندلاع القتال يجعله امام اختيار واحد هو تحمل مسؤولية ، والقبول بشكل مسبق لنتيجة هذه المعركة ، سواء لصالح العرب ام لا (لوبيان لوجور ١٩٧٣/١٠/٨) .

١٣ ــ تمت هذه المصالحة بالفعل في مؤتمر القمة الثلاثي الذي عقد بين مصر وسورية والاردن في ايلول ١٩٧٣ .

ايار او حزيران . وسيكون محدودا في المدى وحجم القوات المشتركة فيه .

وفي السادس من تشرين الاول ، وبعد اندلاع القتال بعدة ساعات ، عقد اجتماع مشترك في بغداد للقيادتين القومية والقطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي ومجلس قيادة الثورة . وكانت الروحية السائدة خلال الاجتماع هي « ضرورة المساهمة في الواجب المقدس » . ولم يمض على بدء الاجتماع ساعة واحدة حتى كان المجتمعون قد قيموا الموقف من كل جوانبه السياسية والعسكرية ، واتخذوا قرارا بالاشتراك في المعركة بعدة اوجه من ضمنها ارسال سرب جوي مقاتل الى سورية . وكان تقييم القيادة العراقية منذ البداية ان القيادتين المصرية والسوريه قد خططتا لحرب محدودة في سبيل التوصل الى تسوية سلمية ، وان من المحتمل ان لا يقبل العدو هذا التحديد ، وان يصعد الصراع الى « عتبة » اعلى ، ويجمع قواته الاحتياطية ، ويقوم بهجوم يؤدي الى احتلال اراض عربية جديدة تساعده على المساومة خلال بحث التسوية السلمية (١٤) .

ورغم ان تقييم القيادة السياسية في العراق لطبيعة الحرب وهدفها كان يؤكد اختلاف هذا الهدف عن الهدف الذي يخطط العراق لتحقيقه ، فقد قررت القيادة المشاركة الفعلية في الحرب . ويرجع السبب في ذلك الى العوامل التالية :

١ ــ الايمان المطلق بأن على القوات المسلحة العراقية ان تكون حيثما يكون هناك قتال ضد اعداء الامة العربية . خاصة وان الجماهير تعتبر هذا القتال معركة ضد العدو الغاصب ، وتنتظر من العراق ان يساهم فيها بالمستوى الذي يتناسب مع مبادئه وشعاراته ومسؤولياته القومية .

---

١٤ ــ من تعليمات قيادة قطر العراق ، حزب البعث العربي الاشتراكي بتاريخ ١٩٧٣/١٠/٦ .

٢ ــ ان الدور الطليعي الذي تلعبه السلطة الثورية في العراق يفرض عليها المشاركة في القتال لفضح الاتجاهات المساومة ، وبغير هذه المشاركة تفقد السلطة الثورية قدرتها على توجيه الجماهير وتعبئتها ، وتترك هذه المهمه بيد المساومين .

٣ ــ لقد اندلعت الحرب ولم يعد من الممكن ايقافها . وستكون نتيجتها (في حالة الربح او الخسارة) اجراء تسوية سلمية لا يوافق العراق عليها . ولكن التنازلات العربية ستكون اقل حجما اذا كان الجانب العربي منتصرا او غير مهزوم على الاقل ، ولذا فان من الضروري المشاركة باكبر قوة لمنع العدو من تحقيق انتصار يساعده على ان يفرض على الامة تنازلات اكبر .

٤ ــ ان وصول قوات عراقية الى سورية بزخم كبير ، ومشاركتها في القتال بفاعلية ، سيخلقان في سورية حالة ثورية تقوي اتجاه التشدد ، وتجعلها قادرة على الضغط في سبيل استمرار القتال الى مدى ابعد من الحدود المخططة للحرب . خاصة وان عملية كبيرة من هذا النوع تحمل في داخلها احتمالات عرضية بالغة الاهمية ، يمكن الافادة منها لتوجيه المعركة اتجاها نضاليا جذريا نحو حرب التحرير الشعبية .

٥ ــ ان المشاركة تحبط المخططات الرامية الى عزل العراق واظهاره بمظهر المتخاذل . وتحرم اعداء السلطة الثورية من امكانية مهاجمتها او التعريض بها .

٦ ــ ان اخوة السلاح التي تنمو تحت النار تخلق نوعا من الوحدة العفوية العملية بين المحاربين ، وتهيء المناخ الملائم للتوجه الوحدوي في المستقبل .

وما ان اتخذ قرار المشاركة حتى اتصل الرئيس احمد حسن البكر بالرئيسين انور السادات وحافظ الاسد هاتفيا واعلمهما ان العراق قرر اشراك جزء من طيرانه في المعركة الى جانب سورية ، وان القوات الجوية العراقية مستعدة لتلبية كل طلبات جناح « الهوكر هنتر » الموجود في مصر منذ ٦ نيسان

١٩٧٢ ، فأعرب الرئيسان المصري والسوري عن ارتياحهما وشكرهما . وصدرت الاوامر الى سلاح الطيران . وبدأت آلة القوة الضاربة الجوية بالدوران .

وفي الليلة نفسها استدعى وزير الخارجية العراقي القائم بالاعمال السوري والقائم بالاعمال المصري في بغداد ، وابلغهما قرار القيادة السياسية ، وطلب اليهما اطلاع العراق على تقدير الموقف والتطورات المحتملة .

وفي ليلة ٦ — ٧ وضعت القوات البرية في حالة انذار ، وصدر الى قائد لواء المشاة الميكانيكي الثامن امرا بالحركة نحو الحدود السورية في صباح ١٠/٧ . والحقيقة انه كان في هذا التدبير استباق للحوادث ، لان قرار دخول القوات البرية الذي بحث في اجتماع ١٠/٦ لم يبت الا في اجتماع صباح ١٠/٧ . وكانت الغاية من تحريك لواء المشاة الميكانيكي الثامن (المتمركز على طريق بغداد — دمشق) نحو الحدود السورية ، هو تقريبه من هذه الحدود ريثما يتخذ قرار دخوله الى سورية ، وريثما توافق سورية على ذلك . ولقد اتخذت القيادة السياسية في اجتماع يوم ١٠/٧ اربعة قرارات هامة هي :

اولا — تأميم حصة امريكا في شركة نفط البصرة ، واعتبار ذلك شرارة المعركة السياسية النفطية ضد الامبريالية الاميركية وفقا لتصورات الحزب والثورة حول استخدام النفط كسلاح في المعركة القومية .

ثانيا — ارسال مزيد من القوات الجوية على عجل الى الجبهة الشمالية .

ثالثا — ارسال اكبر ما يمكن من القطعات العسكرية البرية العراقية الضاربة الى الجبهة الشمالية وعلى الفور .

رابعا ــ اعادة العلاقات الدبلوماسية مع ايران ، ودعوتها الى حل المشاكل بين العراق وبينها بالطرق السلمية ، وعن طريق المفاوضات،لتأمين جبهة العراق الشرقية .

وفي يوم ١٠/٧ صدر بيان مجلس قيادة الثورة حول اعادة العلاقات الدبلوماسية مع ايران (١٥) .وقد صيغ هذا البيان بشكل طمان ايران وفتح الباب امام التفاوض حول المشكلات القائمة بين البلدين الاسلاميين الجارين ، وامام ارسال وفد عراقي الى طهران واستقبال وفد ايراني في بغداد. وكانت الغاية من هذه المبادرة العراقية،المأخوذة على مستوى الأستراتيجية العليا ، تخفيف حدة التوتر على الحدود الشرقية بغية نقل الجزء الاكبر من القوات المنتشرة عليها الى سورية فورا . وصدر في اليوم نفسه قرار مجلس قيادة الثورة بتأميم حصة اميركا من شركة نفط البصرة (١٦) . وبين هذا القرار الارتباط الوثيق بين المصالح الامبريالية وقوة العدو الصهيوني، واكد على ضرورة استخدام الاسلحة العربية الفعالة في الصراع وفي مقدمتها سلاح النفط باعتباره سلاحا استراتيجيا فعالا في شل قدرة العدو الامبريالي والصهيوني (١٧) .

وفي صباح ١٠/٧ ، وعندما كانت كتائب لواء المشاة الميكانيكي الثامن تتحرك باتجاه الحدود السورية ارسلت الحكومة العراقية الى الحكومة السورية (عن طريق السفير العراقي في دمشق) برقية تعلمها فيها عن قرار القيادة السياسية العراقية بوضع كل ثقل العراق البري والجوي في

---

١٥ ــ ان نص بيان مجلس قيادة الثورة مرفق مع الملاحق (الملحق ٣) .

١٦ ــ ان نص قرار مجلس قيادة الثورة مرفق مع الملاحق (الملحق ٤).

١٧ ــ كان العراق قد امم في ١٩٧٢/٦/١ شركة نفط العراق I. P. C. البريطانية (القرار رقم ٦٩) ، وفي ١٩٧٣/١٠/٢١ امم العراق حصة هولندا من شركة نفط البصرة ردا على مواقف هولندا العدائية السافرة واصرارها على مساندة العدو الصهيوني (نص قرار مجلس قيادة الثورة مع الملاحق ــ الملحق ٥) .

المعركة . وقابل السفير العراقي نائب رئيس الحكومة السورية في صبيحة ١٠/٧ وابلغه مضمون البرقية . وكان جواب الحكومه السورية في اليوم نفسه « انها تلقت النبأ بشكر واعتزاز، وانها ترجو معرفة موعد التحرك وحجم القوات ونوعيتها » (١٨) . وفي مساء اليوم نفسه قابل السفير العراقي الرئيس حافظ الاسد الذي « ابدى شكره واعتزازه بقرار الرئيس والقيادة في العراق بشأن القرار القومي التاريخي بمشاركة العراق بكل ثقله في المعركة . واعرب عن امله في وصول القوات العراقية بأسرع وقت ممكن وباكبر حجم ممكن. ورجا معرفة موعد تحركها وتعدادها ونوعيتها . واشار بأن سورية بحاجة لدبابات ت ــ ٥٤ وت ــ ٥٥ اضافية » (١٩) .

وبينما كان السفير العراقي يقابل المسؤولين السوريين ويتلقى تحيات الشكر ، كان جنود الجيش العراقي يحزمون امتعتهم ويملؤون خزانات الدبابات والعربات المدرعة بالوقود، ويحملون صناديق القنابل في الشاحنات ، ويمسحون اسلحتهم التي سيستحقون بفضلها اعتزاز الجماهير العربية بهم .

وعقدت اللجنة العليا « للجبهة الوطنية والقومية التقدمية» في يومي ٦و٧ اجتماعين استثنائيين درست فيهما الموقف ، وايدت القرارات الثورية التي اتخذتها القيادتان القومية والقطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي ومجلس قيادة الثورة . وفي الساعة ١٠٠٠ من ٨ / ١٠ عقد الاجتماع الطارىء للمؤتمر القطري الثامن لحزب البعث العربي الاشتراكي . وترأس الاجتماع الرئيس احمد حسن البكر . ودرس المجتمعون الموقف في المنطقة ، والتطورات الاخيرة ، والتدابير الثورية التي اتخذتها القيادة لمواجهة الموقف وتأمين مشاركة العراق الشاملة وبكل الوسائل في الصراع الدائر .

---

١٨ ــ من برقيات الخارجية العراقية في يوم ١٩٧٣/١٠/٧.

١٩ ــ من برقيات الخارجية العراقية في يوم ١٩٧٣/١٠/٧

ووافق المؤتمر بالاجماع على الاجراءات والتدابير اللازمـــة لخوض معركة انتظرتها الامة العربية ست سنوات (٢٠).

وفي اليوم نفسه قابل السفير العراقي وزير الخارجيـة السوري بناء على طلبه واكد له الوزير « على اهمية وصــول القطعات العسكرية العراقية بأسرع وقت وباكبر حجم ممكن . ورجا ان لا تقل عن فرقتين بكامل دروعهـــما » (٢١) . وبعث السفير برقية عاجلة بهذا الخصوص الى بغداد . ولم تكــن الفرقتان المدرعتان الثالثة والسادسة تنتظران هذه البرقية . فلقد وضعتهما القيادة السياسية في الانذار منذ يوم ٦/١٠ . وعندما تلقى عامل البرقيات في وزارة الخارجية الكلمات القادمة من مسافة ١٠٠٠ كيلو متر ، كانت سلاسل دبابات ومجنزرات الجيش العراقي تطوي الطريق الصحراويـــة متجهة نحــو الجولان .

---

٢٠ — ان نص البيان الصادر عن الاجتماع الطارىء للمؤتمـــر القطري الثامن موجود مع الملاحق (الملحق ٦) .

٢١ — من برقيات الخارجية العراقية في يوم ١٩٧٢/١٠/٨ .

الفصل الثالث

الحركة الاستراتيجية

عندما اتخذت القيادة السياسية العراقية قرار المشاركة الفعلية في حرب تشرين الاول ، والتحول من دولة مشاركة الى دولة مواجهة ، وجدت القيادة العسكرية نفسها امام معضلة استراتيجية تتمثل في نقل قواتها من العمق الاستراتيجي الى العمق العملياتي ، وتأمين الحشد في ساحة المعركة تحت ضغط عامل الزمن . وكانت هذه القيادة تعرف ان الحروب العربية ـ الاسرائيلية تدور ضمن مهلة زمنية محدودة تفرضها طبيعة الصراع نفسه ، وحساسية المنطقة التي تدور عليها ، وتأثير القتال المحلي على الامن والاقتصاد العالميين (١). وتعي ان المشاركة العسكرية العراقية في القتال لن تكون فعالة الا اذا تمت بحجم مناسب وفي الوقت المناسب .

ولم تكن دمشق مهددة في يوم اتخاذ القرار السياسي بدخول الحرب . لذا كان عامل الزمن الضاغط لا ينبع من الرغبة في حماية عاصمة الامويين ، ولكنه ينبع من وعي القيادة العسكرية العراقية بضيق هامش الزمن المتوفر لديها .

---

١ ـ تختلف الحروب العربية ـ الاسرائيلية عن الحروب المحدودة في المناطق الاخرى من العالم ، بانها تدور فوق بحيرة من النفط ، وفي منطقة تعتبر عقدة مواصلات عالمية بين القارات الثلاث . وتتم بين قوى محلية مرتبطة بالقوى العالمية بشكل يفتح الباب امام احتمال استجرار الدول العظمى ، والانتقال من الحرب المحدودة الى الحرب النووية الشاملة .

وتناقض هذا الهامش الضيق مع حجم القوات الكبير الـذي ينبغي زجه في المعركة ، وطول المسافة المطلوب قطعها قبـل دخول المعركة .

وكانت معضلة الانتقال الاستراتيجي السريع المطروحة ذات خمسة وجوه هي : انتشار القوات ، وطول مسافـة الحركة ، وضخامة القوة المتحركة ، ونقص وسائط الحركة ، وحماية الارتال من الضربات الجوية المعادية ، وحماية الارتال من كمائن القوات الاسرائيلية المحمولة بالهليكوبتر .

١ — **انتشار القوات البرية** : لم تكن القوات البرية العراقية محتشدة قرب الحدود السورية — العراقية قبيـل اندلاع الحرب ، ولكنها كانت منتشرة على العكس في جميـع ارجاء القطر العراقي . وكان توتر الوضـع على الحدود العراقية — الايرانية ، وعدم الثقة بنوايا الملا مصطفى البرزاني ، واحتمال تحركه وتجدد القتال في الشمال ، قد اجبرا القيادة العراقية على نشر اكثر من ٧٠ ٪ من فرق المشاة وحوالي ٢٠—٣٠ ٪ من القوات المدرعة على الحدود الشرقية التي تبعد عن الحدود السوريـة مسافة تتراوح بين ٥٠٠ و ٦٠٠ كيلو متـر ، وعلى الحـد الجنوبي للجيب الكردي العميل في مناطق تبعد عن الحـدود السورية مسافة ٢٠٠ — ٣٠٠ كيلو متر . وكانت معسكرات القوات المدرعة التي تقرر تحريكها الى سورية تقع في قـلب القطر ، وتبعد عن الحدود السورية مسافـة ٣٠٠ — ٤٠٠ كيلو متر .

وبالاضافة الى ذلك ، فان القطعات المدرعة لم تكن يوم اندلاع الحرب مجتمعة في معسكراتها ، بل كانـت معظـم تشكيلاتها تنفذ برنامج التدريب الاجمالي في اماكن تبعد عـن معسكراتها الاساسية مسافة ١٠٠ — ٢٠٠ كيلـو متـر ، الامر الذي زاد من توزع القوات ، واطال المدة اللازمة لتجمع الالوية المدرعة والميكانيكية وتحركها . اما الويـة المشاة الموجودة في الشمال فكانت كتائبها موزعة في مواقع متباعدة ،

وتقوم بواجب مراقبة الحد الجنوبي للجيب الذي تسيطر عليه قوات البارزاني .

٢ ــ طول مسافة الحركة : فرض انتشار القوات العراقية ، وبعد العراق عن جبهة القتال مع العدو ، عاملا هاما هو طول مسافة الحركة . فاذا اخذنا الفرقتين المدرعتين الموجودتين على مسافة ٣٠٠ ــ ٤٠٠ كيلو متر من الحدود السورية ، وجدنا انهما لا تستطيعان التوجه الى الحدود السورية مباشرة ، لان عليهما ان تتجها اولا الى بداية طريق بغداد ــ الرمادي ــ الرطبة ــ ابو الشامات ــ دمشق ، الذي يمثل شريان المواصلات الرئيسي بين القطرين العراقي والسوري . وان تتحركا بعد ذلك على طريق بغداد ــ دمشق (وطوله ٩٢٨ كيلو مترا) ، وان تتجها من مدخل دمشق الشرقي الى مناطق التحشد التكتيكي المحددة لها . وهذايعني انه كان على الفرقة المدرعة الثالثة (عدا اللواء الثامن الميكانيكي) ، ان تقطع حوالي ١٣٥٠ كيلو مترا ، كما كان على الفرقة المدرعة السادسة ان تقطع حوالي ١٢٠٠ كيلو متر ، قبل وصولهما الى ساحة المعركة . اما لواء المشاة الميكانيكي الثامن الذي كان متمركزا في الاساس على طريق بغداد ــ دمشق ، فقد كان عليه ان يقطع حوالي ٨٥٠ كيلو مترا (٢).

ولقد اضطر لواء المشاة (٢٠) ، المتمركز في العمارة قرب الحدود الجنوبية الشرقية الى قطع اكثر من ١٤٥٠ كيلو مترا ، كما اضطر اللواء الجبلي الخامس المتمركز في الشمال الى اخذ محور الموصل ــ حلب ــ دمشق ، وقطع حوالي ١٢٠٠ كيلو متر . اما لواء القوات الخاصة ، فقد نقل بالطائرات من كركوك الى قاعدة ابن الوليد (كما سنرى في الفصل الثامن) ولم يقطع بالاليات سوى ٤٠٠ كيلو متر .

---

٢ ــ كانت الكتيبة الثانية من هذا اللواء في قاعدة ابن الوليد ، لذا فانها لم تقطع سوى ٤٠٠ كيلو متر . وكانت اول وحدة عراقية برية تصل الى الجبهة السورية .

٣ ـ ضخامة القوة المتحركة :

حرك العراق منذ يوم ٧ / ١٠ وحتى يوم ٢٤ / ١٠ ، وهو يوم تكامل القوة العراقية في سورية تقريبا ، فرقتين مدرعتين وثلاثة ألوية مشاة (اي ما يعادل ٣ فرق) بالاضافة الى وحدات ادارية مركزية مرتبطة مباشرة مع بغداد . ويبلغ مجموع هذه القوة والوحدات الادارية المركزية حوالي ستين الف رجل ، واكثر من ٧٠٠ دبابة متوسطة « ت ـ ٥٤ » و « ت ـ ٥٥ » ، ومئات العربات المدرعة لنقل الجنود من طراز « توباز » و « م ـ ١١٣ » ، وآلاف سيارات النقل المحملة بالرجال والمعدات واكداس المؤن والذخائر ، وحوالي ١٢ كتيبة مدفعية مقطورة مع ذخائرها ، ومئات المطابخ السيارة ومقطورات المياه، وسيارات الصهريج الخاصة بنقل الوقود والمياه، وسيارات الاسعاف ، وورشات التصليح الميدانية . ولقد عبر اللواء اسماعيل تايه النعيمي ، معاون رئيس اركان الجيش العراقي لشؤون العمليات (الذي وصل الى دمشق جوا في ٨/١٠ لاستقبال القوات العراقية وتنظيم التعاون) عن ضخامة القوة المتحركة من العراق الى سورية بان قال لوزير الدفاع السوري اللواء مصطفى طلاس « لقد جاءك جيش بدايته في الشام ونهايته في بغداد » (٣) . والحقيقة ان ارتال القوات العراقية كانت في تلك اللحظة تتنقل على محور الحركة بغداد ـ دمشق وتمتد ذيولها الادارية من بغداد الى معسكراتها داخل العراق على شكل اصابع الكف.

ولقد زاد من ضخامة الارتال المتحركة ان القطعات العراقية حملت معها كل ما تحتاجه من ذخائر ومؤن ومحروقات رغم تماثل نوعية المعدات والاسلحة المستخدمة في العراق وسورية . ويرجع ذلك الى عدة اسباب سنأتي على ذكرها في الفصل الحادي عشر . ومن المؤكد ان عامل ضخامة القوات

---

٣ ـ من حديث مع اللواء الركن اسماعيل تايه النعيمي .

المتحركة لم يكن ليلعب دورا مؤثرا في معضلة الانتقال . ولولا تطابقه مع طول المسافة ؛ وقصر المدة الزمنية المتاحة ، ونقص وسائط الحركة المتوفرة على الصعيدين الذاتي والموضوعي.

٢ — نقص وسائط الحركة

تتسم الحرب الحديثة بسرعة وتيرة تحركات القوات خلال الانتقال في المجالين العملياتي والاستراتيجي ، او خلال المعركة نفسها ضمن المجال التكتيكي . ولقد اثبتت الحرب العالمية الثانية والحروب المحلية المحدودة التي تلتها اهمية الحركية بالنسبة الى القوات المقاتلة والذيول الادارية ، لذا عمدت كافة الدول (ضمن حدود امكاناتها) الى اتخاذ التدابير اللازمة لزيادة حركية قواتها المسلحة بغية تأمين المرونة اللازمة لتحقيق التحشد (٤) .

ولقد سارت جيوش دول المواجهة العربية على هذا السبيل ، وقطعت شوطا لا بأس به ، بيد ان انخفاض المستوى العام لقاعدتيها التقنية والصناعية ، ونقص مواردها المالية . وكبر الاعباء الملقاة على عاتقها في مجال التطوير والتنمية ، وضآلة المساعدات الاقتصادية التي كانت تحصل عليها من الدول العربية الغنية ، كانت كلها وراء عرقلة او تأجيل التدابير المتخذة لزيادة حركية قواتها المسلحة.

واذا كان حل مسالة الحركية هاما وحيويا بالنسبة الى دول المواجهة ، فانه يتمتع دون شك باهمية اكبر بالنسبة الى الدول العربية البعيدة عن بؤرة الصدام (٥) . ومع هذا فان

---

٤ — ان من اهم هذه التدابير زيادة كثافة شبكات الطرق البرية والنهرية والخطوط الحديدية ورفع مستواها ؛ وتعزيز النقل الجوي والبحري ، ومكننة القوات البرية ، وزيادة عدد القوات المحمولة جوا.

٥ — كالعراق والمغرب والجزائر وليبيا والسودان والسعودية ودول الخليج العربي .

وضع العراق يختلف عن وضع معظم الدول العربية البعيدة ، لان القيادة السياسية فيه مؤمنة بضرورة التحول من دولة مشاركة الى دولة مواجهة،ولان العراق كان حتى اندلاع الحرب مضطرا الى حل معضلات تجميد القوات على الجبهتين الشرقية والشمالية ، مع التفكير باقتطاع جزء من هذه القوات ودفعه نحو حدود فلسطين المحتلة . ولذا فقد كان عليه ان يعطي اهتماما اكبر الى مسألة رفع مستوى حركية القوات المسلحة . وهذا ما دفع القيادة العراقية بالفعل الى البدء بمكننة القوات البرية ، وتوسيع الاهتمام بالنقل الجوي ، وتعزيز شبكة المواصلات الداخلية . ومع هذا فقد ظهرت خلال الحركة الاستراتيجية الى سورية في العام ١٩٧٣ عدة عقبات مادية بعضها قومي الطابع ، والبعض الاخر قطري الطابع .

ويدخل في اطار العقبات ذات الطابع القومي (العقبات الموضوعية) عدم وجود سكة حديدية استراتيجية تصل بين دمشق وبغداد ، ومحدودية طرق الاتصال البري الجيدة المتوفرة بين العراق وسورية . وتقتصر محاور الحركة التي تربط القطرين على الطرق التالية :

أ ــ طريق بغداد ــ الرمادي ــ الرطبة ــ ابو الشامات ــ دمشق . وهي طريق صحراوية معبدة (مبلطة) بشكل متوسط ، ومعدة لتامين حركة القطعات الكبرى ، وتصل قلب العراق (حيث تتمركز معظم القوات المدرعة) بشكل مباشر مع منطقة التحشد قرب هضبة الجولان .

ب ــ طريق بغداد ــ الرمادي ــ حديثة ، التي تسير بعد ذلك مع خط انابيب النفط (I. P. C. سابقا) حتي تصل الى تدمر فحمص . ولا تقود هذه الطريق مباشرة الى منطقة التحشد . كما ان الجزء الواصل بين حديثة وحمص

ترابي غير معبد وغير معد اداريا ، ولا يصلح لمرور الارتال الكبيرة .

جـ ـ طريق بغداد ـ حديثة ـ دير الزور ـ حلب . وهي معبدة في بعض اقسامها فقط ، وتسير مع نهر الفرات في معظم اجزائها . ولكنها تبعد القوات عن منطقة التحشد ، وتزيد مسافة التنقل بنسبة ٣٥ـ٤٠ ٪ .

د ـ طريق الموصل ـ حلب ـ دمشق ، وهي معبدة وصالحة لسير الارتال،ولكنها تجتاز نهر الفرات داخل الاراضي السورية فوق جسور روافد الفرات التي يستطيع طيران العدو تدميرها (٦) ، وايقاف تقدم القوات مدة ٢٤ ساعة على الاقل عند كل جسر مدمر ، وتخفيف وتيرة التقدم بعد ذلك رغم بناء الجسور الطوفية التي لا تسمح للاليات بالتحرك بسرعة مماثلة لسرعة تحركها على الجسور المدنية الدائمة . وبالاضافة الى ذلك ، فان هذه الطريق لا تصلح الا لحركة القوات المتمركزة في شمالي العراق . ولا تستطيع القوات المدرعة العراقية

---

٦ ـ كانت اسرائيل مستعدة للمغامرة وارسال عدد من طائراتها لتدمير الجسور على روافد نهر الفرات ، حتى لو ادى ذلك الى سقوط كافة الطائرات المغيرة . ومن المعروف ان العدو يلجأ الى هذا الاسلوب عندما يكون الهدف حيويا . ولقد استخدمه لقصف مصفاة النفط في حمص وعدد من المنشآت الصناعية والمدنية في العمق السوري . ولم يكن من المستبعد ابدا ان يدفع عبر الاجواء الاردنية عددا من الطائرات لتنفيذ هذه المهمة لو استخدمت القوات العراقية المدرعة هذا المحور ، وان يضحي بهذه الطائرات في سبيل تحقيق غرض استراتيجي يتمثل في تعطيل وصول الفرق المدرعة عدة ايام . ولقد حاول ان يفعل ذلك بالنسبة الى ارتال القوات السائرة على طريق ايج ثري ـ ابو الشامات ـ دمشق . الا ان وسائطه لم تسمح له بايقاف رتل كبير الي ؛ مع انها كانت ستسمح له بقصف الجسور . لان قصف مجموعة جسور حساسة شيء وايقاف رتل ممتد على مئات الكيلو مترات شيء اخر .

المتمركزة في قلب البلاد استخدامها لانها تطيل مسافة التنقل بنسبة ٢٥ــ٣٠ ٪ .

هـ ــ سكة حديد بغداد ــ الموصل ــ حلب . وهي جزء من « سكة حديد قطار الشرق السريع » التي انشأها الالمان قبل الحرب العالمية الاولى لتصل بين برلين وبغداد . وقد كان من الممكن استخدام هذه السكة بالنسبة الى القوات المتمركزة في الشمال على الاقل ، والوصول بالقطار حتى حمص . ولكن جزءا كبيرا من هذه السكة الحديدية يجتاز الاراضي التركية . ولم تكن الحكومة التركية لتسمح بنقل القوات عبر اراضيها ، نظرا لانها اخذت خلال الحرب موقفا محايدا ، ولم تسمح لطائرات الجسر الجوي الاميركي باستخدام قواعدها خلال نقل الاسلحة والذخائر والمعدات الى اسرائيل . (٧)

وامام هذه الخيارات المحدودة ، اضطرت القوات العراقية الى استخدام محور واحد هو طريق بغداد ــ ابو الشامات ــ دمشق . الامر الذي ادى الى تزاحم الارتال على هذه الطريق ، وتعقيد تدابير تنظيم السابلة . وكان من الممكن ان يؤدي ذلك الى وقوع خسائر كبيرة ، لو ان الطيران الاسرائيلي كان محتفظا بفاعليته الاساسية ، ولم يكن مشغولا بمهمات اعتبرتها قيادة العدو اكثر اهمية واشد تأثيرا من التعرض لرتل طويل منتشر يطبق كافة تدابير الحيطة ضد الاخطار الجوية .

---

٧ ــ اخذت الحكومة التركية موقف الحياد حتى لا نتورط في النزاع العربي ــ الاسرائيلي بشكل يهدد مصالحها . ولقد رأت ان السماح للاميركيين باستخدام قواعدها لدعم اسرائيل سيجر عليها عداء العرب ، ويضعها في قائمة الدول المعرضة للتدابير النفطية ، كما ان السماح للقوات العراقية باستخدام اراضيها او السماح للسوفيات باستخدام اجوائها لدعم العراق وسورية سيعرضها لنقمة الولايات المتحدة زعيمة حلف شمالي الاطلسي الذي تعتبر تركيا عضوا فيه . لذا قررت الهروب من الجذب والجذب المعاكس الى الحياد .

اما العقبات ذات الطابع القطري (العقبات الذاتية) فقد تمثلت بالنقاط التالية :

أ ـ **عدم انجاز المكننة الكاملة لالوية المشاة** ، الامر الذي ادى الى بطء انطلاق الالوية بجحفل اللواء دفعة واحدة وبآن معا . والاعتماد على الاليات التي قدمتها قيادة الجيش . وكان من الممكن ان يؤدي هذا الوضع الى تعطيل اكبر لو ان قوات المشاة التي دفعت الى سورية كانت ٦ـ٨ الوية مشاة بدلا من ثلاثة .

ب ـ **صغر اسطول النقل الجوي** بالنسبة الى المهمات المطلوبة منه ، وسنتحدث عن ذلك بشكل مفصل في الفصل العاشر .

جـ ـ عدم وجود طرقات استراتيجية (اوتوسترادات) تصل مختلف ارجاء القطر ، مع ان الوضع الجغرافي للعراق ؛ واحتمال الصدام مع عدة اعداء على جبهات مختلفة ، وضرورة تحريك القطعات بسرعة لمجابهة مختلف الاحتمالات ؛ كان يفترض وجود (اوتوستراد) طولاني رئيسي يبدأ عند الحدود السورية الشمالية الشرقية ويتجه الى الموصل ـ تكريت ـ بغداد ـ الحلة ـ الناصرية ـ البصرة ، و ٣ (اوتوسترادات) اضافية هي : بغداد ـ الرمادي . وبغداد ـ بعقوبة ـ كركوك ـ اربيل ـ الموصل . وبغداد ـ الكوت ـ العمارة ـ البصرة .

د ـ **عدم وجود ناقلات دبابات كافية** لرفع الوية الدبابات والمشاة الميكانيكية . الامر الذي اجبر القيادة على دفع لواء المشاة الميكانيكي الثامن ليقطع المسافة بين مواقعه الاصلية ومنطقة التحشد على السلاسل (السرف) ؛ واستخدام ناقلات الدبابات المتوفرة لنقل كل لواء على دفعتين ، وجعل جزءا كبيرا من الدبابات يندفع على السلاسل حتى يكسب الوقت،

ريثما تعود الحاملات الى رفعه . وهكذا تعقدت آلية نقل القطعات ، ووصلت الالوية المدرعة الى الجبهة منهكة وعلى دفعات ، وطال الزمن اللازم للتحشد ، وجاء وقف القتال في ١٠/٢٢ وبعض كتائب الفرقة المدرعة السادسة لا يزال على الطريق ، وكان بعضها على بعد اكثر من ٥٠٠ كيلو متر عن منطقة التحشد . ففي الساعة ١٥٠٠ من يوم وقف اطلاق النار تحركت كتيبة ميكانيكية وكتيبة مدفعية ومقر قيادة احد الوية الفرقة المدرعة السادسة من قاعدة ابن الوليد باتجاه الاراضي السورية ، وبقيت كتيبة حنيفة (دبابات) تنتظر الناقلات في ابن الوليد ، بينما كانت كتيبتا الرافدين والمهلب (دبابات) وكلها من الفرقة المدرعة السادسة تنتقل محمولة على ناقلات داخل الاراضي العراقية من المحمديات باتجاه قاعدة ابن الوليد .

ولقد حاولت القيادة العراقية منذ يوم ١٠/٧ الحصول على ناقلات سورية بغية تسريع عملية النقل ولكن القيادة السورية اعلمتها بان من المتعذر ارسال الناقلات بسبب الحاجة الماسة اليها . ثم اكد السوريون في اليوم التالي ضرورة ارسال الدبابات ولو بدون ناقلات ، وذكروا للمسؤولين العراقيين ان وصولها سيؤثر على سير المعركة .

واتجه العراقيون نحو الاسواق الكويتية لشراء الناقلات :كما العراقيون نحو الاسواق الكويتية لشراء الناقلات ، كما اتجهوا نحو الحكومتين الكويتية والاردنية لاستعارة الناقلات . ولكن هذين البلدين لم يلبيا الطلب . وبررت الكويت رفضها في منتصف ليلة ١٠/٨ بانها تنوي ارسال بعض الدبابات والمدفعية الى الجبهة السورية ، وانها ستضع الناقلات تحت تصرف الجيش العراقي فور تنفيذ هذه المهمة . ولكن الناقلات

الكويتية بقيت بلا عمل حتى الايام الاخيرة للقتال . وفي يوم ١٧ كانت القوة الكويتية المنوي ارسالهـا لا تـزال في اماكنها ، ولو ان ناقلاتها استخدمت خلال الايام العشرة التي انصرمت لساعدت على تسريع نقل الدبابات العراقية الى الجبهة . اما الاردن فقد برر عدم تلبية الطلب العراقي في ٨/١٠ ، بان ناقلاته مشغولة في نقل القطعات . وكانت هذه الناقلات تقـوم بالفعل بنقل الالوية الاردنية المدرعة الى منطقة الغور والى الحدود السورية — الاردنية . ولكن المسافة بين معسكرات الدبابات الاردنية واماكن انتشارها الجديدة لم تكن تزيد عن ٥٠ — ٧٠ كيلو مترا . كما ان انتقال ابعد الدبابات من الاردن الى الجبهة السورية لم يكن يتطلب منها سوى التحرك مسافة تقل عن ٢٠٠ كيلو متر . وهي مسافة قصيرة يمكن قطعها على السلاسل بسهولة ، كما انها مسافة لا تذكر امام المسافات الطويلة التي كان على الدبابات العراقيه قطعها . وفي ١٢/ ١٠ تحركت ناقلات دبابات اردنية لرفع ١٦ دبابة اردنية كانت قد وصلت الى الميناء على ظهر بواخر تحمل معدات عسكرية للاردن. الامر الذي يدل على ان الاردن كان قادرا على الاستغناء عن بعض ناقلاته واعارتها الى العراق . ولكنه آثر عدم القيام بذلك حتى لا يستفز اسرائيل ويورط الجيش الاردني في المعركة قبل الوقت المحدد له للاشتراك في القتال .

٥ — حماية الارتال من الضربات الجوية

كان محور تقدم القوات العراقية ارضا مكشوفة خالية من السواتر الطبيعية ، وكان المحور نفسه معطبا ولا يمكن الابتعاد عنه ، وكان القسم السوري منه واقعا ضمن مدى عمل طائرات العدو القاذفة المقاتلة المتسللة عبر الاجواء الاردنية غير المحمية جيدا . ولم يكن الجيش العراقي قد حصل بعد على

الصواريخ ارض ــ جو المتحركة « ســـــــام ٦ » او صواريخ الكتف ارض ــ جو « سام ــ ٧ » (ستريلا) . وكانت الحماية الارضية ضد الطائرات تعتمد على الرشاشات والمدافع المضادة للطائرات التي تملكها القطعات او تتجحفل معها قبل الحركة . ولقد تضافرت هذه العوامل ، وجعلت مسالة حماية الارتـــال من الضربات الجوية تحتل مكانة هامة ، خاصـة وان خبرة القوات العربية في حرب حزيران ١٩٦٧ (بما في ذلك خبرة جحفل اللواء الميكانيكي العراقي الثامن) قد اكدت على خطورة سلاح الجو المعادي وقدرته على الحسم في الاراضي المكشوفة .

٦ ــ الحماية من كمائن القوات المحمولة جوا

كان الاسرائيليون عند اندلاع الحرب يملكـــــون لوائين محمولين جوا ، يمكن ان يتحولا عند اندلاع القتال الى ■ الوية. ولقد ازدادت مرونة القوات الاسرائيلية المحمولة جوا الى حد بعيد عندما زودت بطائرات هليكوبتر « سوبر فريلون سي أ ــ ٣٢١ » الفرنسية القادرة على حمـــــــل ٢٧ ــ ٣٠ جنديا ، و« سيكورسكي سي هـ ــ ٥٣ ــ سي » الاميركية القادرة عـــلى حمل ٦٤ جنديا. ولقد استخدم العدو هذه الطائرات خلال اعتداءاته على الدول العربية وخلال مجابهة الثورة الفلسطينية منذ انتهاء حرب ١٩٦٧ . وكان الاسرائيليون يفاخرون بفاعلية هــــذا السلاح وارتفاع مستوى روحه الصدامية ، ويعتبرونه جزءا من قواتهم الضاربة وذراعهم الطويلة القادر على الضرب فـــي العمق العربي . وكان طول مدى عمل هذه الطائـــــرات (٨) وامكانية تسللها الى الاراضي السورية عبر الاجواء الاردنيـــة

---

٨ ــ ٤٣٠ كيلو مترا بالنسبة الى الطائرة « سيكورسكي » ، و٦٥٠ كيلو مترا بالنسبة الى الطائرة « سوبر فريلون » .

تحت حماية مظلة من الطائرات المقاتلة ، وميل المخططين العسكريين الاسرائيليين ، الى المغامرة والعمليات المظهرية ، عبارة عن عوامل يتوقع معها قيام العدو باستخدام قواته المحمولة جوا لنصب الكمائن على طريق تحرك القطعات العراقية ، الامر الذي زاد من ضرورة تطبيق تدابير الحيطة ضد هذه العمليات ، مع ان القوات العراقية كانت تقوم بتقرب مستور وراء جبهة صديقة متصلة .

ورغم هذه العقبات الست التي اعترضت او كان من المنتظر ان تعترض حركة القوات العراقية ، فقد نفذت هذه القوات الحركةالاستراتيجية بكفاءةوسرعة جيدتين ،واستطاعت التغلب على جميع المعضلات بفضل ستة عوامل .

العامل الاول : وقوف القيادة العراقية وراء الاندفاع السريع ، ودعمها له ماديا ومعنويا ، واصرارها على وصول القوات والمشاركة فيمعركة مصيريةتتعلق بشرف الامة العربية ومستقبلها . ولقد اصدرت هذه القيادة اوامرها بتعبئة كل امكانات البلاد المدنية والعسكرية فيسبيل تأمين وصول القوات في الزمان المناسب . وكان رئيس الجمهورية المهيب احمد حسن البكر يتصل بالقيادة العسكرية شخصيا او عن طريق مساعديه ويؤكد ضرورة وصول الدبابات الى الجولان ، حتى لو اضطرت الى قطع الطريق على سلاسلها . ويذكر اللواء النعيمي ان القيادة العسكرية اعلمت رئيس الجمهورية بان سير الدبابات على سلاسلها مسافة تزيد في بعض الحالات عن ١٠٠٠ كيلو متر سينهك محركاتها . فكان جواب الرئيس « يجب أن نصل وننقذ الموقف حتى لو اضطررنا الى تبديل المحركات » (٩) . ولقد ادى هذا الدفع المعنوي الى تسريع الحركة ، وتجاوز

---

٩ ــ من حديث مع اللواء الركن اسماعيل تايه النعيمي .

الكثير من الصعوبات ، و « تجاهل تحديدات التنقل المذكورة في الانظمة والكتب العسكرية ، لصالح عامل السرعة الذي احتل المكانة الاولى بين جميع العوامل المؤثرة على الحركة» (١٠) ، والقيام بتنقل قسري ، مع الافادة الى الحد الاقصى من وسائط النقل المدنية والناقلات التابعة لمختلف الوزارات .

العامل الثاني : انعكست تعليمات القيادة السياسية على معنويات المقاتلين والمدنيين الذين ساهموا في تنفيذ الحركة الاستراتيجية . وكان كل جندي او ضابط يبذل الجهد البدني الاقصى ، ويتحمل كل اعباء التنقل بصبر في سبيل الوصول الى ساحة المعركة وخوض غمارها . وكان سائقو سيارات النقل والعربات المدرعة وناقلات الدبابات (من عسكريين ومدنيين) الجنود المجهولين الذين انجزوا بنجاح كامل مهمة ادارية وضعت القادة التكتيكيين في ظروف مناسبة للنجاح ، وكان هؤلاء السائقون يأكلون خلال المسير ، ولا ينامون الا عندما ينهكهم السفر ، ولا يستريحون الا عندما يفرض عليهم قادة الارتال الراحة بالقوة . ولقد قام كل سائق ناقلة دبابات بالسفر الى دمشق ١٦ مرة ذهابا وايابا ، وقطع خلال ١٦ يوما حوالي ٢٨ الف كيلو متر .

العامل الثالث : حالة الاستعداد الجيدة التي اتسمت بها القوات العراقية ، الامر الذي جعلها تنتقل من حالة السلم الى حالة الاستعداد للقتال خلال ساعات ، وسمح لهابالتحرك نحو الجبهة فور عودتها من التدريب الاجمالي وتجمعها في معسكراتها . وتبدو اهمية هذا العامل اذا قارنا تحرك القوات في حرب ١٩٧٣ مع تحرك جحفل لواء المشاة الميكانيكي الثامن في حرب ١٩٦٧ . ففي ٢٧ ايار ١٩٦٧ تم حشد لواء المشاة

---

١٠ — من حديث مع الفريق الاول الركن عبد الجبار شنشل رئيس هيئة الاركان العامة للقوات العراقية .

الميكانيكي الثامن وكتيبة دبابات في الحبانية بغية دفعهما الى الاردن . وفي يوم ٣٠ تحرك هذا الجحفل الى « ايج ترى ». بعد ان اضاع في الحبانية ٣ ايام « كان يحاول فيها اكمال نواقصه قبل الحركة » فقد كانت كافة قطعات الجحفل تعاني نقصا في التجهيزات السفرية كالخوذ الفولاذية والحقائب والزمزميات والخيم وغيرها من المواد التي يحتاج اليها الجنود وتحتاج اليها الوحدات العسكرية في الحرب » (١١) ويذكر العميد حسن مصطفى ان هذا الجحفل تحرك من الشمال الى الحبانية دون ذخيرة لان المسؤولين كانوا « يخشون من حدوث انقلاب عسكري ضدهم اثناء مرور قطعات الجحفل من بغداد وهي في طريقها الى خارج العراق » (١٢).

اما في حرب ١٩٧٣ ، فقد تلقى اللواء نفسه امر الحركة في مساء ١٠/٦ ، وتحرك نحو الجبهة مع كامل معداته وتجهيزاته واسلحته وذخائره في صباح اليوم التالي . وينطبق هذا القول على بقية القطعات التي كانت جاهزيتها عالية رغم قصر مدة الانذار ، الامر الذي امن عدم ضياع الوقت في استكمال النواقص ، وساعد على تسريع الحركة .

العامل الرابع : ويتمثل هذا العامل في الاعداد الاداري الجيد لمحور الحركة . ويرجع ذلك الى ان جزءا من هذا المحور (بغداد ـ الرطبة) هو جزء من محور بغداد ـ المفرق الذي تحرك عليه الجيش العراقيفي العام ١٩٦٧ لدعم الجبهةالاردنية

---

١١ ـ العميد الركن حسن مصطفى ، « حرب حزيران ١٩٦٧ » ، الجزء الثاني ، ص ٢٧٧ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٣ ، بيروت .

١٢ ـ المرجع نفسه .

واستخدمه بعد ذلك في فترة قيام الجبهة الشرقية . اما الجزء الاخر الواقع بين الحدود العراقية ـ السورية ودمشق فكان معدا الى حد ما من قبل السوريين .

العامل الخامس : ارتفاع مستوى تدريب الضباط والكوادر ، وفهمهم الكامل لمعضلات التنقل وكيفية التغلب عليها .

العامل السادس : ارتفاع مستوى الصيانة الفنية للآليات ، الامر الذي انقص الاعطال الى الحد الادنى ، ومنع تساقط الاليات او تخلفها خلال الحركة . ويذكر الضابط المسؤول عن السيطرة على السابلة انه لم يصادف اية آلية متخلفة عن وحدتها لان الوحدات كانت تصلح الآلية المتعطلة او تقطرها معها (١٣) .

تنظيم الحركة الاستراتيجية وتنفيذها

كان تنظيم الحركة والسيطرة على السابلة عاملا هاما من عوامل نجاح الحركة وانتظامها . ولقد اشرف على هذا العمل هيئة مختصة يقودها ضابط قائد، وضع تحت تصرفه ضباط مساعدون وآليات وطائرات هليكوبتر ووسائط اتصال وعناصر انضباط ووحدات حماية . وكانت مهمة الهيئة تأمين حسن سير الارتال وتحديد نقاط وساعات الخروج من الطريق او العودة اليها ، ومنع ازدحام القوات ، وتنظيم عملية الرفع بالناقلات . اما وحدات الحماية فكانت مهمتها حماية السابلة من الاخطار الجوية وهجمات القوات المحمولة جوا .

ولتامين الحرية افضل شكل ممكن ضمن الظروف المفروضة ، طبقت القوات المتحركة، بالتعاون مع هيئة السيطرة على السابلة

١٣ ـ من حديث مع العميد الركن فاروق الحريري المسؤول عن هيئة السيطرة على السابلة .

عدة تدابير تكتيكية وفنية تستهدف تجاوز العقبات التي تحدثنا عنها . واهم هذه التدابير ١ - **الحماية ضد الطائرات** باعداد الرشاشات المضادة التي تحملها القوات للرمي ضد الطائرات، ونشر بطاريات المدفعية المضادة على طول الطريق ، والسير ليلا والتوقف في المأوى نهارا ، والافادة من التغطية الجوية التي كانت تؤمنها طائرات « ميغ - ٢١ » المنطلقة من قاعدة ابن الوليد لمتابعة السير نهارا حتى حدود عمل الطائرات ، ٢ - **الحماية ضد اخطار القوات المحمولة جوا** باتخاذ تدابير الحيطة البرية من قبل القوات المتحركة ، واعداد مفارز حماية محمولة على الاليات ومتمركزة على طول اقسومات الطريق . واعداد مفرزة حماية مركزية محمولة بطائرات الهليكوبتر . ٣ - **تطهير الطريق من الاليات المعطلة** : وكانت هذه المهمة ملقاة على عاتق مفارز اصلاح منتشرة على الطريق تساعد مفارز الاصلاح التابعة للقطعات على اصلاح الاليات المعطلة او اخلائها ؛ ٤ - **تنظيم عمل الناقلات** : بتخصيص الناقلات العسكرية لرفع الدبابات بمعدل كتيبتين لكل رفعة ، وتخصيص الناقلات المدنية لرفع العربات المدرعة التابعة للالوية بمعدل سرية لكل رفعة . وكان على كل قطعة مدرعة ان تتحرك بالقطار الى ابعد نقطة ممكنة ، وان تتابع التقدم بعد ذلك على السلاسل حتى تعود الناقلات العسكرية او المدنية لرفعها ؛ ٥ - **زيادة سرعة الحركة** عن طريق تجزئة القطعات ، وتطبيق التنقل القسري مسافات طويلة وبسرعة تفوق المعدل العادي ، مع الاقلال من الاستراحات الى الحد الادنى ، وتحاشي المرور من قلب العاصمة بغداد حتى لا يؤثر ازدحام العاصمة على سرعة الحركة ؛ ٦ - **مراقبة السابلة** من الجو والبر لمنع الاختناقات والتزاحم على الطريق . ولقد ساعد على تحقيق هذه المهمة وجود اتصال سلكي ولاسلكي جيدين بين الضابط المسؤول عن السيطرة على السابلة والضباط والمفارز التابعة له .

وهكذا تضافرت توجيهات القيادة ، وحماسة القوات ، وحسن الاعداد ، والتنظيم ، والتدريب ، على تجاوز صعوبات التحرك المفاجىء لمسافات طويلة ، وامكن تنفيذ تعليمات القيادة

السياسية القاضية « بضرورة الوصول باكبر قوة ممكنة واسرع وقت ممكن » (١٤) ، وامكن القيام بالحركة الاستراتيجية التي سمحت للقوات المسلحة العراقية بالوصول الى ساحة القتال ، وتجسيد استراتيجيتها القومية عمليا على ارض المعركة .

---

١٤ ــ من الحديث المذكور انفا مع الفريق الاول الركن عبد الجبار شنشل.

الفصل الرابع

الوضع على الجبهة السورية

الهجوم السوري :

في السادس من تشرين الاول ، وبعد رمي تمهيدي بالمدفعية والطيران دام حوالي ٩٠ دقيقة (١) ، واشتركت فيه ١٤٠ بطارية مدفعية ميدانية ومدفعية صاروخية « كاتيوشا » (٢) ، و ١٠٠ طائرة « ميغ ــ ٢١ » و « سوخوي ــ ٧ » ، اندفعت القوات السورية لمهاجمة دفاعات « خط آلون » الممتدة على طول الجبهة الشرقية لهضبة الجولان من « مجدل شمس » شمالا حتى « وادي اليرموك » جنوبا .

وكان النسق الاول للهجوم يضم (من الشمال الى الجنوب) فرقة المشاة الميكانيكية السابعة بقيادة العميد عمر ابرش ، ويغطي جناحها الايمن لواء مشاة مستقل). وفرقة المشاة الميكانيكية التاسعة بقيادة العميد حسن تركماني . وفرقة المشاة الميكانيكية الخامسة بقيادة العميد مصطفى شربا (٣) .

---

١ ــ الجنرال د. ك. بلليت (العودة الى سيناء) ، لندن ، منشورات كومبتون راسل ، ١٩٧٤ ، ص ٧١ ــ ٧٢ .

٢ ــ حاييم هرتزوغ ، حرب يوم الغفران ، قسم المعركة على الجولان ، الحلقة الاولى ، يديعوت احرونوت « ١٩٧٤/٩/٢٧ » .

٣ ــ تضم الفرقة الميكانيكية السورية : لوائي مشاة محمولين ولواء مشاة ميكانيكي ولواء دبابات . ويبلغ مجموع دباباتها (دبابات اللواء المدرع وكتائب الدبابات التابعة لالوية المشاة) حوالي ١٨٠ ــ ١٨٥ دبابة (ت ــ ٥٤) و (ت ٥٥) .

وكان النسق الثاني للهجوم يضم فرقتي دبابات (٤) هما : فرقة الدبابات الاولى بقيادة العقيد توفيق الجهني وفرقــة الدبابات الثالثة بقيادة العقيد علي الحســين ، ولوائــين مدرعيــن مستقلين (٧٨ ، ٧٠) في كل واحد منهما ٩٥ــ ١٠٠ دبابــة . وكانت مهمة القوات المغربية (جحفل لواء) التقدم على السفوح الجنوبية لجبل الشيخ ، لمنع العدو من القيام بهجــوم معاكس لاستعادة المرصد الاسرائيلي (النقطة ٢٢٢٤) الذي انقضت عليه في لحظة بدء الهجوم وحدة من القوات الخاصة السورية محمولة باربع طائرات هليكوبتر من طراز « مي ــ ٨» واستولت عليه باغارة مفاجئة ، وحرمت القيادة الاسرائيلية من محطة الرادار واجهزة الرصد المتطورة المشرفة على مسرح العمليات .

وكان في مواجهه الهجوم السوري القوات التالية : ١ ــ لواء مشاة ميكانيكي (لواء غولاني) المنتشر على خط آلون داخل ١١ موقعا محصنا تمتد من « مسعدة » الى « تــــل الساقي » ويغطيها خندق مضاد للدبابات بعمق ٣ امتار وعرض ٤ امتار وحقول الغام مضادة للدبابات ، ٢ ــ اللواء المدرع ٣٧ ، المنتشر داخل حفر رمي على خط يبعد عن خط انتشار لـــــواء المشاة الميكانيكي مسافة ٣ــ٥ كيلو مترات ، ٣ ــ اللواء المدرع السابع الذي دفعته القيادة الاسرائيلية لتعزيز قواتها في الجولان قبل بدء الحرب فاحتل الجزء الجنوبي من الجبهة ، ٤ ــ حوالي ١١ ــ ٢٠ كتيبة مدفعية . وهكذا كانت القوات الاسرائيليــــة المقابلة للقوات السورية في ســاعة بدء الهجوم تضم لواء مشاة ميكانيكي ولوائين مدرعين ، ونماك في الخطوط الدفاعية وفي احتياط الجبهة ٧ كتائب دبابات (٣٠٠ ــ ٣٥٠ دبابة) وقوات تعزيز مختلفة (٥)

---

٤ ــ تضم فرقة المدرعة السورية لوائين مدرعين ، ولواء مشاة ميكانيكي، ويبلغ مجموع دباباتها ، بما فيها الدبابات التابعة للواء المشاة الميكانيكي،٢٣٠ دبابــــة .

٥ ــ يتألف لواء (غولاني) من ٣ كتائب مشاة ميكانيكية وكتيبة دبابات ، ويتألف اللواء المدرع ٣٧ من ٢ كتائب دبابات (الثالثة والرابعة والخامسة)

يتبع

وبعد ساعة من بدء الهجوم استطاعت فرق المشاة الميكانيكية اجتياز الخندق المضاد للدبابات بمساعدة البلدوزرات وجسور الاقتحام (الدبابات حاملة الجسور) ، وتابعت تقدمها باسلوب الحرب الخاطفة بقية ساعات يوم ١٠/٦ وليلة ٧/٦ . وفي صباح اليوم التالي (١٠/٧) كانت القوات السورية قد اخترقت الجبهة في اكثر من موقع ، واحتلت « الجوخدار » و« الخشنية » ، ودمرت اللواء المدرع ٣٧ بشكل كامل كما دمرت جزءاً كبيراً من اللواء المدرع السابع ولواء « غولاني » .

وتابعت القوات السورية تقدمها في يوم ١٠/٧ بعد زج اللواء المدرع المستقل ٧٨ في قطاع عمل فرقة المشاة الميكانيكية السابعة لتعزيزها ومساعدتها على تعميق الخرق ، وزج الفرقة المدرعة الاولى في قطاع عمل فرقة المشاة الميكانيكية التاسعة لتأمين استثمار الفوز . وكان اندفاع الهجمات السورية على المحور الجنوبي سريعاً وعميقاً . ووصل الى «كفر نفاخ» و«اليهودية» و«العال»، رغم الهجمات المعاكسة التي بدات تشنها بعض القوات الاحتياطية المعادية التابعة للواء المدرع ١٧ . اما على المحور الشمالي فكان التقدم اقل سرعة وعمقاً ، نظراً لان القطاع الشمالي كان مجهزاً بشكل افضل من القطاع الجنوبي ، الامر الذي ساعد المواقع المعادية الامامية على الصمود وعرقلة تقدم ارتال القوات السورية التي تجاوزتها .

وكتيبة مشاة ميكانيكية. ويضم ١٠٠-١١٠ دبابات . ويتألف اللواء المدرع السابع من ٣ كتائب دبابات (الاولى والثانية والسابعة) ويضم عددا مماثلا من الدبابات . وكانت كتيبة الدبابات التابعة للواء غولاني تشكل الاحتياط المدرع للنسق الاول ؛ على حين انتشرت . كتائب دبابات (١و٢و٤و٥و٧) في النسق الثاني. وبقيت كتيبة الدبابات الثالثة كاحتياط بيد قائد الجبهة الشمالية اللواء « اسحاق حوفي ».

الهجوم المعاكس الاسرائيلي :

كان اندفاع القوات السورية في الجولان ، واختراق الخط الدفاعي المحصن وتدمير اللوائين المدرعين ٣٧ و٧ ضربة مفاجئة للقيادة الاسرائيلية التي بنت استراتيجيتها على اساس ان قواتها المنتشرة على « خط آلون » كافية لصد السوريين ريثما يتجمع الاحتياط الاستراتيجي للقيام بالرد . ولقد حاولت هذه القيادة استخدام سلاح الطيران لتنفيذ عملية الصد التي عجزت القوات البرية عن تنفيذها . ولكن الصواريخ ارض — جو السورية التي كانت منتشرة بكثافة في المنطقة الواقعة بين دمشق الجولان ، منعت الطيران من تحقيق اغراضه (كما منعته الصواريخ المصرية على جبهة سيناء من تدمير الجسور التي تم نصبها على قناة السويس) او الحد من اندفاع الجيشين المصريين الثاني والثالث الى الضفة الشرقية للقناة .

امام هذا الموقف الجديد قرر العدو تبديل مهمة احتياطه الاستراتيجي ، واستخدامه في الصد ثم الانتقال بعد ذلك الى الرد . بيد ان وجود خطر عربي على جبهتين بآن واحد ، طرح امام العدو مهمة اختيار الاتجاه الذي ينبغي ان يوجه اليه جهده الرئيسي ، ويركز عليه الثقل الاكبر لوسائطه التي جعلها الهجوم العربي المتناسق على جبهتين تبدو اقل ما ينبغي ، واجبرها على العمل بشكل يتناقض مع جوهر الاستراتيجية الاسرائيلية(٦)

ولقد رأت القيادة الاسرائيلية ان الاختيار الافضل هو اعتبار الجبهة السورية محورا اساسيا ، واعتبار الجبهة المصرية محورا ثانيا، وتجميد الحد الادنى من القوات امام الجبهة الاردنية التي بقيت هادئة بشكل مطمئن . ولهذا قررت دفع ستة

---

٦ — تعتمد الاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية ، منذ ان وضع بن غوريون اسسها في بداية تشكيل الدولة الصهيونية، على تجنب القتال على جبهتين او اكثر معا . والعمل على تثبيت احدى الجبهات ، وضرب الجبهة الاخرى وحسم الموقف عليها قبل الانتقال الى الجبهة الاولى .

الوية مدرعة مجحفلة ، ولواء مظلات ميكانيكي لدعم اللوائين المدرعين ولواء المشاة الميكانيكي الموجودة في الجولان ، مع تركيز جهد الطيران على الجبهة السورية وفي العمق السوري . ودفع ٦ ــ٧ الوية مدرعة مجحفلة ، ولوائي مظلات ميكانيكيين ، وعدة الوية مشاة ميكانيكية لدعم الالوية المدرعة الثلاثة واللواء الميكانيكي ولواء المشاة الموجودة على الجبهة المصرية. والاحتفاظ بلواء مدرع وعدة الوية مشاة مقابل الجبهة الاردنية (٧) .

ويرجع هذا الاختيار الى العوامل التالية :

١ ــ سرعة اندفاع القوات السورية بالعمق وخاصة على المحورين الاوسط والجنوبي . وتوقف المصريين بانتظار تعزيز رؤوس الجسور بقوات مدرعة يتم نقلها على الجسور وبالعوامات (المعديات) .

٢ ــ صغر عمق الجولان (٢٠ كيلو مترا) بالنسبة لعمق سيناء (٢٠٠ كيلو متر) وعدم وجود هامش للمناورة في المكان.

٣ ــ طبيعة الجولان الطبوغرافية التي تجعل استرداد السوريين لسطح الهضبة ، والوصول الى المحور العرضاني تل الفرس ــ خشنية ــ سنديانة ــ كفر نفاخ ــ مسعدة ، يعنيان قطع الطريق على القنيطرة ، واسر كافة قوات لواء (غولاني) واللواء المدرع السابع ، والسيطرة على موقع حاكم يجعل القوات الاحتياطية الاسرائيلية مضطرة الى تسلق الهضبة بصعوبة لاعادة احتلال الجولان . ومقابل ذلك كان بوسع

---

٧ ــ يذكر تقرير معهد الدراسات الاستراتيجية البريطاني لعام ١٩٧٣ ــ ١٩٧٤ ان اسرائيل تملك ١٧٠٠ دبابة مؤطرة داخل ١٠ الوية مدرعة، منها نظامية و٦ احتياطية . ومن حساب عدد الالوية المدرعة التي كانت في الجولان وسيناء والضفة الغربية قبل الحرب ، والالوية المدرعة التي عززت الجبهتين المصرية والسورية بعد بدء الحرب ، نجد ان الالوية المدرعة التي كانت تملكها اسرائيل هو ١٨ ــ ٢٠ لواء ، منها ٦ الوية عاملة على الاقل ، وان الدبابات التي كانت في اسرائيل هي حوالي ٢٥٠٠ ، دبابة الامر الذي يؤكد خطأ تقرير معهد الدراسات البريطانية الذي لا يمكن ان يكون عفويا .

الاسرائيليين الانسحاب امام المصريين ٢٠ــ٣٠ كيلو مترا واخذ موقع دفاعي قوي عند الممرات .

٤ ــ قرب مستوطنات سهلي الحولة وطبريا والمشروعات الاقتصادية الحيوية من الجولان ، وامكانية ضربهـا بالمدفعية السورية بعيدة المدى عيار ١٣٠ مم اذا تمكن السوريون مـن التشبث بالمنحدر المعاكس لهضبة الجولان (٨).

٥ ــ اعتقاد القيادة الاسرائيلية ان بوسعها ضرب السوريين بعنف ، وحسم المعركة معهم بسرعة ، والتوجـه بعد ذلـك لحسم المعركة مع المصريين .

٦ ــ ضعف الدفاع الجوي السوري بالنسبة الى الدفـاع الجوي المصري ، الامر الذي يسمح باستخـدام الطيـران الاسرائيلي لدعم القوات على الجبهة السورية بفاعلية اكبـر وخسائر اقل من حال استخدامه لدعم القوات على الجبهـة المصرية.

وفي هذا الوقت ، وبينما كانت القوات السورية تصفـي المقاومات الثابتة وتدمر وحدات الدبابات المعادية وتطاردها ، كانت ٣ مجموعات الوية (اوغدا) اسرائيلية تتحرك باتجاه خط القتال : مجموعة « رفول » في الشمال ، وتضم اللوائيـن (٧٩ مدرع و٣١ مظلات) . ومجموعة الوية « لانر » في الوسـط وتضم الالوية المدرعة (١٧ و١٤ و١٩) . ومجموعة الويـة « بيليد » في الجنوب ، وتضم اللوائين المدرعين (٢٠ و ٦٠).وقد دفعت مجموعة « لانر » بعض دبابات اللواء ١٧ لدعـم اللواء المدرع ٣٧ ، وشنت هجمات معاكسة محلية لم تعط اية نتيجة.

---

٨ ــ كان السوريون يملكون مدافع سوفياتية عيار ١٣٠ مم ، التي يبلغ مدى رميها الاقصى ٢٥ كيلو مترا . وكان وصول هذه المدفعية الى منحدرات الجولان يعني امكانية ضرب المطلة وصفد وطبريا ومشروع تحويل نهر الاردن ومشروع توتبرغ الهيدرو ــ كهربائي الهام .

وفي الساعة ٢٠٠٠ من يوم ٧/١٠ وصل وزير التجارة والصناعة اللواء « حاييم بارليف » (الذي استدعي الى الخدمة) الى مقر قيادة الجبهة الشمالية . وكانت رئيسة الحكومة غولدا مائير قد كلفته — بعد اخذ موافقة وزير الدفاع « دايان » ورئيس الاركان « اليعازر » — بالذهاب الى الجبهة السورية ، والتعرف على حقيقة الموقف ، واتخاذ التدابير المناسبة بالتعاون مع قائد الجبهة « حوفي » . وعقد بارليف فور وصوله اجتماعا حضره قائد المنطقة الشمالية وعدد من ضباط قيادته . ولقد تقرر خلال هذا الاجتماع شن هجوم معاكس على المحاور الثلاثة بغية صد الهجوم السوري ، واستعادة المناطق التي حررها السوريون في يومي ٦و٧ . وكان على مجموعة الوية « رفول » ان تقوم بهجومها في القطاع الشمالي ضد الفرقة الميكانيكية السابعة واللواء المدرع المستقل ٧٨ ،وكان على مجموعة الوية « لانر » ان تهاجم من الوسط ضد فرقة المشاة الميكانيكية التاسعة والفرقة المدرعة الاولى ، على حين كان على مجموعة الوية « بيليد » الهجوم من الجنوب ضد فرقة المشاة الميكانيكية الخامسة . وبناء على هذه المهمات اعيد تشكيل مجموعات الالوية . فاصبحت مجموعة الوية « رفول » تضم لواء المظليين الميكانيكي ٣١ ، وبقايا اللواء المدرع السابع ، وبقايا اللواء المدرع ٣٧ بعد تعزيزه بكتيبة من الاحتياط ، وبقايا لواء المشاة الميكانيكي (غولاني) . واصبحت مجموعة الوية « لانر » تضم اللوائين المدرعين ١٧ و ٧٩ . وغدت مجموعة الوية « بيليد » تضم الالوية المدرعة ١٤ و ١٩ و ٢٠ و ٦٠ .

وفي الساعة ٨٣٠ من صباح ٨ / ١٠ بدا الهجوم المعاكس الاسرائيلي بثلاث مجموعات الوية (اوغدا) مع تركيز الجهد الرئيسي على المحورين الاوسط والجنوبي ، حيث حقق السوريون خرقا اعمق ، وصار بوسعهم تهديد مجنبة مجموعة الوية « رفول » وقطع طريق القنيطرة — جسر بنات يعقوب .

ودارت في فترة (٨ — ١٠) تشرين الاول معارك عنيفة قرب القنيطرة ، وسنديانة ، وكفر نفاخ ، والخشنية ؛

والجوخدار » والسنديانة ، وتل الفرس ، وتل عكاشة » وعلى خط التابلاين الذي يجتاز الجولان من الجنوب الشرقي الى الشمال الغربي ، وعلى الطريق العرضانية مسعدة – تل الفرس . وكان السوريون يتمتعون خلال هذه المعارك بتفوق في المدفعية والمشاة » على حين كان العدو متفوقا بعدد الدبابات المستخدمة نظرا للخسائر التي اصابت قطعات الدبابات السورية خلال مرحلة الخرق والاندفاع بالعمق في يومي ٦و٧ . وكان الطيران السوري، الذي انضمت اليه اسراب من الطيران العراقي وبدأت تنفذ واجباتها القتالية منذ صباح ١٠/٧ » يقوم بدعم (اسناد) القوات البرية الى حد ما . ولكن نيران الدعم الاساسية كانت تتمثل بنيران المدفعية التي تابعت تنفيذ مهماتها بكفاءة عالية . وعاد الطيران المعادي الى النشاط النسبي فوق حقل المعركة بعد ان خفت كثافة رمايات الصواريخ السورية أرض – جو بسبب بعدها وتعرض قواعدها للقصف الجوي .

والحقيقة انه منذ صباح ١٠/٨ تحول ميزان القوى بالدبابات لصالح العدو ، لان القوات السورية لم تعد تملك قطعات دبابات سليمة لم تشترك في القتال العنيف من قبل سوى ٣ الوية (لواءان من الفرقة المدرعة الثالثة ولواء مدرع مستقل)؛ على حين دفع العدو الى الجبهة٦ الوية مدرعة سليمة لم تشترك في القتال من قبل (١٧ و ٧٩ و ١٤ و ١٩ و ٢٠ و ٦٠) . واذا كان اللواءان المدرعان الاسرائيليان ٣٧ و ٧ قد تكبدا خسائر اخرجتهما من المعركة تقريبا في يومي ٦ و٧ ، فان الوية المدرعات السورية كانت مصابة بخسائر ايضا بسبب رمايات الصواريخ الموجهة المضادة للدبابات ، ونشاط الطيران في بعض ساعات يوم ٧ / ١٠ .

ولقد بدا تفوق الدبابات العددي لصالح العدو بوضوح في منطقة الهجوم المعاكس الرئيسي (المحورين الاوسط والجنوبي)، حيث زج العدو بالويته الستة المدرعة المستريحة مقابل اربعة الوية خاضت معارك يومي ٦و٧ . ونظرا الى ان نسبة التفوق العددي بلغتحوالي ٣ الوية الى واحد،فقددفعت القيادة السورية

جزءا من احتياطها المدرع الاستراتيجي وبطاريات المدفعية والصواريخ الموجهة المضادة للدبابات الى هذا الاتجاه ، واحتفظت بالجزء الاكبر من الفرقة المدرعة الثالثة مقابل القطاع الشمالي على امل ان تستطيع فرقة المشاة الميكانيكية السابعة المدعومة باللواء المدرع ٧٨ تحقيق خرق تندفع منه فرقة الدبابات الثالثة لتحرير القنيطرة وضرب مجنبة ومؤخرة مجموعة الوية « لانر » المشتركة على خط التابلاين ، وقطع خطوط مواصلاتها .

وفي نهاية يوم ١٠ /١٠ استطاعت القوات المعادية العاملة على المحورين الاوسط والجنوبي استعادة الاراضي التي خسرتها في يومي ٦و٧ ، ووصلت الى خط وقف اطلاق النار للعام ١٩٦٧ ، حيث « اصطدمت جميع الالوية بنيران سورية شديدة مضادة للدبابات وتكبدت خسائر فادحة » (٩) . وعندما حاول اللواء المدرع ١٩ من مجموعة الوية « لانر » اجتياز خط وقف اطلاق النار عند « تل كودنا » بقوة نصف كتيبة ، جابهت المتقدمين نيران سورية شديدة صادرة عن التل ، واوقعت بهم خسائر كبيرة . وهنا اصدر « حوفي » قائد الجبهة الشمالية الى « لانر » امرا بايقاف الهجوم خشية ان تستمر مجموعة الويته في فقدان دباباتها بالمعدل نفسه (١٠).

جيب سعسع :

في مساء ١٠/١٠ ظهر امام قيادة العدو الاسرائيلي وضع جديد يتطلب قرارا سياسيا على اعلى المستويات . فقد وصلت قواتها في معظم اجزاء الجبهة السورية الى « الخط البنفسجي »(١١)، ولم يعد امامها لاعادة احتلال الجولان سوى الضغط باتجاه منطقة القنيطرة لدفع القوات السورية والوحدة المغربية الموجودة هناك الى ما وراء خط وقف اطلاق النار في العام ١٩٦٧ .

٩ ــ حاييم هرتزوغ ، حرب يوم الغفران ، قسم المعركة على الجولان ، الحلقة الخامسة ، يديعوت احرونوت ، ٢٥/١٠/١٩٧٤ .

١٠ ــ حاييم هرتزوغ ، المرجع السابق .

١١ ــ « الخط البنفسجي » هو خط وقف القتال في العام ١٩٦٧ .

وكانت مجموعات الالوية الثلاث تحس ، رغم الخسائر التي اصابتها في فترة (٨ـ١٠) تشرين الاول ، انها تملك القدرة على متابعة التقدم . ولكن هذا التقدم لم يعد مسألة عسكرية بحتة ، بل انتقل من المستوى العملياتي الى مستوى الاستراتيجية العليا والسياسة .

وفي الساعة ٢٢٠٠ من يوم ١٠ / ١٠ ، عقد في القيادة العسكرية الاسرائيلية العامة اجتماع لمناقشة مسألة تطوير الهجوم المعاكس الى ما وراء خط وقف اطلاق النار في العام ١٩٦٧ ، وحضر الاجتماع وزير الدفاع « دايان » وعدد من كبار المسؤولين العسكريين. وظهر خلال هذا الاجتماع رايان متباينان عسكريا وسياسيا .

ووقف « دايان » الى جانب الراي الاول القائل بأن الهجوم المعاكس حقق مهمته بعد ان دمر كبد القوات السورية، وابعد الخطر عن حدود هدنة ١٩٤٩ (١٢). وان من الضروري ايقاف الاندفاع في هذا الاتجاه ، والعودة الى احد مبادىء الاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية المتمثل في القتال على الخطوط الداخلية . وتجسيد هذه العودة بمسك خط الحدود السورية ــ الاسرائيلية بقوة محدودة ، ونقل الجهد الرئيسي الى الجبهة المصرية لحسم الموقف هناك . لان تحقيق الحسم العملي في سيناء سيؤدي الى حسم غير مباشر في الشمال، وسيجبر السوريين على ايقاف القتال بشكل آلي. وكان من اسباب تمسك « دايان » بهذا الراي تخوفه من التورط في هجوم داخل الاراضي السورية يستثير ردود فعل سوفياتية عنيفة . وبالاضافة الى ذلك ، فقد راى « دايان » ان الحسم على الجبهة السورية يتطلب عدة ايام قد يستغلها الجيش المصري فيندفع الى الشرق ويحتل المرات الاستراتيجية في سيناء بشكل يبدل معطيات الموقف على الجبهة الجنوبية .

---

١٢ ــ تسمى الادبيات العسكرية الاسرائيلية هذه الحدود باسم « الخط الاخضر » .

ومقابل هذا الراى السياسي ــ العسكري « كان « اليعازر » متحمسا للراي الثاني القائل بضرورة تطوير الهجوم في العمق السوري وفق مبدأ آخر من مبادىء الاستراتيجية الاسرائيلية ، وهو نقل المعركة الى ارض الخصم . ولقد بنى « اليعازر » فكرته على معطيات عسكرية بحتة هي : ١ ــ ان المصريين سيطيلون وقفتهم التعبوية قبل ان يتابعوا تقدمهم باتجاه الشرق . وان هذا سيعطي « حوفي » القدرة على حسم الموقف في الشمال ، ٢ ــ ان القوات الموجودة في سيناء كافية لاحتواء الهجوم المصري،في حالة انطلاقه،ومنعه من الوصول الى الممرات، ٣ ــ ان ايقاف الهجوم سيعطي السوريين المهلة اللازمة لاعادة تنظيم قواتهم بفضل الاسلحة والمعدات السوفياتية التي بدأت تتدفق على سورية بحرا وجوا « والاستعداد لشن هجوم معاكس كبير ، ٤ ــ ان القوات العراقية التي بدات الحركة الى سورية بشكل مفاجىء منذ يوم ١٠/٧ ستجد الوقت اللازم للتحشد بحجم هجومي .ولذا فان من الضروري حسم المعركة مع السوريين قبل تكامل وصولها ، ٥ ــ ان عدم حسم الموقف مع سورية واحتمالات عودة السوريين والعراقيين الى الهجوم ستمنع الجيش الاسرائيلي من نقل مركز ثقله الى الجنوب وحشد القوة اللازمة للقضاء على الجيش المصري .

ولم يصل المجتمعون الى قرار حول هذه المسألة . وعندما عرضوا الموضوع في الليلة نفسها على « مائير »، وقفت رئيسة الوزراء الى جانب الراي الثاني « بعد ان اكد لها « اليعازر »ان تصفية الجبهة السورية ستتم خلال وقت قصير يحرم السوفيات امكانية التدخل . وكان قرار « مائير » يستند ــ على المستوى السياسي ــ الى قناعتها بأن الاميركيين سيقفون الى جانب اسرائيل في كل تصرف يؤدي الى ضرب سورية بشكل يحد من تطرفها .

وما ان حصل « اليعازر » على القرار السياسي حتى اصدر الى « حوفي » امرا باستئناف الهجوم في صباح اليوم الثاني (١١ / ١٠) ، والتقدم باتجاه دمشق وتهديدها بشكل يجبر السوريين على طلب وقف القتال . ووضع « حوفي » خطته في

ليلة ١٠ ــ ١١ تشرين الاول . ونقل جهده الرئيسي من المحور الجنوبي الى المحور الشمالي، على اعتبار ان هذا المحور هو اقصر الطرق الى دمشق ، ويؤمن استناد الجناح الايسر للهجوم على سفوح جبل الشيخ بشكل يضمن عدم تعرض هذا الجناح لهجمات معاكسة قوية ، ولان عدم صلاحية الارض على المحور الشمالي لهجوم ارتال الدبابات جعلت السوريين يحصنون هذا المحور قبل الحرب بشكل اضعف من المحاور الاخرى، الامر الذي سيجعل التقدم عليه يحقق مفاجاة عملياتية تساعد على النجاح . ولقد راى « حوفي » ان عامل المفاجاة سياخذ بعدا كبيرا اذا تم نقل مركز الثقل الى الشمال ليلا » ودون ان يشعر به السوريون الذين حركوا جزءا من قواتهم الاحتياطية (دبابات ومدفعية وصواريخ مضادة للدبابات) لصد قوات « بيليد » و « لاتر » على المحورين الاوسط والجنوبي . ولتحقيق هذه الخطة ، اعاد « حوفي » توزيع قواته على الشكل التالي :

١ ــ مجموعة الوية « رفول » . وتضم لواء المظلات الميكانيكي ٣١ ، ولواء « غولاني » ، واللواء المدرع السابع بعد اعادة تنظيمه ودعمه بوحدات جديدة (١٣) . ولقد قسمت هذه المجموعة الى قوتين متتاليتين احداهما شمالية والاخرى جنوبية.

٢ ــ مجموعة الوية « لاتر » . وتضم اللوائين المدرعين ١٧ و ٧٩،بالاضافة الى اللواء المدرع ١٩ الذي سحب من مجموعة الوية « بيليد » لتقوية زخم الهجوم على المحور الرئيسي .

٣ ــ مجموعة الوية « بيليد » . وتضم ثلاثة الوية مدرعة (١٤ و٢٠ و٦٠) .

---

١٣ ــ يذكر هرتزوغ في الحلقة الخامسة من « المعركة على الجولان » ان اللواء المدرع السابع « كان قد ابيد ابادة تامة تقريبا » خلال معارك الصد السابقة (يديعوت احرونوت ، ٢٥ / ١٠ / ١٩٧٤) ولذا اعاد « رفول » تشكيله بحيث غدا عدد كتائبه) ضمت الدبابات التي كانت تابعة له ، وبقايا دبابات اللواء ٢٧ ودبابات مصابة اعيد اصلاحها ، ودبابات من الاحتياط .

وكانت مهمة (واجب) مجموعة الوية « رفول » التقدم شمالي طريق القنيطرة — سعسع (مستندة بجناحها الايسر على سفوح جبل الشيخ) ، واحتلال « حضر » و « مزرعة بيت جن » و « جبعاثا » و « خان ارينبة » و « خلاس » و « تل شمس » و « سعسع » . على حين كانت مهمة مجموعة الوية « لانر » التقدم على الطريق الرئيسية :القنيطرة — سعسع ، وان تنحرف قليلا الى الشمال وتسير وراء مجموعة الوية « رفول » اذا ما اعترضتها على هذه الطريق مقاومة عنيفة . اما مجموعة الوية « بيليد » فكان عليهاتغطية الجناح الايمن للهجوم الرئيسي، والاحتفاظ بقواها كاملة ، وانتظار اللحظة المناسبة التي تتجمع فيها القوى الاحتياطية السورية مقابل الهجوم الرئيسي ، والقيام عندئذ بتوسيع الخرق باتجاه حوران لتنفيذ حركة التفاف واسعة تطوق دمشق من الشرق ، وتمنع وصول اية قوات عراقية الى الجبهة ، وتردع الجيش الاردني وتمنعه من دخول المعركة .

وكان على المهاجمين ان يقوموا قبل الوصول الى دمشق باختراق ثلاثة خطوط دفاعيةحصنها السوريون منذ العام ١٩٦٧. ويمتد الخط الاول على طول حدود وقف اطلاق النار لعام ١٩٦٧، وكانت القوات السورية تتمركزفيه دفاعيا طوال السنوات الست الماضية . ويقع الخط الثاني على بعد ٢٠ كيلو مترا شرقي الخط الاول . ويبدأ من نقطة تقع غربي « قطنا » على الطريق قطنا — مرنة ، ثم يتجه جنوبا الى « سعسع » على طريق القنيطرة — دمشق ، حيث توجد عقدة قوية مضادة للدبابات ، وينتهي جنوبي« الشيخ مسكين » . اما الخط الثالث ، فيقع على مسافة ١٠—١٥ كيلو مترا شرقي الخط الثاني . ويبدأ من نقطة تقع الى الشمال الغربي من دمشق،ويتجه شرقا الى ما بعد « الكسوة » الواقعة على الطريق المؤدية الى « الصنمين » و « الشيخ مسكين » و « درعا » .

وفي الساعة ١١٠٠ من يوم ١٠/١١ انطلقت مجموعة

الوية « رفول » بعد قصف تمهيدي بالمدفعية والطيران (١٤) . ولقد اختار الاسرائيليون هذا التوقيت حتى لا تكـــون اشعة الشمس في وجه المهاجمين بشكل يعيق التسديد والرمي . وفي الساعة ١٣٠٠ تحركت مجموعة الوية « لانـــر » . ودارت في النصف الثاني من يوم ١٠/١١ معارك عنيفة . وتقدمت القـــوة الشمالية لمجموعة الوية « رفول » حتى مفــرق « حضـــر » ، واصطدمت بلواء المشاة السوري ٦٨ التابـــع لفرقـــة المشاة الميكانيكية السابعة ، ثم حاولت التقدم باتجاه « مزرعة بيـــت جن » ، ولكنها تعرضت لهجوم معاكس شنه احتـــياط الدروع التابع للفرقة الميكانيكية السابعة (٤٠ دبابة) المدعوم بالطيران، فاضطرت الى التوقف حتى نهاية اليوم .

ولم تحقق القوة القتالية الجنوبية لمجموعة الوية « رفول » سوى تقدم يسير ، فلقد جابهتها الفرقة الميكانيكـية السابعة بمصدات الصواريخ المضادة للدبابات وكبدتها خسائر كبيرة . وفي نهاية اليوم احتلت هذه القوة تلا صغيرا يقع شمالي « خان اريقبة » .

واصطدمت مجموعة الوية « لانر » بالفرقة الميكانيكية التاسعة. واستطاعت مصدات الصواريخ المضادة للدبابات التابعة لهذه الفرقة تدمير اعداد كبيرة من دبابــــات اللوائين المدرعيـــن الاسرائيليين ١٧ و٧٩ ، الامر الذي اجبر « لانر » على دفــــع اللواء المدرع ١٩ جنوبي الطريق الرئيســية حيث احتل « تــــل الشعار » . وادى تباين سرعة مجموعة الويـــة « رفـــول » ومجموعة الوية « لانر » الى انفتاح ثغره بين جناح « رفـــول » الايمن وجناح « لانر » الايسر . الامر الذي سمـــح لوحدات

١٤ ــ دعمت القيادة الاسرائيلية العليا القوات العاملة في الجولان بكتائب مدفعية متعددة العيارات ، ومن بينها كتائب تضم مدافع « م ــ ١٧٠ » مـــن عيار ١٧٥ مم والتي يبلغ مداها ٢٢٫٧ كيلو مترا . وخصصت جزءا كبيرا مـــن طلعات الطيران القتالي لدعم الهجوم على هذه الجبهة وقصف المطارات وقواعد الصواريخ ارض ــ جو في العمق السوري .

الفرقتين السوريتين الميكانيكيتين (٧ و٩) بتسديد هجمات معاكسة تكتيكية على هاتين المجنبتين.

وكانت مجموعة الوية « بيليد » خلال يوم ١٠/١١ تتقدم بحذر على ميمنة مجموعة الوية «لانر» حتى لا تبدد جهدها في الصدام مع الفرقة الميكانيكية الخامسة ، وتحتفظ بقواها لتنفيذ الالتفاف الاستراتيجي فيما بعد .

وفي ليلة ١١ــ١٢ تشرين الاول قامت المدفعية الصاروخية ومدفعية الميدان السورية على طول الجبهة بقصف تجمعات العدو . وشنت وحدات المشاة المسلحة بالقواذف المضادة للدبابات اغارات ليلة عنيفة على رؤوس الارتال الاسرائيلية المتقدمة . ولم يقم العدو (باستثناء اللواء ٧٩) باية عمليات تعرضية ليلية .

وكانت القوات السورية على المحور الشمالي قد تراجعت خلال يوم ١٠/١١ الى الخط الدفاعي الثاني على حين تراجعت الفرقة الميكانيكة الخامسة نحو الجنوب الشرقي عدة كيلومترات. واصبح انتشار القوات السورية على الشكل التالي : القوة المغربية على سفح جبل الشيخ ، ويليها الى الجنوب لواء مشاة مستقل ، فالفرقة الميكانيكة السابعة المتمركزة بين طريق قطنا ــ عرنة وطريق سعسع ــ دمشق ، ثم تأتي الفرقة الميكانيكية التاسعة المتمركزة حول سعسع . وكانت الفرقة الخامسة تتمركز غربي « نوى » بعشرة كيلو مترات،وتسد طريق البطمية-نوى ــ شيخ مسكين . وكانت قوات الدبابات الاحتياطية التي ضعفت الى حد بعيد مجتمعة خلف الفرقتين الميكانيكيتين ٧ و ٩ لسد طريق سعسع ــ دمشق وشرقي الفرقة التاسعة لصد الطريق الصنمين ــ دمشق ، اما اللواء المدرع الاردني ٤٠ المعد للعمل من الجهة السورية فكان آنذاك في الاراضي الاردنية يستعد لدخول سورية .

ولقد ادى هذا التجمع لى وجود فجوة بعرض ٢٠ كيلو

مترا بين الجناح الايسر للفرقة الميكانيكية التاسعة والجناح الايمن للفرقة الميكانيكية الخامسة . وكانت خطورة هذه الفجوة نابعة من العوامل الخمسة التالية :

١ — عرض الفجوة وصلاحية الارض فيها لتقدم الدبابات.

٢ — انفتاح الفجوة على محوري : البطمية — الصنمين — الكسوة — دمشق من جهة ، والخشنية — تل الحارة — الكسوة — دمشق من جهة أخرى .

٣ — عدم وجود قوى ضاربة مدرعة مجمعة في العمق وراء الفجوة للقيام بهجمات معاكسة كبيرة على مستوى فرقة لصد أي هجوم يندفع من خلالها . ووجود قوات مدرعة عربية منعزلة عن بعضها ؛ تبعد الواحدة عن الاخرى حوالي عشرين كيلو مترا (١٥).

٤—عدم امكانية سد الفجوة بالطيران السوري—العراقي..

٥ — وجود ٣ الوية مدرعة (مجموعة الوية « بيليد ») مستعدة للاندفاع من الثغرة والتوجه نحو الكسوة فدمشق بالتعاون مع لواء مدرع على الاقل من مجموعة الوية « لانر » .

وفي هذا الوضع الخطر بدأ العدو هجوم يوم ١٢ / ١٠ . وفي هذا الوضع الخطر دخل اللواء المدرع العراقي ١٢ (من الفرقة المدرعة العراقية الثالثة) الحرب مع وحدات مشاة ميكانيكية من لواء المشاة الميكانيكي الثامن التابع للفرقة نفسها . وبدأت مرحلة جديدة من معركة الصد على الجبهة السورية .

---

١٥ — كانت هذه القوات تتمثل بوحدات من الفرقة المدرعة السورية الاولى المتمركزة وراء وشرق الفرقة الميكانيكية التاسعة ، واللواء المدرع العراقي ١٢ الذي وصل الى منطقة الصنمين في مساء ١١—١٠ ، واحتياط الدبابات التابع للفرقة الميكانيكية الخامسة .

الفصل الخامس

عمليات الفرقة المدرعة الثالثة

ا – من ١٢ حتى ١٥ تشرين الاول

في صباح السابع من تشرين الاول ، قررت القيادة العراقية دفع الفرقة المدرعة الثالثة نحو جبهة الجولان . وكانت هذه الفرقة تشكل جزءا من القبضة الفولاذية الضاربة للقوات العراقية المسلحة المؤلفة من الفرقتين المدرعتين ٣ و٦ وفرقة مدرعة اخرى قيد التشكيل . ونظرا لانتشار الوية الفرقة الثالثة في مناطق متعددة من القطر العراقي . فقد تقرر ان تتحرك الالوية من معسكراتها مباشرة وبجحفل الالوية باتجاه سورية ، وان تضع نفسها منذ لحظة وصولها تحت تصرف القيادة السورية .

ويعتبر اللواء المدرع ١٢ اكثر الوية الفرقة حظا ، فلقد اختارته القيادة ليكون اول الالوية المدرعة المتحركة نحو الجبهة السورية ، فمنحته بذلك الشرف في ان يكون اول لواء مدرع عراقي يصطدم مع العدو الصهيوني على بطاح الجولان . وكان اللواء في يوم ١٠/٦ يتدرب خارج معسكره ، ويقوم بتمارين تخطي وعبور . وفي ١٠/٧ تلقى امر الحركة ، ووضعت تحت تصرفه جميع ناقلات الدبابات المتوفرة . وفي صباح ١٠/٨ بدات حركة رتل جحفل اللواء ١٢ المؤلف من كتيبتي دبابات (المعتصم ، وقتيبة) وكتيبة مشاة ميكانيكية (ك ٣ ميكا) وكتيبة

مدفعية،ووحدات مساندة ووحدات ادارية . وكان حجم القـــوة المتحركة لا يتناسب مع قدرة الناقلات على الرفع ، لذا ترك اللواء كتيبة دبابات القادسية (وهي كتيبة حديثة التشكيل) لترفعهـــا الناقلات فيما بعد .

وفي يوم ١٠ / ١٠ دخلت طلائع القبضة المدرعة الضـاربة العراقية غوطة دمشـق ، بعد ان قطعت حوالي ١٣٥٠ كيلومترا، فوجهتها القيادة السورية نحو « فقيع » ، وطلبـــت من قادة الوحدات البدء بالاستطلاع على المحور الجنوبي في قاطع عمـــل الفرقة الميكانيكية السورية الخامسـة،والاعداد لهجوم معاكس في هذا القاطع . وبينما كان القادة يقومـــون باسـتطلاعاتهم كانت الوحدات تصـل الى « فقيع » تباعا . وفي الساعة ٩٠٠ من يوم ١٠/١١ تحشـدت في « فقيع » كتيبتا المعتصم وقتيبـــة (دبابات) وكتيبة المشاة الميكانيكية التابعة للواء ، والكتيـــبة الميكانيكية الثانيه التابعة للواء الميكانيكي الثامن ، والتي وصلت الى دمشق في ١٠/٩ والحقت باللواء المدرع ١٢ فور قدومه لرفـــع نسبة وحدات المشـاة المرافقة للدروع .

اللواء المدرع ١٢ يدخل المعركة :

وفي الساعة ١١٠٠ من يوم ١٠/١١ حضر قائد الفرقـــة المدرعة الثالثة الى مقر قائد اللواء ، وابلغه ان اللـــواء المدرع ١٢ لم يعد تابعا للفرقة الميكانيكية الخامســة ، بل اصبح تابعـــا للفرقة الميكانيكية السورية التاسعة . وبدا القادة الميدانيـــون يستطلعون قاطع عمل هذه الفرقة . وفي ليلة ١٢/١١ تشريـــن الاول كلف اللواء المدرع ١٢ بشـن هجوم معاكس في قاطع عمـــل الفرقة الميكانيكية التاسعة عندما تعطي الفرقة كلمة (جفـــري زياد) . وكانت غاية الهجوم المعاكس ضرب المجنبة اليمنـــى لمجموعة الوية « لانر » المتوغلة في جيب سـعسـع . وايقـــاف تقدمها ودفعها حتى خط وقف اطلاق النار للعام ١٩٦٧ . وحدد للهجوم وثبتين (صفحتين): الوثبة الاولى حتى خط كفر ناسج ـتل الشعار ــ تل ايوبة ــ تل البزاق ، والوثبة الثانية تنتهي عـــند خط وقف اطلاق النار للعام ١٩٦٧ .

وبناء على هذا الواجب وزع قائد اللواء قواتـــــه الى ٣ مجموعات قتال .

ا ــ المجموعة اليمنى (جحفل قتيبة) وتضم : كتيبة قتيبة (دبابات) ، وكتيبة المشاة الميكانيكية الثانية (ل ميكا ٨) ، ومقر قيادة اللواء.وتتقدم على محور هقيبع ــ كفر شمس ــ تل عنتر ــ كفر ناسج . وتعمل تحت قيادة الرائد الركن هادي عبد الجبـــار الراوي .

ب ــ المجموعة اليسرى (جحفل المعتصم) وتضم كتيبـــة المعتصم (دبابات) وكتيبة المشاة الميكانيكية الثالثة (ل مدرع ١٢) . وتتقدم على محور قتيع ــ عقربة ــ تل المال ــ تـــــل الشعار . وتعمل تحت قيادة الرائد الركن زهير قاسم شكري .

جـ ــ مجموعة احتياطية تضم وحدات مشاة ميكانيكيـــــة وسرية دبابات سحبت من كتائب اللواء المقاتلة في المجموعتيـــن اليمنى واليسرى .

وكان السوريون قد خططوا لهذا الهجوم المعاكس مـــن قبل،وقرروا تنفيذه بلواء مدرع سوري ، واللواء المدرع العراقي ١٢ . ولكن اندفاع العدو باتجاه سعسع في يـــوم ١١ / ١٠ ، جعل القيادة السورية تسحب اللواء المدرع السوري مـــن هذا الواجب وتكلفه بمهمة صد هجوم العدو ، وتكتفي باللواء المدرع ١٢ لتنفيذ الواجب .

وفي الساعة ١٠٠٠ من يوم ١٢ / ١٠ عقد في مقر قيـادة اللواء المدرع ١٢ اجتماع حضره قائد الفرقة المدرعـــــة الثالثة وضباط الارتباط السوريون . وادخلت التعديلات الاخيرة على خطة الهجوم المعاكس ، ووزع ضباط الارتباط السوريون علـــى التطمات المهاجمة . وكان كل شيء جاهزا للانطلاق فور تلقي امر الفرقة الميكانيكية التاسعة . وكانت كتيبة مدفعية اللواء١٢ (وهي كتيبة متطورة) قد وصلت في صباح ١٢ / ١٠ ، واخذت مواقع الرمي ، وكلفت باسناد هجوم اللواء ؛ كمـــا خصصت

المدفعية السورية عددا من البطاريات لدعم الهجوم ، وتركت صلاحيات الاسناد الناري بيد قائد اللواء .

وعندما كان اللواء المدرع ١٢ يستعد لدخول المعركة ، كانت مجموعتا الوية « رفول » و « لانر » تتابعان الضغط باتجاه دمشق . وكانت مجموعة الوية « رفول » تحاول الوصول الى « بيت جن »و « تل شمس » وتتعرض لهجمات معاكسة سورية مستمرة ، على حين كانت مجموعة الوية « لانر » تحاول توسيع الجيب الى ناحية الشرق . وفي الساعة ٨٠٠ من يوم ١٢ / ١٠ اندفع اللواءان المدرعان الاسرائيليان ١٧ و١٩ باتجاه «تل المال» و«كفر ناسج» ، وتحرك اللواء المدرع ٧٩ خلفهما . وكانت فكرة «لانر» احتلال مجموعة التلال الممتدة من جبعا الى كناكر (١) ، والتمركز عليها لحماية الجيب من اي هجوم معاكس يأتي من جهة الشرق ، وتأمين الظروف الملائمة للالتفاف حول «سعسع» او للوصول الى محور كناكر — الكسوة — دمشق . واصطدم اللواءان ١٧ و١٩ بقطعات من الفرقة الميكانيكية التاسعة المتمركزة دفاعيا على خط التلال وفي « كفر ناسج » و « جبعا » ، ودارت طوال ساعات ما قبل الظهر معارك صد سورية تكبد المهاجمون خلالها خسائر كبيرة رغم التفوق الكبير في القوى لصالح المهاجمين .

وعندما صدر امر الهجوم المعاكس من قيادة الفرقة الميكانيكية التاسعة في الساعة ١٤٣٠ كان اللواء المدرع ١٩ قد احتل « كفر ناسج » واخذ يستعد للحركة باتجاه « كناكر » ، كما كان اللواء المدرع ١٧ قد احتل « مسحرة » بعد ان كبدته النيران السورية خسائر كبيرة (٢) ، ثم اتجه نحو « كفر

---

١ — تل المال ، تل مسحرة ، تل البزاق ، تل الشعار ، تل ايوبة ، تل العلاقية ، تل حمد ، تل قرين ، تل عنتر ، التل ٩٠٣ ، التل ١٢٧ ، التل ٨٨٦ .

٢ — حاييم هرتزوغ « حرب يوم الغفران » ، الحلقة السادسة ، يديعوت احرونوت ، ١—١١— ١٩٧٤

ناسج » لينضم الى اللواء ١٩ . وفي هذه الاثناء كان اللواء المدرع ٧٩ واقفا في منطقة « كفر ناسج » للتموين بالوقود والمشاركة ايضا في الهجوم على « كناكر » . ولهذا قرر قائد اللواء المدرع ١٢ الاندفاع حتى خط كفر شمس — دير العدس — ام العوسج والوقوف هناك لصد العدو ومنعه من توسيع الخرق باتجاه الشرق . وابلغ قائد اللواء المدرع ١٢ قائدي جحفلي تتية والمعتصم بذلك . وبعد ان انهت مجموعة الوية « لانر » ترتيب قواتها ، وامنت المصدات في كفر ناسج ، وتل مسحرة ، وتل البزاق ، وتل الشعار ، وتل ايوبة ، وضع « لانر » كتيبة دبابات على الجناح الجنوبي لمجموعة الويته ، وركز قيادة الامامية على « تل الشعار » ، ثم دفع القسم الاكبر من اللوائين المدرعين ١٧ و١٩ نحو الشمال على طريق كفر ناسج — كناكر . وهنا ايضا تعرض اللواء المدرع ١٧ لخسائر كبيرة (٣) . ولكن القوات الاسرائيلية تمكنت من التقدم حوالي ١٠ كيلو مترات ، واحتلت « التل ١٢٧ » الواقع على بعد ٤ كيلو مترات جنوبي "كناكر" . وبدأت بوادر انهيار دفاعات الفرقة الميكانيكية التاسعة .

وفي الساعة ١٥٠٠ وقف « لانر » على "تل الشعار" يراقب بالمنظار ارتال قواته المتحركة على طريق كفر ناسج — كناكر . وكان يأمل حسم معركة « كناكر » قبل حلول الظلام ، وان يستخدم في هذه المعركة لواءيه المدرعين ١٧و١٩، واللواء المدرع ٧٩ الذي كان على وشك الانتهاء من التموين بالوقود .« وبلحظة واحدة حدث توقف في المعركة ، ووجه (لانر) المنظار نحو الجنوب ، وتجمد في مكانه . فهناك على بعد ١٠ كيلومترات ، كانت قوة تقدر بـ ١٠٠ — ١٥٠ دبابة موزعة الى مجموعتين تتحرك باتجاه الشمال نحو قوته » (٤) . واعتقد « لانر » في البداية ان هذه الدبابات تابعة لمجموعة الوية « بيليد » ، وان هذه المجموعة نجحت في خرق مواقع الفرقة الميكانيكية الخامسة المدافعة عن محوري البطمية — نوى ، والبطمية — الصنمين.

---

٣ — حاييم هرتزوغ ، المرجع نفسه .

٤ — حاييم هرتزوغ ، المرجع نفسه .

فاتصل بقيادة الجبهة الشمالية التي اعلمـــته بان مجموعـــة الوية «بيليد» لا تزال متورطة في « الرفيد »،وان القوة التي شاهدها غير اسرائيلية . وادرك « لانر » خطورة الموقف ، خاصة وان ضخامة سحابة الغبار التي خلفتها الارتال العراقيـــة وراءها جعلت « لانر » يقدرها باكثر من حجمها الحقيقي الذي لم يكـن يتجاوز ١٠٠ دبابة ، كما ان اندفاع اللواء المدرع ١٢ بسرعـــة ٤٠ كيلو متر بالساعة باتجاه منطقة تتحشد فيها ٣ الوية مدرعة اسرائيلية دفعت « لانر » الى الاعتقاد بان اللواء المدرع ١٢ هو مقدمة قوة مدرعة كبيرة تندفع نحو مجنبته ، فامر اللواء المدرع ٧٩ بايقاف عملية التموين بالوقود وتوزيع قواته جنوبي « كفـر ناسج » . وامر اللواءين المدرعين ١٧ و١٩ بايقاف الضغط فـي اتجاه « كناكر » والانسحاب من اجل الدفـاع عن الجنـــاح الجنوبي. «يفوجي» قائدا اللوائين بهذا الامر ، وحاولا الاعتراض عليه ، وقالا ان السوريين ينسحبون ، والنصر في متناول اليد. ولكنه قاطعهما وامرهما بالانسحاب دون تاخير » (٥) . ويبدو ان مخاوف « لانر » من الخطر الذي يهـــدد جنـاح الجيب انتقلت الى قائد الجبهة الشمالية « حوفي » الذي امر اللـــواء المدرع ٢٠ بالانتقال من مجموعة الوية « بيليد » والالتحـــاق بمجموعة الوية « لانر » .

وهكذا ادى اندفاع اللواء المدرع ١٢ بسرعة نحو خـــط القتال الى ٤ نتائج عملياته هامة : فلقد اوقف هجـوم العـدو باتجاه كناكر ـ الكسوة ـ دمشق في منطقة صالحـــة لتقدم الدبابات ولا تحتلها سوى قوات سورية محدودة ومبعثـرة ، وجمد ٤ الوية مدرعة ، واضعف مجموعة الوية « بيليد » بنسبة ٣٥٪ بسبب سحب اللواء المدرع ٢٠ منها الامر الذي خلـف الضغط عن الفرقة الميكانيكية السورية الخامسة ، وحـــول معركة مجموعة الوية « لانر » من معركة هجومية الى معركة دفاعية .

ونشر « لانر » الويته الاربعة على الشكل التالي : اللواء

« ـ حليم هرتزوغ ، المرجع نفسه .

المدرع ٢٠ بين « مسحرة » و « تل المال » ، واللواء المدرع ٧٩ امام « كفر ناسج »، واللواء المدرع١٧ شرقي اللواء المدرع ٧٩ ، واللواء المدرع ١٩ شرقي اللواء المدرع ١٧ .

« وهكذا انتظرت قوات لاتر القوة السورية الجديدة، التي ظهر بعد ذلك انها امدادات عراقية » (٦) .

وفي الساعة ١٦٠٠ وصل جحفل كتيبة الى "كفر شمس" ووصل جحفل المعتصم الى "ام العوسج". وفي الساعة ١٦٣٠ اصطدم جحفل كتيبة وهو في رتل المسير باللواء المدرع ٧٩ المنتشر دفاعيا شمالي « تل عنتر » . واستخدم العدو نيران المدفعية والطائرات والدبابات والصواريخ المضادة للدبابات . وكان من حسن حظ هذا الجحفل ان قائد اللواء العقيد الركن سليم شاكر الامام كان معه ،وكان ارتباطه مع المدفعية العراقية والسورية جيدا ، لذا امكن دعم هجوم الجحفل بنيران المدفعية. وكان ميزان القوى في قاطع هجوم هذا الجحفل يميل الى جانب العدو بنسبة اثنين الى واحد بالدبابات ، ويعادل واحد الى واحد بالمدفعية والمشاة (٧).

---

٦ ــ حاييم هرتزوغ ، المرجع نفسه .

٧ ــ لقد حسب ميزان القوى في هذه المعركة بناء على النقاط التالية :

أ ــ ان كتيبة الدبابات العراقية (كتيبة) تضم حوالي ٤٥ دبابة . على حين ان اللواء المدرع الاسرائيلي الذي اصطدم بها (ل ٧٩) يضم ٨٠ــ٩٠ دبابة من اصل دباباته الـ ١١٠ التي خسر بعضها خلال المعارك السابقة ثم عوض جزءا من خسارته .

ب ــ كان مع جحفل كتيبة كتيبة مشاة ميكانيكية ومع اللواء المدرع ٧٩ كتيبة مماثلة .

جـ ــ حصل جحفل كتيبة على اسناد مدفعي قدمته كتيبة مدفعية اللواء وكتائب مدفعية سورية ، بينما حصل اللواء المدرع ٧٩ على اسناد مدفعي قدمته كتيبة مدفعيته وكتيبة مدفعية اللواء المدرع ١٧ المتمركز الى جواره ، وكتائب مدفعية مجموعة الالوية .

واستمرت معركة جحفل قتنية حتى الساعة ١٩٣٠ . ورغم تفوق الدفاع اصلا على الهجوم (٨) ، وتفوق العدو بالدبابات على المهاجمين ، فقد استطاع الجحفل دفع العدو الى ما وراء « كفر ناسج » بعد ان كبده خسائر كبيرة . واصيبت مجموعات الجحفل نفسه بعدد من الخسائر بالدبابات والعربات المدرعة ، فاضطر الى ترك « كفر ناسج » واخذ موقع دفاعي بين « كفر ناسج » و « تل عنتر » ، ومتابعة الاشتباك مع العدو بالنيران طوال ليلة ١٢—١٣ .

اما جحفل المعتصم ، فقد تابع التقدم من « ام العوسج » الى « تل الشمالي » . وعندما وصل الى "عقربة" تعرض لقصف جوي غير كثيف ورمي مدفعي مشتت من مدفعية اللواء المدرع ٢٠ . ولكنه تابع التقدم بسرعة واندفاع كبيرين حتى « تل المال » وهناك تأخر التقدم ٣٠ دقيقة لفتح ثغرة في حقل الغام زرعته وحدات المهندسين السوريين بعد انسحاب تطعمات الفرقة الميكانيكية التاسعة » وتمركزت لحراسته والدفاع عنه . ومع الضوء الاخير عبرت مجموعة الاستطلاع التابعة لجحفل المعتصم ثغرة حقل الالغام، وعندما اجتازت « تل المال » تعرضت في الساعة ١٩٠٠ للنيران الصواريخ المضادة للدبابات والمنطلقة من « تل الشعار » . وحاول قائد الكتيبة الاتصال مع قائد اللواء لطلب اسناد المدفعية ، ولكن التشويش المعادي منعه من ذلك . ولم يبق امامه سوى متابعة الهجوم بامكاناته الذاتية .

ومن حسن حظ جحفل المعتصم ان كتائب اللواء المدرع ٢٠ الاسرائيلي لم تكن قد وصلت كلها الى خط الدفاع ، وكانت

---

٨ — يتفوق الدفاع على الهجوم ، نظرا لان المدافع يستفيد من الارض للاختفاء وللرمي ضد خصم مكشوف . ولذا يزج المهاجم عادة قوة متفوقة على المدافع بنسبة ٢ او ٣ الى واحد حتى يحقق النصر . ولكن ميزان القوى في معركة جحفل قتنية كان معكوسا ، ومع هذا حقق المهاجمون الغرض ، ودفعوا العدو الى ما وراء « كفر ناسج » بفضل الزخم المعنوي الذي عدل ميزان القوى لصالح العراقيين .

احدى هذه الكتائب ضائعة تبحث عن لوائها . ونشر قائد جحفل المعتصم مجموعاته القتالية المجحفلة ، واندفع نحو «مسحرة» رغم نيران مدفعية ودبابات وصواريخ العدو . ودارت المعركة بين الدبابات من مسافة ٣٠٠ متر . واصطدمت الدبابات العراقية مع كتيبة الدبابات الاسرائيلية الضائعة التي توغلت عن طريق الخطأ داخل التشكيلة العراقية . واذهلت المفاجاة الاسرائيليين الذين تكبدوا بعض الخسائر ، واحاطت بهم الدبابات العراقية وبدأت تضربهم بعنف ، ولكنهم استطاعوا التملص بفضل اسناد المدفعية تاركين وراءهم ٢٠ دبابة سليمة (٩) من بينها ٤ دبابات بين « مسحرة » و « تل البزاق » (١٠) .

وحافظ جحفل المعتصم على المبادرة ، وقرر قائده متابعة القتال ليلاً مع استخدام الاجهزة تحت الحمراء واضواء القنابل في مؤخرة الابراج . ودارت معركة ليلية كان فيها ميزان القوى بالدبابات والمشاة واحد الى واحد . وكان التفوق المدفعي فيها لصالح العدو نظراً لتعذر اتصال الجحفل مع قائد اللواء لطلب اسناد المدفعية ، وعدم وجود ضباط ارتباط سوريين لطلب النيران من المدفعية السورية . واظهرت القوات العراقية كفاءة جيدة في القتال الليلي ، واستطاعت المجموعة الاولى احتلال « تل البزاق » ، وسيطرت المجموعة الثانية بالنيران على « تل مسحرة » ، وخلصت مجموعة من الفدائيين كانت محصورة بين «تل المسحرة » وقرية « المسحرة » وامنت لهم طريق الانسحاب نحو الخطوط السورية ، وانحرفت المجموعة الثانية نحو اليمين ووصلت الى سفوح « تل الشعار » فوجدتها خالية . ولم يخسر الجحفل خلال هذا الهجوم سوى دبابتين وعربة استطلاع مدرعة .

وكما أدى عدم وجود ضابط اتصال سوري مع جحفل

---

٩ — من حديث مع اللواء الركن اسماعيل تايه النعيمي ، معاون رئيس اركان الجيش لشؤون العمليات .

١٠ — من حديث مع الرائد قائد جحفل المعتصم .

المعتصم الى حرمانه من الاسناد المدفعي ، فقد ادى عدم وجود ادلاء سوريين ، ونقص الخرائط ، وعدم استطلاع الارض بشكل دقيق قبل الهجوم الى ضياع الجحفل وتوجهه الى « تل البزاق » بدلا من « تل الشعار » . ولكن قائد الكتيبة الميكانيكية الثالثة المجحفلة مع كتيبة المعتصم اكتشف هذا الخطأ بواسطة «الجيرو» وطلب في الساعة ٢١٠٠ من قائد الجحفل تصحيح الاتجاه .

ولقد وجد قائد جحفل المعتصم ان تصحيح الاتجاه والانحراف نحو اليمين قد يؤدي الى اصطدام غير مقصود مع جحفل قتيبة الذي لم يكن الاتصال معه مؤمنا . لذا قرر القائد ايقاف التقدم والعودة الى « طيحة » للانطلاق من جديد باتجاه « تل الشعار ».

وفي الساعة ٢٢٠٠ تجمع الجحفل من جديد في « طيحة » . واعاد القائد توزيع الواجبات . فكان على المجموعة الاولى ان تهاجم السفح الايسر « لتل الشعار » ، وتترك سرية ميكانيكية على « تل البزاق » ثم تتابع التقدم بين « تل البزاق » و « تل الشعار » . وكان واجب المجموعة الثانية مهاجمة « تل الشعار »من اليمين، وكانت المجموعة الثالثة خلفها كاحتياط. وكان من المقرر شن الهجوم دون اسناد مدفعي . ولكن قائد الجحفل التقى في « طيحة » بضباط مدفعية سوري اعلمه ان مرصده في « تل المال » « وأن بوسعه ان يقوم برمايات تمهيد على « تل الشعار » . فطلب منه قائد الجحفل رميا تمهيديا من الساعة ٢٣٣٠ حتى الساعة ٢٤٠٠ ، حيث سينطلق الهجوم لاحتلال « تل الشعار » و « تل البزاق » قبل طلوع الضوء . ولقد اكد قائد جحفل المعتصم لضابط المدفعية السوري ، انه سيقوم بالهجوم في الساعة ٢٤٠٠ سواء قامت المدفعية برمي التمهيد ام لا (١١).

في هذه الاثناء بدل « لانر » ترتيب قواته وانتشارها بعد الضربات التي تعرضت اليها في الساعات السابقة وبعد انسحاب جحفل المعتصم الى «طيحة» . فوزع اللواء المدرع

---

١١ — من حديث مع الرائد قائد جحفل المعتصم .

١٩ على سفوح «تل الشعار» ، ووضع اللواء المدرع ٧٩ شمالي اللواء المدرع ١٩ حتى مفترق الطرق ونشر باتجاه «كفرناسج» . ونشر اللواء المدرع ١٧ بين اللواء المدرع ٧٩ "وكفر ناسج" ، بينما بقي اللواء المدرع ٢٠ على الطريق بين « مسحرة » و « جبعا » ، واصبحت الالوية الاسرائيلية الاربعة تشكل مربعـــا ناقصـــا « صندوقا » مفتوحا باتجاه الشرق بين « مسحرة » و « كفــر ناسج » . كانت اطرافه « تل مسحرة » ، « جبعا » ، « مفترق ماعص » ، « كفر ناسج » ، وكان عرض فتحته ٧ كيلو مترات .

وبدات المدفعية السورية رمي التمهيد في الساعة ٢٢٣٠. وفي الساعة ٢٤٠٠ اندفع جحفل المعتصم باتجاه فتحة الصندوق الذي كان بمثابة كمين مدرع باربعة الوية . وكان القمر متكاملا يضيء ساحة المعركة . وعندما اتصل ضابط الاستطـــلاع الاسرائيلي مع «لانر» واعلمه بان القوات العربية تتقدم باتجاه فتحة « الصندوق » لم يصدق « لانر » اذنيه ، وذهب الى نقطة المراقبة للتأكد بنفسه . واصدر الامر بتوجيه جميع مدافع وصواريـــخ ودبابات مجموعة الالوية نحو مركز « الصندوق » « واطـــلاق النار على كل هدف متحرك . وما ان دخل جحفل المعتصم وسط « الصندوق » حتى فتحت عليه نيـــران الدبابات والمدفعــية والصواريخ . ولكن الرمايات كانت مشتتة وغير مؤثرة .

ووصلت المجموعة المهاجمة الاولى الى « تل البـــزاق » واحتلته وسيطرت على السفح الجنوبي « لتل الشعار » وتمركزت المشاة الميكانيكية على « تل البزاق » لتامين قاعدة امينة للدبابات التي انطلقت باتجاه السفح الجنوبي « لتل الشعار » واخــذت ترمي على دبابات العدو ومدافعه المتمركزة وراء التل . ولـــم تستطع المجموعة الثانية تحقيق نجاح مماثل لانها كانت تجذب نحو نيران العدو ، ولان المشاة الميكانيكية لم تستطع مواكبـــة المشاة . وفي الساعة ٢٠٠ من يوم ١٣/١٠ بـــدات تباشيـــر الصباح ، ولكن الدبابات تابعت التقدم مع اضاءة ضياء القاذفة في مؤخرة البرج . وطلب قائد الجحفل زيادة سرعة الهجـــوم لاحتلال «تل الشعار» قبل طلوع الصباح . واعلم قائد المجموعة

الثانية قائد الجحفل بأن تقدمه يصطدم بمقاومة عنيفة . فزج قائد الجحفل المجموعة الثالثة بين « تل الشعار » و «تل ايوبة ». وبدأت المشاة التابعة للمجموعة الثالثة احتلال « تل ايوبة » ، على حين اندفعت الدبابات نحو مفرق طريق « ماعص » والطريق المؤدية الى « كفر ناسج » . وبقيت الوية المدرعات الاربعة التابعة لمجموعة الوية «الانر» في عطالة تامة طوال الليل؛ ولم تقم بأي هجوم معاكس ضد جحفل كتيبة مدرعة واحدة ،ولم تحاول اغلاق « الصندوق » على هذا الجحفل . وتبادل العرب والاسرائيليون في ليلة ١٢—١٣ تشرين الاول الادوار التي لعبوها في حرب ١٩٦٧ ، فاصبح العرب رواد القتال الليلي ، وتبع الاسرائيليون في الخنادق والحفر يرمون من الثبات .

وفي هذا الوضع ، وقبل انجاز الواجب ، وقبل اكمال تطويق « تل الشعار » من اليمين ، ظهر الضياء الاول . واخذ رمي العدو شكلا اكثر دقة . وقامت الطائرات المعادية بقصف جحفل المعتصم ، وتعاملت معها الرشاشات المضادة للطائرات المركبة على ابراج الدبابات . ولم تتدخل الصواريخ ارض — جو السورية لحماية الجحفل ، لان منطقة القتال كانت خارج مدى عمل هذه الصواريخ . وهنا كان التفوق العام للعدو في منطقة « الصندوق » بنسبة ٤ ضد واحد بالدبابات والمشاة علاوة على اسناد المدفعية والطيران ، كما كان التفوق المحلي في مكان الصدام بنسبة ٢ ضد واحد بالدبابات والمشاة علاوة على المدفعية والصواريخ والطيران . ومع هذا تابع جحفل المعتصم الهجوم . وظهرت المجموعة الاولى على مؤخرة « تل الشعار » بشكل هدد مواصلات اللواء المدرع ١٩ . واستمرت المعركة النهارية دائرة حتى الساعة ٧٤٥ من يوم ١٣ / ١٠ . وعندما لاحظ قائد الجحفل تعذر التقدم ، وتزايد دقة رمي العدو، وظهور رتل معاد متقدم من اتجاه « ماعص » ، وارتفاع خسائر جحفله بالدبابات الى ٢٥ ٪ من مجموع الجحفل ، اصدر امرا بالانسحاب الى «طيحة» و «تل المال». وبدا الانسحاب دون اسناد بالمدفعية نظرا لانقطاع الاتصال مع قائد اللواء كما رأينا . واكد قائد الجحفل لقادة المجموعات ضرورة اجراء انسحاب منتظم .

وكان يكرر لهم باستمرار « انسحبوا بالنار والحركة ولا تجعلوا انسحابنا هزيمة » (١٢) . وقام المنسحبون بقتال تراجعي بالنار والحركة تحت انظار ونيران الالوية المدرعة ٢٠و١٩١ و٧٩ ، على اعتبار ان اللواء المدرع ١٧ كان مشتبكا مع جحفل قتيبة . ونسف المنسحبون اسلحة الدبابات الاسرائيلية الاربعة السليمة التي تركها العدو في مطلع الليلة السابقة بين « مسحرة » و « تل الشعار » ، ثم قاموا بتدميرها . اما الدبابات السليمة الاخرى فقد سحبتها مجموعات الانقاذ السورية في ليلة ١٢—١٣ .

ورغم طلوع النهار ، وتفوق العدو وقدرته على تحديد حجم القوة داخل « الصندوق » ، فان مجموعة الوية « لاتر » بقيت ثابتة في اماكنها ، ولم تغلق « الصندوق » ، واكتفت بالرمي على الجحفل المنسحب ومطاردة المجموعات المتجهة نحو «تل المال». وانتسرعة اعداد الهجوم ، وعدم الاستطلاع المسبق بشكل كاف ، والجهل الكامل بالارض ، وعدم وجود خرائط مع قادة المجموعات (١٣) الى انسحاب الجحفل على عدة اتجاهات . وفي الساعة ١٠٠٠ تم خروج الجحفل من « الصندوق » ، وتجمع في « طيحة » حيث تعرض لقصف جوي . وردت الدبابات على القصف برمايات الرشاشات المضادة للطائرات من عيار ١٢٫٧ مم ، فاسقطت طائرة هبط طيارها بالمظلة داخل منطقة العدو فنجا من الاسر .

ثم تابع جحفل المعتصم انسحابه الى منطقة « تل الشمالي » وراء « عقربة » ، باستثناء مجموعة التحقت بجحفل قتيبة الذي كان مشتبكا آنذاك مع العدو . والحقيقة ان قاطع

---

١٢ — من حديث مع الرائد الركن قائد جحفل المعتصم.

١٣ — اكد الرائد الركن قائد جحفل المعتصم ان الالحاح في تنفيذ الهجوم المعاكس باي ثمن وباسرع وقت ممكن قد ادى الى عدم القيام بالاستطلاع ، وعدم حصول جحفله الا على خارطتين احتفظ بواحدة منهما واعطى قائد الكتيبة الميكانيكية المتجحفلة معه واحدة .

جحفل قتيبة لم يكن هادئا طوال ليلة ١٢ ـ ١٣ . فلقد هاجم اللواء المدرع ١٧ قرية « كفر ناسج » واعاد احتلالها ، ودفع جحفل قتيبة حتى « تل عنتر » . وفي الساعة ٥٣٠ من صباح ١٠/١٣ اندفع الجحفل من جديد لاسترداد « كفر ناسج » . واستطاع احتلال « تل حمد » في الساعة ٨٠٠ ، ثم تابع تقدمه نحو « كفر ناسج » ، ودمر عددا من دبابات وناقلات جنود العدو على مشارف القرية . وعندها شن العدو هجوما معاكسا اوقف جحفل قتيبة الذي اخذ موضعا دفاعيا شمالي « تل حمد »، وصد هجوما معاديا ثانيا في الساعة ١٣٠٠ ، ثم انسحب الى « تل حمد » من جديد .

وفي هذه الفترة كان جحفل المعتصم قد تحرك من « تل المال » الى « كفر شمس » التي وصلها في الساعة ١٣٠٠ . وبعد ٣ ساعات التحق باللواء عند « تل حمد » ، بعد انقطاعه عن لوائه حوالي ٢٤ ساعة ، خاض الجحفل خلالها معركتين ليليتين ومعركة نهارية دون اي اسناد مدفعي او جوي ، ودون ان يكون قائد الجحفل على علم بما يجري حوله . ولقد خسر الجحفل خلال معاركه الثلاث ١٦ دبابة ، و١٢ عربة نقل جنود مدرعة ، وعربة استطلاع مدرعة واحدة ، والحق بالعدو خسائر كبيرة ، وجمد قوة تفوقه ٤ مرات على الاقل وجعل « لانر » يرسل الى قيادة الجبهة الشمالية تقارير متشائمة خلقت في هذه القيادة جوا من التوتر والانتظار طوال الليل . وعندما ظهر الصباح وعرف حجم القوة العراقية التي كانت داخل « الصندوق » وسببت لمجموعة « لانر » كل هذا الاضطراب والمطالة « بدأت تسمع من القيادة ملاحظات لاذعة . وشعر « لانر » بعدم الارتياح » (١٤) .

وهكذا حقق هجوم اللواء المدرع ١٢ المفاجيء والحازم مهمته في المعركة التصادمية ، واوقف مجموعة الوية « لانر » وحرمها

---

١٤ ـ حاييم هرتزوغ « الحلقة السادسة ، يديعوت احرونوت ، ١ ـ ١١ ـ ١٩٧٤ .

من القيام بحركة التفاف واسعة والخروج على محور دمشق . ودفع اللواء ثمن ذلك حوالي ٢٠٪ من مجموع دباباته (١٥) . ولقد كان للصدمة التي قام بها اللواء المدرع ١٢ تاثير معنوي على العدو ، فمنذ يوم ١٣/١٠ وحتى وقف القتال ، تخلى « لانر » عن حرب الحركة التي طالما تبجح الاسرائيليون بامتلاك القدرة على تنفيذها ، وتبنى عوضا عنها اسلوب الحرب الثابتة .وبدلا عن الهجوم والخرق والتغلغل بالعمق ، انتقلت القوات الاسرائيلية الى الدفاع السيار ، واخذ القتال في قاطع عمل القوات العراقية كما سنرى شكل هجمات محدودة تكتيكية متبادلة ، ضمن اطار الصراع على التلال والمواقع الحاكمة وتحسين المواضع الدفاعية . وفقدت مجموعة « لانر » اية قيمة استراتيجية ، وتحولت الى قوة ضخمة تراوح في مكانها بلا فاعلية .

معركة كفر ناسج الاولى (١٣/١٠)

في صباح يوم ١٣/١٠ تمالكت مجموعة الوية « لانر » نفسها ، واستعادت توازنها بعد ان عرفت حقيقة الوزن المادي للقوة التي ضربت جناحها الايمن في اليوم السابق وطوال ليلة ١٢–١٣ . ولقد حاول قادة العدو تفسير عطالتهم من جهة واندفاع القوات العراقية من جهة اخرى ، بان طبيعة وحجم القوة المهاجمة لم يكونا معروفين في مقر قيادة « لانر » » وبان قادة الهجوم كانوا يجهلون بالتاكيد ضخامة القوة الاسرائيلية التي سيصطدمون بها ، والا لما قاموا بهجومهم بمثل هذا الاندفاع والاصرار،ولاكتفوابأخذ مواقع دفاعية على خط تل المال

---

١٥ – كانت خسائر كتيبة المعتصم من الدبابات تعادل ٣٠ ٪ من مجموع قوتها ، على حين كانت خسائر كتيبة قتيبة اقل من ذلك ، وهذا ما عدل نسبة الخسائر الاجمالية في اللواء .

ـ تل عنتر ـ التل ٨٨٦ (الواقع شرقي كناكر).

وكان تفكير قادة العدو منطقيا من الناحية النظرية .ولكنه كان يتجاهل ٣ عوامل اساسية اعطت جحفل اللواء المدرع ١٢ زخمه ، وجعلته يندفع كالسهم نحوقوة متفوقة عليه ثلاث مرات، ثم يتابع الاندفاع بالزخم نفسه بعد ان اصبحت هذه القوة متفوقة عليه اربع مرات . ولم تكن هذه العوامل سوى: القوة المعنوية، وروح الفداء « والاستعداد للتضحية بكل شيء في سبيل انقاذ عاصمة الامويين . ولقد تبين قادة العدو خطأ تفكيرهم في يوم ١٣/١٠ ، اذ ان جحفل اللواء المدرع ١٢ الذي قاتل بضراوة خلال يوم كامل ، وخسر جزءا من قواته ، لم يأخذ موقعا دفاعيا عند«تل عنتر» بل عاد الى القيام بفاعليات هجومية لاستعادة خط كفر ناسج ـ قرية المال.

واعاد قائد اللواء المدرع ١٢ توزيع قواته.فاخذ كتيبة المشاة الميكانيكية الثالثة من جحفل المعتصم ، ودفعها الى « كفرشمس» لاعادة التنظيم . وشكل قوة احتياطية من الكتيبة الميكانيكية الثانية (ل ٨ ميكا) وسرية دبابات من كتيبة المعتصم . ووضعها في « كفر شمس » . وعزز جحفل قتيبة ببعض رعائل كتيبة المعتصم . ولم يترك مع قائد كتيبة المعتصم سوى مجموعة قتال (سرية مجحفلة) ، طلب منها التجمع في الخلف لاعادة التنظيم والتموين والاستعداد لدخول المعركة في صباح ١٤/١٠ .

وفي هذه الاثناء كان جحفل قتيبة يأخذ مواضع الانطلاق مقابل « كفر ناسج » . وفي الساعة ١٧٠٠ من يوم ١٣ /١٠ بدات المدفعية العراقية والسورية تقصف مواقع العدو . واندفع جحفل قتيبة باتجاه « كفر ناسج » . وفوجئت قطعات اللواء المدرع ١٧ بهذا الهجوم الذي لم تكن تتصور حدوثه . واعتقد «اوري»، قائد اللواء المدرع ١٧ ، ان قوات عراقية جديدةدخلت

المعركة (١٦) ، لان دروس التكتيك التي تعلمهـــا في الدورات العسكرية كانت تؤكد له ان شن مثل هذا الهجوم في ميـــزان القوى القائم وبدون وجود امدادات جديدة يدخل في مجـــال المستحيلات . فأمر قطعاته بالانسحاب من « كفر ناسـج » التي دخلها جحفل تتيبة في الساعة ١٩٣٠ وتمركز فيها بانتظار الهجوم المعاكس .

القتال على التلال (١٤/١٠)

لم يقم العدو بهجومه في ليلة ١٣ ــ ١٤ . ولم يكن هنـــاك اي سبب مادي يفسر عطالته . ولعل الاسرائيليين « ابطـــال القتال الليلي » ارادوا تقديم دليل آخر على انهم فقدوا هـــذا اللقب الذي لم يحصلوا عليه الا في ظروف حرب ١٩٦٧ الخاصة جدا (١٧) . وفي الساعة ٥٣٠ من صباح ١٤/ ١٠ بدأت مدفعية وصواريخ اللواء المدرع ١٧ تقصف جحفل تتيبة من الجبهـــة والجانب الايمن . ثم شنت مجوعات الدبابات والمشاة الميكانيكية

١٦ ــ يؤكد حاييم هرتزوغ في كتابه « حرب يوم الغفران » قناعة القيادة الاسرائيلية بان « اللواء المدرع ١٢ حصل بعد هجوم يوم ١٢/١٠ على امدادات تعادل لواءا مدرعا فيقول بعد شرح معارك يوم ١٢/١٠ « وفي هذه الاثناء ، تم امداد الفرقة العراقية الثالثة باللواء المدرع الاخر التابع لها . وفي الساعة ٣٠٠ من صباح يوم السبت ١٣ تشرين الاول شن العراقيـــون هجومـــهم » (يديعوت احرونوت ، ١/١١/١٩٧٤) .

والحقيقة ان اللواء المدرع ١٢ تابع المعركة في يوم ١٢/١٠ دون امدادات ، وكان بالاضافة الى ذلك ناقصا كتيبة دبابات (كتيبة القادسية) . ولكن زخـم هجومه اوقع القيادة الاسرائيلية في خطأ التقدير .

١٧ ــ ان من اكبر اخطاء الاسرائيليين انهم اعتبروا خبرات حرب ١٩٦٧ قواعد ثابتة تصلح للتطبيق في كل زمان ومكان ، مع انها كانت خبرات خاصة في في حالة تضافرت فيها السيطرة الجوية » والمفاجأة ،والانهيار الاستراتيجي العربي العام » وعدد من العوامل الاخرى ، بشكل جعل الانتصار مؤمنا للقوات البرية الاسرائيلية منذ صباح ٦ حزيران .

المعادية هجوما نهاريا دفع جحفل قتيبة الى الخلف عدة كيلو مترات . ثم توقف الجحفل امام « تل العلاقية » و « تل عنتر » وتشبث بالارض بقوة . وفي الساعة ٨٠٠ ، بينما كان جحفل قتيبة مشتبكا مع العدو بضراوة ، حضر قائد كتيبة المعتصم الى المقر الامامي لقائد اللواء ، واعلمه ان قوته اعادت تنظيمها وغدت مستعدة لدخول المعركة . فطلب منه البقاء بجانبه وانتظار الاوامر . وفي الساعة ٩٠٠ علم قائد اللواء ان دبابة قائد جحفل قتيبة الرائد الركن هادي عبد الجبار الراوي قد اصيبت ، وان الرامي والمخبر استشهدا ، وان قائد الكتيبة مصاب بجرح بليغ (١٨)، فامر قائد كتيبة المعتصم باخذ المجموعة القتالية الموجودة معه ، والتسلل عبر الوادي الى يسار ميدان المعركة ، والالتحاق بجحفل قتيبة ، واستلام قيادته ، والتمسك بخط تل العلاقية — تل حمد — تل المال . واندفع الرائد زهير مع دباباته فوصل الى مسافة ٨٠٠ متر من«تل حمد». واعلم قائد اللواء انه ينوي احتلال التل . ولكن القائد المشرف على ساحة المعركة لاحظ ان العدو عزز قوته في « تل حمد » بشكل جعل من المتعذر احتلاله بالمجموعة القتالية الوحيد المتوفرة، فامر الرائد زهير بالبقاء في موقعه ومشاغلة العدو بالنيران . واعطاه واجب تصحيح نيران المدفعية الصديقة التي كانت تنصب على التل . ولم يكن امام قائد اللواء المدرع ١٢ سوى متابعة المعركة النارية التي كانت الشكل الوحيد الممكن للقتال في ظل ميزان القوى القائم . ولقد شبه العقيد الركن سليم شاكر الامام المعركة التي خاضها لواؤه في يوم ١٤ « باصطدام قطارين مندفعين على سكة حديدية واحدة ، وتحطم عرباتهما . ولكن القطار الاسرائيلي عوض خسارته بقوة احتياطية ، بينما تابع اللواء العراقي القتال بقواه الذاتية رغم الخسائر التي اصابته في المعارك السابقة »(١٩).

واستمرت المعركة الثابتة بالنيران طوال النهار بين

---

١٨ — استشهد الرائد الركن هادي عبد الجبار الراوي بعد فترة وجيزة متاثرا بجراحه .

١٩ — من حديث مع الرائد الركن قائد كتيبة المعتصم .

مجموعات جحفل قتية ومجموعة من جحفل المعتصم من جهة واللواء المدرع الاسرائيلي ١٧ من جهة اخرى . ولم يحصل اللواء المدرع ١٢ على قوات جديدة في هذا اليوم ، بل سحبت منه على العكس الكتيبة الميكانيكية الثانية واعيدت الى لوائها (ل ٨ ميكا). واشتركت المدفعية العراقية والسورية في المعركة، وكانت تقصف « تل حمد » و « كفر ناسج » بشكل مؤثر . ولقد حاول العدو خلال هذه المعركة الانتقال الى الحركة من جديد ، ندفع مجموعة قتالية (سرية مجحفلة) لجس النبض على الجناح الشمالي (الأيمن) لتل عنتر . فأمر قائد اللواء١٢ المجموعة الاحتياطية الموجودة في كفر شمس بالتقدم من يمين « تل عنتر » وصد مجموعة العدو . وكانت قوى المجموعتين متكافئة . وكان من المنتظر ان يقع بينهما قتال تصادمي تقليدي . ولكن المجموعة الاسرائيلية آثرت عدم الاصطدام ، وانسحبت قبل ان تصل دبابات الطرفين الي مسافة الاشتباك . ولم يشترك الطيران الاسرائيلي في معركة ١٤ / ١٠ ، ولكن الطيران العربي قام بقصف « تل حمد » و « كفر ناسج » و « ماعص » ، وخسر طائرة سقطت بين « تل قرين » و « تل حمد » .

سقوط تل عنتر (١٥ / ١٠)

في ليلة ١٤ — ١٥ تحولت المعركة الى رمايات متبادلة بالمدفعية والصواريخ . ولم تقم القطعات المدرعة العراقية او الاسرائيلة بهجمات ليلية . واذا كان ميزان القوى يفسر سبب عدم قيام اللواء المدرع١٢ بمثل هذه المبادرات التعرضية، فان الميزان نفسه يدفع الى التساؤل عن سر عدم قيام « لانر » بهذه المبادرات.ولم يكن «لانر»مضطرا لان يستخدم اللواء المدرع ١٧ ف العمليات الليلية ، فلقد كان بوسعه مشاغلة العراقيين باللواء المدرع ١٧ وضغطهم باللواء المدرع ٧٩ واستخدام اللواء المدرع ١٩ المنتشر امام « تل الشعار » او اللواء المدرع ٢٠ المنتشر عند «مسحرة » لشن هجوم مضاد قوي على الجناح الجنوبي (الايسر) للواء المدرع ١٢ . ولو انه فعل ذلك في يوم ١٤ / ١٠ ، او في ليلة ١٤—١٥ لوضع اللواء المدرع ١٢ في موقف حرج جدا .

ولكن « لانر » نسي فجأة كل دروس قتال المدرعات المبني على الحركة والمناورة وضرب المجنبات والظهور على المؤخرات وتسديد الضربات غير المباشرة . ولعله نسي ان يحمل معه الى الميدان كتب ليدل هارت الذي تدعي اسرائيل انها امينة على مبادئه العسكرية ، وجلب معه بدلا عن ذلك كتب موشي التي استوحى منها خطة استخدام اللواء المدرع ١٧ لمناطحة اللواء المدرع ١٢ في منطقة التلال شرقي « كفر ناسج » .

وافادت القوات العراقية من هدوء ليلة ١٤ ـ ١٥ لاعادة التنظيم وتحصين المواقع وتنظيم خطة النيران ، وحصلت على وحدات صواريخ « كوبرا » المضادة للدبابات . كما افاد العدو من هذا الهدوء لتقديم بطاريات صواريخه المضادة للدبابات الى السفوح المشرفة على مواقع اللواء المدرع ١٢ . وفي صباح ١٠/١٥ ارسل قائد اللواء ١٢ مجموعة قتالية لتعزيز مجموعة قائد كتيبة المعتصم . وفي الساعة ١١٠٠ قصف العدو مواقع اللواء المدرع ١٢ بالمدفعية والصواريخ . واستمر القصف حتى الساعة ١٣٠٠ . وكان القصف عنيفا ومؤثرا ، واصيبت عدة دبابات اصابة مباشرة ومن بينها دبابة قائد المجموعة التي عززت الرائد زهير . وجرح قائد المجموعة كما جرح قائد رعيل الاستطلاع . وفي الساعة ١٣٠٠ شن العدو هجوما شاملا على اللواء المدرع ١٢ من ثلاث جهات ، واستخدم القنابل الدخانية لاعماء الدبابات ومنعها من الرمي . ولكن قائد رعيل الاستطلاع الملازم محمود ، الذي وصفه قائد كتيبة المعتصم بانه ضابط شجاع ، اندفع الى الامام رغم جرحه ، ولاحظ ان رتلا معاديا يندفع باتجاه يمين « تل عنتر » لتطويق اللواء ، فاعلم قائد الكتيبة . وصعد الرائد زهير على ظهر دبابته وشاهد الرتل المعادي مفتوحا بالنسق ، ويتقدم بسرعة وهو يرمي من الحركة ، فاندفعت سرية دبابات من القوة الاحتياطية لصد هذا الرتل . وفي الساعة ١٤٣٠ انقض العدو على التل من اليمين والامام . وتعرضت المجموعات اليسرى لهجوم عنيف ، وحاول قائد اللواء استخدام سرية من كتيبة الدبابات الثالثة (التابعة للواء الميكانيكي ٨) الموجودة في المنطقة لشن هجوم معاكس على جناح العدو الايسر . ولكن هذه السرية تأخرت ولم تستطيع تنفيذ الواجب .

وفي الساعة ١٥٠٠ امر قائد اللواء المدرع ١٢ الوحدات الباقية من جحفل تتيبة بالانسحاب الى ما وراء تل عنتر تحت ضغط العدو. كما امر قائد كتيبة المعتصم بالتصرف وفق متطلبات الموقف . فانسحب الرائد زهير الى ما وراء « تل عنتر ».وفي هذه الاثناء كانت ناقلة قائد اللواء المدرع ١٢ تتعرض لرمي كثيف على احد سفوح « تل عنتر »ولكن سائق الناقلة كان يبدل مكانه باستمرار . وفي الساعة ١٥٣٠ سقط « تل عنتر » بيد العدو . وانسحبت مجموعات اللواء المدرع ١٢ باتجاه « كفر شمس » فطاردها جحفل مدرع معادي على طريق تل عنتر — كفر شمس، ولكن هذا الجحفل المعادي اصطدم بموقع الكتيبة الميكانيكية الثانية التي وضعها قائد اللواء الميكانيكي ٨ في اليوم السابق لحماية هذا الطريق بعد ان استعادها من اللواء المدرع ١٢ . واستطاعت الكتيبة الميكانيكية الثانية صد جحفل العدو بعد ان كبدته عددا من الخسائركما سنرى فيمعارك اللواء الميكانيكي الثامن .

وفي « كفر شمس » اعاد قائد اللواء السيطرة على لوائه مع الضياء الاخير . وجمع قادة الكتائب لتقدير الموقف وتحديد الخطة الجديدة . وهنا تصرف العقيد الركن سليم شاكر الامام كضابط دبابات مخلص لمبادىء حرب الحركة.فرغم الصدمة التي اصابت لواءه والخسائر التي لحقت به وكانت تعادل ٥٠٪ من الدبابات ، ورغم تفوق العدو ، فقد قرر قائد اللواء المدرع ١٢ شن هجوم ليلي معاكس لاسترداد«تل عنتر» .وطلب من قادة الكتائب تنظيم مجموعاتهم والاستعداد لهذا الهجوم . وكان على اللواء ان يتقدم على محورين ، بحيث تكون كتيبة المعتصم على اليسار وكتيبة تتيبة بقيادة الرائد عدنان على اليمين (٢٠) . وكان قائد اللواء المدرع ١٢ يأمل الافادة من كتيبة الدبابات الثالثة (ل ٨ مكا) خلال هذا الهجوم . بيد ان قيادة الفرقة المدرعة الثالثة رات عدم القيام بهذا الهجوم المعاكس الليلي ، وتاجيل معركة

---

٢٠ — كان الرائد عدنان يتبع دورة تدريبية في الاتحاد السوفياتي . وعندما اندلعت الحرب سحب من الدورة مع زملائه وارسل الى الجبهة . ولقد التحق باللواء المدرع ١٢ في كفر شمس في يوم ١٥/١٠ . واستلم قيادة كتيبة قتيبة التي استشهد قائدها في يوم ١٤ /١٠ .

« تل عنتر » الى اليوم التالي ، على ان يقوم بها اللـــــواء المدرع السـادس الذي تكامل تحشده . وسـحبت اللواء المدرع ١٢ الى منطقة السن الصخري لاخذ مواقع دفاعية (مواقع سـتارة)واعادة التنظيم .

ومنذ تلك اللحظة اخذ اللواء المدرع السادس على عاتقه واجب مهاجمة العدو ، وبدا اللواء المدرع ١٢ يتلقى التعويضات بالدبابات . ثم انسحب في يوم ١٠/١٩ الى منطقة « بصيـــــر » حيث انضمت اليه كتيبته الثالثة (كتيبة القادسـية) التي كانـــــت متأخرة بسبب ناقلات الدبابات . واصبح اللواء متكاملا مــــن ثلاث كتائب دبابات وكتيبة مشاة ميكانيكية ووحدات مسانــــدة وادارية . لهذا ادخلته القـــــيادة السورية في خطة الهجـــــوم المعاكس الاستراتيجي الذي تقرر تنفيذه في٢٢ ـــ ٢٣ تشريـــــن الاول . وكان دوره في هذه الخطة ان يتقـــــدم في النسق الاول للهجوم باتجاه «تلمسحرة»و «تل البزاق».وان يكون اللواءالمدرع العراقي السـادس على يمينه واللواء المدرع الاردني ٤٠ على يســاره .

ملاحظـــات على معارك اللواء المدرع ١٢

ان اهم ملاحظة بالنسبة الى معارك هذا اللواء هـــو انه خاض معركة الصد باسلوب هجومي ديناميكي جعل العدو يقدره باكثر من عدده ، ويبقى متحفظا امامه حتى بعد ان اكتشف بانه لواء ناقص كتيبة دبابات . وبقدر ما طبق اللـــــواء المدرع ١٢ اسـاليب وتكتيكات حرب المدرعات ، حتى آخر لحظة ، فقد فرضت عليه الاوضـاع العامة للجبهة في يــوم ١٠/١٢ دخـــــول المعركة دون تطبيق التدابير اللازمة لاعداد المعركة .

ولقد حظي اللواء خلال القتال بدعم مدفعـــي فعـــال قدمته المدفعية العراقية بالاضافة الى المدفعية السـورية التي اجمــع قادة الوحدات العراقية المقاتلة انها كانت في كل مكان ، وشاركت في المعركة بشكل رائع ، ولم تظهر سـلبيات المدفعية المقطـــورة

التي لا تتلاءم كثيرا مع تكتيك المدرعاتنظرا لان المعركة دارت في منطقة محدودة وذات عمق معقول .

اما على صعيد الدعم الجوي، فقد قدمت الطائرات السورية والعراقية للواء بعض الدعم ، ولكنها لم تلعب الدور الحاسم . كما ان الطائرات المعادية كانت محدودة النشاط والتاثير ، ولم تكن عنصرا موجودا ومقررا في نتيجة المعركة .

والملاحظة الاخيرة هي ان معارك اللواء المدرع ١٢ هي — باعتقادنا — اول معركةفي تاريخ قتال المدرعات تستطيع فيها قوة مدرعة الهجوم على قوة مدرعة اخرى ، تماثلها من الناحية التكنولوجية ، وتتفوق عليها عدديا بنسبة لا تقل — في اكثر التقديرات تواضعا — عن ثلاثة الى واحد ، وتجميدها ، ومشاغلتها ،والمناورة ضدها هجوميا ودفاعيا خلال ٤ ايام متتالية . ومن الممكن التاكيد بشكل جازم ، على انه لو دخل اللواء المعركة بكامل كتائبه لما نقص زخم هجومه في يوم ١٤/١٠، ولما احس في اليوم التالي بانه مضطر للانسحاب من "تل عنتر" بسبب ذوبان قطعاته ، وانعدام القوة الاحتياطية اللازمة لادامة المعركة بالعنف المطلوب . ولقد كان من الممكن تلافي هذه المسألة لو ان كتيبة الدبابات الثالثة (ل ٨ ميكا) وصلته في يوم ١٤/١٠ او في ليلة ١٤ — ١٥ ، واعطت قائد اللواء اداة ملائمة للمناورة بالوسائط .

ب — من ١٦ الى ٢٢ تشرين الاول

بدات حركة اللواء المدرع ٦ من الفرقة المدرعة ٣ منذ ان بدأ اللواء المدرع ١٢ حركته . ولكن نقص ناقلات الدبابات والحاح القيادة السورية على نقل اكبر كمية من الدروع في اقصر وقت ممكن ، دفعا اللواء المدرع ٦ الى التنقل على السلاسل للتقرب من الحدود السورية الى اكبر مدى ممكن . وبعد ان تجمع اللواء غربي نهر الفرات تابع تقدمه الى "المحمديات"، ثم انتقل على السلاسل حتى وصل "الكيلو ١٦٠" في مساء ١٣/١٠ ، حيث كان

اللواء المدرع الاخر من الفرقة (ل ١٢) يقاتل العدو على اكثر من ٨٠٠ كيلو متر . وعندما وصل اللواء « ايج تري » وجد عددا من الناقلات التي رفعت كتيبة دبابات واحدة ، ثم حضرت ناقلات اخرى فرفعت كتيبة دبابات اخرى وسريتين من كتيبة المشاة الميكانيكية ، بينما بقيت كتيبة دبابات وسرية مشاة ميكانيكية تنتظر دورها في الكيلو ١٦٠ .

وفي الساعة ٥٠٠ من يوم ١٥/١٠ وصلت طلائع اللواء غوطة دمشق ، فابلغتها مفارز الشرطة العسكرية السورية ان تتجه الى « الكسوة » حيث تجد مأوى مجهزا للدبابات وعربات نقل الجنود المدرعة . ولم تجد القطعات في « الكسوة » صعوبة في الالتجاء داخل مواضع معدة مسبقا . وكان من الممكن ان يشكل هذا الامر ميزة كبيرة لو ان طيران العدو كان في تلك الفترة نشيطا . ولكن سلاح الجو الاسرائيلي المشغول آنذاك في دعم مجموعات الالوية المشتركة في صد الهجوم المصري باتجاه ممرات سيناء ، لم يبد نشاطا ملحوظا فوق « الكسوة » .

وفي الساعة ٢٠٠٠ تكامل اللواء ٦ في « الكسوة » حيث تجمعت كتيبتا دبابات وسريتا مشاة ميكانيكية وكتيبة مدفعية ووحدات اسناد ووحدات ادارية . وكانت الدبابات بحاجة لصيانة سريعة بعد رحلتها الطويلة على السلاسل ، كما كان الجنود والطواقم بحالة ارهاق بدني شديد . وقد كان من المفروض ان يبقى اللواء في « الكسوة » ٢٤ ساعة يستريح فيها من عناء الرحلة ويستعد للمعركة ، ولكن تطور الموقف على خط القتال ، وانسحاب اللواء ١٢ الى «كفر شمس» بعد ان ادى واجبه بشكل مشرف ، خلق فجوة يمكن للعدو ان يتسلل منها الى محور صنمين ـ الكسوة ـ كناكر ـ دمشق . بشكل يهدد دمشق، ويفصل القوات السورية المدافعة امامها عن القوات الموجودة جنوبي طريق كناكر ـ دمشق ، والمؤلفة من اللواء المدرع العراقي ١٢، ولواء المشاة الميكانيكي العراقي ٨ ، واللواء المدرع الاردني ٤٠ الموجود في منطقة قريبة من « تل الحارة » ، والفرقة الميكانيكية السورية الخامسة المشتبكة مع مجموعة الوية « بيليد » على المحور الجنوبي ، ووحدات متفرقة من الفرقة الميكانيكية

السورية التاسعة المتمركزة شمالي القوات العراقية . وكان بوسع هذا التقدم الاسرائيلي ان يقطع طريق الكسوة ــ صنمين، الامر الذي سيعقد بالتالي امدادات القوات العراقية والسورية، ويعرقل وصول بقية القوات العراقية المتحركة باتجاه الجبهة . ولذا قررت القيادة السورية زج اللواء المدرع ٦ مكان اللواء المدرع ١٢، فورا وبدون ابطاء وقبل ان يستطلع قــادة التشكيلات ارض المعركة او يتعرفوا على الموقف .

معركة كفر ناسج الثانية (١٠/١٦)

في الساعة ٢٤٠٠ من يوم ١٥ تلقى آمر اللواء المدرع ٦ امرا بالاشتراك في الهجوم المعاكس المنوي اجراؤه في صباح ١٠/١٦. وكان هدف هذا الهجوم ايقاف مجموعة الوية « لانر » وتكبيدها خسائر مادية ومعنوية ، واستعادة « تل عنتر » و « مسحرة » ، والوصول الى خط كفر ناسج ــ مسحرة ، وخلق الظروف الملائمة لشن هجوم استراتيجي كبير فيما بعد بمجموع القوات العراقية ــ السورية ــ الاردنية التي سيتم جمعها . وكانت القوة المتوفرة لشن هجوم يوم ١٠/١٦ هي : اللواء المدرع العراقي ٦ ، واللواء المدرع الاردني ٤٠ ، (ويضم ٨٠ دبابة)(٢١)؛ واللواء الميكانيكي العراقي ٨ المتمركز في منطقة كفر شمس ، ولواء المشاة العراقي ٢٠ الذي وصل دمشق في يوم ١٠/١٥ ، وتقرر دفعه الى « دير العدس » . ولهذا كان امام القيادة السورية خياران هما : ١ ــ تسديد ضربة جبهية مشتركة باللوائين المدرعين ٦ و ٤٠ من الشرق الى الغرب ، ٢ ــ تسديد ضربتين متزامنتين . احداهما باللواء المدرع العراقي ٦ من الشمال الى الجنوب على مجنبة العدو الشمالية (اليسرى) ، والثانية باللواء المدرع الاردني ٤٠ من الجنوب الشرقي الى الشمال الغربي على مجنبة العدو الجنوبية (اليمنى) ، بحيث يلتقي اللواءان

---

٢١ ــ محمود عزمي « القوات المدرعة الاسرائيلية عبر اربع حروب » ، مركز الابحاث الفلسطيني ، بيروت ، ١٩٧٥ ، ص ٥١٠ .

المهاجمان على خط كفر ناسج ـ مسحرة . ولقد فضلت القيادة السورية الخيار الاول للاسباب التالية :

١ ـ ان فكي الكماشة العراقي والاردني « في الخطة الثانية ، اضعف من مجوعة الوية « لاتر » (٤ الوية مدرعة مصابة بخسائر تعادل ٣٠ ٪) . الامر الذي يجعلهما غير قادرين على تطويق العدو واطباق فكي الكماشة عليه ، وغير قادرين على صد الهجمات المعاكسة التي سيشنها احتياط العدو من خلف « تل الشعار » على ميمنة اللواء المدرع ٦ او ميسرة اللواء المدرع ٤٠ .

٢ ـ ان الضرب من الجانبين سيؤدي الى استخدام اللواءين المدرعين بصورة متفرقة ، على حين ان الضرب من جانب واحد سيجعل القطعات المدرعة تقاتل بكتلة ضاربة مجمعة وفق افضل اساليب قتال المدرعات ، وسيحقق بالتالي نتائج افضل .

٣ ـ ان الاندفاع من الشرق الى الغرب سيجعل القوات المهاجمة تستند الى قاعدة متينة من المشاة منتشرة في منطقة كفر شمس ـ دير العدس ، وتضم لواء ميكانيكا (ل ٨ ميكا) ولواء مشاة (ل ٢٠ مش) ، وتضم في منطقة « تل الحارة »وحدات من الفرقة الميكانيكية السورية الخامسة .

وهكذا فرضت موازين القوى على القيادة السورية التخلي عن الاسلوب غير المباشر (ضرب الاجنحة والالتفاف والتطويق) واجبرتها على اللجوء الى الهجوم الجبهي المباشر ، لايقاف العدو بالصدمة ، ومنعه من التفكير بمتابعة التقدم ، وكسب الوقت ريثما تتجمع الفرقة المدرعة العراقية السادسة، ويدخل اللواء المدرع الاردني ٩٢ الاراضي السورية ، وتعيد القوات السورية تنظيمها وتؤمن استيعاب الاسلحة الجديدة التي تصلها ، ويصبح ميزان القوى ملائما لشن هجوم معاكس واسع النطاق . وعلى كل حال ، فان الهجوم المباشر على خط

كفر ناسج — مسحرة الذي انتشرت مجموعة الوية « لانر » ، عليه خلال معاركها مع اللواء المدرع ١٢ ؛ كان في الوقت نفسه دجوما على المجنبة اليمنى للقوات الاسرائيلية الموجودة في جيب سعسع .

وفي ليلة ١٥ — ١٦ تشرين الاول كان اللــواء المدرع الاردني ٤٠ في موقع بين « تل الحارة » و « نوى » على طريق « الشيخ مسكين » ، الامر الذي يسمح له بالانطلاق نحو اهدافه دون تحركات اضافية ، بينما كان على اللواء ٦ ان ينتقل من « الكسوة » الى « الصنمين » ، ليأخذ قاعدة انطلاق مقابلة لاهدافه . ولهذا تحرك اللواء المدرع ٦ في الساعة ٣٠٠ باتجاه « الصنمين ». وفي الساعة ٥٠٠ حضر قائد الفرقــة المدرعة الثالثة الى مقر اللواء المدرع ٦ وشرح فكـرة المعركة ، واعطى اللواء مهمته واعلمه بان اللواء المدرع الاردني ٤٠ سيكون الى يساره وسيعمل كجزء من الفرقة المدرعة الثالثة نظـرا لان السوريين وضعوه تحت تصرف هذه الفرقة . ولم يكن امـام قادة التشكيلات سوى ٩٠ دقيقة للقيام بالاستطلاع ؛ وتوزيع الواجبات ونشر التشكيلات . لذا تمت كل هذه الامور علـى عجل ، واخذ الاعداد للهجوم طابع الهجوم غير المحضر ، او ما يدعى بالهجوم على عجل . بيد ان الهجوم على عجل (وهـو نوع من انواع الهجوم) لا يطبق الا ضد دفاع معد على عجل ، او ضد قوات معادية متحركة ، او قوات معادية مدافعة منهكة وتقف على حافة الانهيار ، او قوات معادية صغيرة . ولم يكن الوضع في ١٠/١٦ ينطبق على اية حالة مـن هذه الحالات الاربع ، فالعدو متشبث بالارض منذ عدة ايام استطاع خلالها تحصين مواقعه ودراسة الارض واعداد خطة النيران ، وهو بالاضافة الى ذلك متفوق على القوات المهاجمـة بنسبة ١،٥ ضد واحد في الدبابات (٢٢) ، بدلا من ان تكون القوات المهاجمة

---

٢٢ — حسب ميزان القوى وفق المعطيات التالية :

— ان اللواء المدرع العراقي ٦ (ناقص كتيبة) يضم حوالي ٩٠ — ٩٥ دبابـة .

يتبـع

متنوقة عليه بشكل يسمح بالهجوم . وبالاضافة الى ذلك ، فان قطعات العدو بدات تستلم منذ يوم ١٥/ ١٠ صواريخ « تـــاو » المضادة للدبابات ، وقذائف مدفعية من عيار ١٥٥ مم ، التـــي كانت مع الشحنات الاولى للجسر الجوي الاميركـــي وطائرات انعال الاسرائيلية التي شاركت فيه . وبهذا تم تعويـــض النقص الخطير في تذائف المدفعية ١٥٥ مم (الذي اشار اليه دايان بعد بضعة ايام في الكنيست) (٢٣) . وكانت نقطة الضعف الوحيدة في مجموعة الوية « لانر » تتمثل في الروح الدفاعيـــة التي سيطرت على تشكيلات المجموعة منذ صدمة يوم ١٢/ ١٠ .

وفي الساعة ٦٣٠ من صبـــاح ١٠/١٦ بـــدا الهجـــوم والشمس في وجه المدافعين ، وكانت قذائف المدفعية السورية والعراقية تنهال بشدة على مواقع العدو . واشترك في اسنـــاد الهجوم ٣ كتائب مدفعية عراقية (٢٤) ، و٦ كتائـــب مدفعية سورية ، وكتيبتا مدفعية صاروخية سوريـــة « كاتيوشا » . واجتازت الدبابات مواقع المشاة الصديقة المتشبثـــة بالارض . وكان قادة الدبابات المطلين من ابراجهم ينظرون باطمئنان الى درع المشاة الميكانيكية الذي يحمي رمح الدبابات الموجه الى صدر العدو . وعندما اجتازت مقدمة اللواء المدرع الاردني ٤٠ « تـــل الحارة » متجهة نحو «تل مسحرة» ، كانت مقدمة اللواء المدرع العراقي ٦ تجتاز « كفر شمس » متجهة نحو « تل الملاقيـــة » و « تل عنتر » .

ـ ان اللواء المدرع الاردني ٤٠ يضم ٨٠ دبابة .

ـ ان مجموعة الوية « لانر » كانت تضم في الاساس حوالي ٤٠٠ ـ ٤٤٠ دبابة . ولكنها كانت في يوم ١٠/١٦ تملك ٦٠ ٪ من قوتها فقط نظرا للخسائـــر التي اصابتها .

٢٣ ـ حاييم هرتزوغ ، حرب الغفران ، الحلقة السابعة ، يديعـــوت احرونوت ، ١٩٧٤/١١/٨ .

٢٤ ـ كتائب مدفعية الالوية : ل ١٢ مدرع ، ول ٦ مدرع ، ول ٨ ميكا .

كان اللواء المدرع ٦ يتقدم بجحافل الكتائب ، جحفل اليرموك (دبابات) من اليمين ، وجحفل كتيبة المقداد (دبابات) الى يساره ؛ وخلفهما جحفل كتيبة المشاة الميكانيكية الاولى (ل مدرع٦). ولم يكن الجحفل الميكانيكي يشكل احتياطا كافيا بيد قائد اللواء خاصة وان عدد الدبابات الموجودة فيه ، ونوعية اسلحته المضادة للدبابات (٢٥) لم تكن تعطي قائد اللواء القدرة على المناورة بقوة كافية تملك امكانات النار والصدمة ، لهذا كان نظام معركة اللواء غير متوازن بالشكل المطلوب لمجابهة لوائين مدرعين معاديين (١٩و٢٠) . ولقد ظهرت نتائج ذلك خلال المعركة .

وحوالي الساعة ١٠٠٠ وصل اللواءان المدرعان ٦ و٤٠ الى مقربة من مواقع العدو . وبدأت القذائف والصواريخ تنصب عليهما من الامام والجانب. وعندما وصل اللواء المدرع الاردني ٤٠ مقابل تل المال توجه غربا باتجاه اللواء المدرع المعادي ١٧ ودفع «ران» قائد اللواء المدرع ١٧ دباباته الى سفوح التل وفتح النار على اللواء المدرع ٤٠ . ودارت المعركة بين اللواءين المدرعين الاردني والاسرائيلي . وكان عدد دبابات الطرفين متماثلا تقريبا . ولكن الجانب الاسرائيلي كان يمتاز على الجانب الاردني بامتلاك الصواريخ الموجهة المضادة للدبابات وبالتمركز دفاعيا داخل مواضع اعدها منذ يوم ١٣ / ١٠ ، الامر الذي جعله متفوقا بنسبة اثنين ضد واحد على الاقل . وفي الساعة ١٢٠٠ انسحب اللواء المدرع ٤٠ باتجاه تل الحارة بعد ان خسر ٢٠ـ٢٨ دبابة (٢٦) .

وعندما كان اللواء المدرع الاردني يتجه نحو « تل المال »

---

٢٥ ـ لم تكن بطاريات الصواريخ السوفياتية الموجهة المضادة للدبابات (« ساغر » ، و «سنابير» ،و «سوونر») قد دخلت الخدمة في الجيش العراقي انـذاك .

٢٦ ـ الرقم الاول مأخوذ من مصادر عربية ؛ والرقم الثاني مأخوذ من مصادر اسرائيلية .

كان الاواء المدرع ٦ يندفع نحو « تل عنتر » و « تل العلاقية » .
ووسط غبار انفجارات القذائف والصواريخ انقض الجحفل الايمن (جحفل اليرموك) على السفح الشرقي للتل ، على حين انقض الجحفل الايسر (جحفل المقداد) على السفح الغربي .
وفي الساعة ١١٫٠٠ استطاع الجحفل الايمن احتلال السفح وتدمير القوات المعادية المتمركزة عليه وانفتح امامه الطريق نحو « تل العلاقية » فاندفعت بعض وحدات الجحفل الى هذا التل . واستطاع الجحفل الايسر والجحفل الميكانيكي احتلال السفح الايسر . وهنا انصبت نيران المدفعية والصواريخ على اللواء المدرع ٦ من مواقع العدو المجاورة . ولم تكن المشاة الميكانيكية المرافقة كافية للتعامل مع نيران العدو ، وحماية الدبابات، ومسك الارض التي تم الاستيلاء عليها،وصد الهجمات المعاكسة التي بدأ اللواءان المدرعان الاسرائيليان ١٩ و٢٠ يشنانها على « تل عنتر »،ولهذا قام قائد الفرقة المدرعة الثالثة بتعزيز اللواء المدرع ٦ بالكتيبة الميكانيكية الاولى (ل ٨ ميكا) المتمركزة في « جدية » ، فاندفعت الكتيبة بقيادة المقدم الحمداني نحو «تل عنتر» في الساعة ١٢٫٠٠،وعندما وصلت الى سفوح التل امرها قائد اللواءالمدرع ٦ المقدم الركن غازي محمود العمر بالترحل والتقدم باتجاه « تل عنتر » على الاقدام وباقصى سرعة ممكنة لتعزيز الدبابات التي استولت على سفوح التل ، وعمل مصدات مضادة للدبابات ، والتشبث بالارض المكتسبة حتى يستطيع الجحفلان المدرعان متابعة تقدمهما . وتعرضت هذه الكتيبة لرمايات كثيفة . ولم تسمح لها اسلحتها المضادة للدبابات بالتعامل المجدي مع مصادر النيران لان مدى رمي المدفع «ب ١٠» والصاروخ الموجه « كوبرا » كان اصغر من مسافة الدبابات والصواريخ المعادية التي كانت ترمي من الثبات (٢٧) .

واستطاع العدو تثبيت اللواء المدرع ٦ على « تل عنتر »

---

٢٧ — من حديث مع المقدم عبد الكريم نصيف الحمداني قائد الكتيبة الميكانيكية الاولى (ل ٨ ميكا) .

مستخدما الدبابات والصواريخ المضادة للدبابات بالتناوب . فلقد كانت الصواريخ ترمي على الدبابات المهاجمة حتى توقفها وتجبرها على الانسحاب . وعندما تبدأ الدبابات العراقية بالتراجع للخروج من مدى نيران الصواريخ كانت الدبابات المعادية تندفع لمطاردتها . وفي اللحظة التي تقف فيها الدبابات العراقية تتوقف الدبابات الاسرائيلية ، ثم تنسحب الى الخلف ، وتتقدم الصواريخ للتعامل مع الدبابات ، وكان سلاح العدو الاساسي ضد المشاة هو نيران المدفعية والهاونات الثقيلة التي تنصب على المشاة الصديقة حتى ترجعها الى الخلف وتسمح للدبابات بالتقدم الى مدى رمي اسلحة المشاة المضادة للدبابات.

وفي الساعة ١٤٠٠ دفع العدو قوات مدرعة احتياطية من « تل مرعي » الواقع وراء «كفر ناسج » في محاولة للالتفاف حول مجنبة اللواء المدرع ٦ . ولم يكن مع اللواء (كما راينا) دبابات احتياطية كافية للتعامل مع هذه القوة التي يعتقد انها كانت من اللواء المدرع ٧٩ . ولقد حاول المقدم غازي محمود العمر مجابهة القوة برمايات المدفعية وبسرية الدبابات المجحفلة التي تركها في الاحتياط . ولكن عدم تناسب القوى جعل السرية تكتفي بالرمي على القوة المعادية من الثبات بدلا من الاندفاع نحوها للاشتباك معها في معركة تصادمية .

وكانت خسائر الطرفين بالرجال والدبابات والعربات المدرعة كبيرة ، ولكن تفوق العدو الاساسي ، ووجود لواءمدرع كامل في الاحتياط (ل مدرع ٧٩) منحا « لانر » امكانية متابعة الضغط ، في حين كان اللواء المدرع ٦ يستخدم الوسائط التي انطلق بها ، ويناور بهذه الوسائط لصد الهجمات المتعاقبة.

وعندما وصلت خسائر المقدم العمر حوالي ٢٠ — ٢٥ ٪ منمجموع دباباته ، ظهر خطر جديد . فلقد استعاد اللواء المدرع المعادي ١٧ حرية الحركة بعد انسحاب اللواء المدرع الاردني.٤ نحو « تل الحارة » وصار بوسع اللواء المدرع ١٧ المشاركة في القتالضد اللواء المدرع ٦.ولقد بدا اللواء المدرع ١٧ بالفعلحركة

التفاف واسعة لضرب الجناح الجنوبي (الايسر) للواء المدرع السادس الذي كشفه انسحاب اللواء المدرع الاردني ٤٠ بشكل مبكر . وامام هذا الوضع اعطى المقدم العمر في الساعة ١٦٠٠ امرا بالانسحاب باتجاه «كفر شمس». ولم يحاول العدو مطاردة المنسحبين باتجاه « كفر شمس ». فلقد تعلم في معارك اليوم السابق ان المنطقة حصينة ومدافع عنها جيدا من قبل اللواء الميكانيكي ٨، ولكن اللواء المدرع الاسرائيلي ١٩ دفع جحفل كتيبة مدرعة للالتفاف حول « تل عنتر » وضرب المنسحبين من الشمال ، وكان على هذا الجحفل ان يدمر في طريقه كتيبة المشاة الاولى (ل مش ٢٠) المتمركزة في « دير العدس » ، ولقد حاول القيام بذلك ، ولكنه اصطدم قرب دير العدس – كما سنرى – بمصد مضاد للدبابات نصبته الكتيبة الثالثة من لواء المشاة العراقي ٢٠ ، فتوقف من المطاردة ، وانسحب بعد أن ترك قرب مكان المصد عددا من الدبابات والعربات المحترقة.

وبعد تجمع اللواء المدرع ٦ في « كفر شمس » توجه نحو « تل الذيبان » ، حيث تجمع في مأمن وراء درع لوائي المشاة (ل مش ٢٠ ول ميكا ٨) . وعندما كان جنود الدبابات يكملون نواقصهم ويصلحون الاعطال البسيطة . كانت مراتب اللواء تقوم بالاستطلاع استعدادا لمعارك الايام التالية . واعيد تجحفل اللواء المدرع ٦ من جديد ، واعيدت الكتيبة الميكانيكية الاولى مع سرية الدبابات الى لوائها وتمركزت دفاعيا في « ام العوسج».

ملاحظات على عملية كفر ناسج الثانية :

لوحظ في هذه العملية امور كثيرة اهمها :

١ – قيام اللواء المدرع ٦ ناقص كتيبة دبابات بالهجوم على منطقة يتمركز فيها لواءان مدرعان (١٩ و ٢٠) ، ويقف خلفهما لواء مدرع (٧٩) ، واصراره على متابعة الضغط الهجومي بروح تعرضية عالية ، رغم خسائره وانكشاف جناحه الايسر على اثر انسحاب اللواء المدرع الاردني ٤٠ .

٢ ــ سيطرة قائد اللواء على لوائه خلال مرحلتي التقــدم والانسحاب ، وقدرته على المناورة بالوسائط المحدودة الموجودة لديه للحصول على المردود الاقصى .

٣ ــ عدم كفاية المشاة الميكانيكية داخــــل تشكيــلات الجحافل المدرعة العاملة في نسق الهجوم الاول . وحاجة هذه المشاة الى اسلحة مقاومة الدبابات ذات مدى ابعد، خاصة وان ارض الجولان المليئة بالعقد ، تمتص الهجمات المدرعة السريعة وتعطي العدو المدافع الفرصة للتسلل واستخدام الصواريــخ المضادة للدبابات بفاعلية .

٤ ــ غياب الطيران المعادي غيابا تاما عن سماء المعركة، واصطدام القوات البرية تحت سماء نظيفة .

٥ ــ عدم وجود تنسيق بين اللواءين المدرعين المهاجميــن (٦ و٤٠) رغم خضوعهما مبدئيا لقيادة الفرقة المدرعة الثالثة . الامر الذي جعل الضربة المدرعة ، التي ارادتها القيادة السورية ضربة واحدة ، تتم على شكل ضربتين منفصلتين عمليا ، رغــم تطابقهما في الزمان والمكان في المرحلة الاولى من الهجوم عــلى الاقــــل .

٦ ــ استغلال قيادة الفرقة للمشاة الميكانيكية او العادية او الخاصة في خلق الدرع اللازم لانطلاق الرمح في الهجـــوم ، وحمايته في الانسحاب ، وفاعلية هذه المشاة (لهميكا ، ول مش ٢٠) في صد الهجمات المعاكسة المعادية ومنعها من تحويــل انسحاب اللواء المدرع ٦ الى مطاردة .

٧ ــ بدء افادة العدو من شحنات الاسلحة الاميركية التي وصلته منــذ يــوم ١٠/١٤ ، وتعويض النقــص بالذخائــر ، واستخدام الصاروخ « تاو » الموجه المضاد للدبابات لســـد النقص الفادح في اسلحة مقاومة الدبابات ، بعد ان استهلــك الاسرائيليون مخزونهم مــن الصواريـــخ « س س ــ ١١ » الفرنسية التي لم يكن بوسعهم الحصول على اعداد جديـــدة

منها بفضل الحظر الفرنسي على شحن الاسلحة وقطع الغيار الى اسرائيل بعد اغارة الكوماندوس الاسرائيلي على مطار بيروت في العام ١٩٦٨ .

٨ ــ استخدام القوات الخاصه في ليلة ١٥ / ١٦ لضرب تجمعات العدو وارهاقها كجزء من الاعداد المادي والمعنوي للهجوم . ومن الملاحظ هنا ان وحدات لواء القوات الخاصةالتي قامت بالاغارة في ليلة ١٥ / ١٦ تشرين الاول لم تكن تعلم بتوقيت الهجوم او اتجاهه او حجم القوات المشتركة فيه ، حتى لا يؤدي وقوع احد افرادها في الاسر الى كشف الهجوم قبل وقوعه .

معركة تل عنتر (١٩ / ١٠)

لم يستغل العدو ليلة ١٦ / ١٧ في الهجوم على قاطع عمل القوات العراقية بفاعلية . واكتفى بالقصف المدفعي والمشاغلة بالنيران . وكانت المدفعية السورية ــ العراقية ترد على الرمي بمعاكس البطاريات ، وتقصف مواقع العدو باستمرار وعنف ، كما كانت قطعات المشاة المنتشرة دفاعيا ترد على نيرانه بالمثل .

وفي يوم ١٧/١٠ وصلت مجموعة « لانر » الى حالة الانهاك الكامل . لذا قرر « حوفي » سحبها الى الخلف لاعادة التنظيم واكمال الخسائر « ووضعها مقابل الفرقة الميكانيكية السورية الخامسة ، ودفع مجموعة الوية « بليد » وتكليفها بمهمة الدفاع عن جنوب الجيب (٢٨) الذي لم يهدأ عليه القتال طوال ٦ ايام . ولكن « بليد » أعلمه بان لوائيه المدرعين (١٤ و ٦٠) لا يكفيان لتنفيذ مهمة الدفاع تجاه اللواءين المدرعين ٦ و٤٠ اللذين لم تخرجهما معركة يوم ١٦/١٠ من المعركة . خاصة وان اللواء

---

٢٨ ــ حاييم هرتزوغ « حرب يوم الغفران » الحلقة السابعة « يديعوت احرونوت » ١٩٧٤/١١/٨ .

المدرع العراقي ٦ تكامل عدده بوصول كتيبة خالـــد (دبابات) في يوم ١٧/ ١٠ ، كما ان اللواء المدرع العراقـي ١٢ تلقـــى تعزيزات بالدبابات والطواقم والضباط ، وبدأ يستعيد قدرتــه على المشاركة في المعركة .

ووافق « حوفي » على اعتراض « بيليد » فقرر ابقاء اللواء المدرع ٦٠ على المحور الجنوبي ، وابقاء اللواءين المدرعين ١٩ و٢٠ في مكانهما مقابل القوات العراقية واللواء الاردنـــي ٤٠ . ودعم مجموعة الوية «بيليد» بقطعات من لواء المظلات الميكانيكي ٣١ لزيادة نسبة المشاة في تشكيلاته . وكان اكثر مايشغل بال « حوفي » في هذه الفترة ، وصول معلومات تؤكد استمرار تدفق القوات العراقية نحو الجبهة ، ودخول ارتال الفرقـــة المدرعة العراقية السادسة الى الاراضي السورية . ووصول مقدمــة اللواء المـــدرع العراقـــي ٣٠ الى منطقـــة تحشده في «الصنمين» . (٢٩) .

ونشر « بيليد »الويته المدرعة على خط مسحرة ـ تـــل عنتر . وكان اللواء المدرع ٢٠ يحتل « تل عنتـــر » و « تــل العلاقية »،واللواء المدرع ١٩ يحتل المنطقة الواقعة بين « تــل عنتر » و « تل مسحرة » ، وجزء من اللواء المدرع ١٤ متمركزاً في « تل مسحرة » و « تل المال »،وبقية اللواء ١٤ وقطعات مـــن لواء المظلات الميكانيكي ٣١ في الاحتياط العام لمجموعة الالوية . وامام هذه القوة انتشر اللواء الميكانيكي ٨ ولواء المشـــاة ٢٠ وخلفهما اللواء المدرع العراقي ٦ واللواء المدرع الاردني ٤٠ وجزء من لواء القوات الخاصة . وكان ميزان القوى في يومـــي ١٧ و١٨ متوازنا بشكل عام . ومع هذا فقد اختلف تصرف القيادة السورية عن تصرف القيادة الاسرائيلية . ففي الوقت الذي امر به « حوفي» مجموعة الوية « بيليد »بالتمركز دفاعيا والتشبــث

---

٢٩ ـ حصل العدو على هذه المعلومات بواسطة طائرات التجسس بدون طيار التي كانت تحلق على ارتفاعات عالية فوق محاور تقرب القوات العراقيــة ومناطق تحشدها .

بالارض ، حتى يأتي وقف اطلاق النار والقـــوات الاسـرائيلية موجودة في الجيب ، اصدرت القيادة السورية الى قائد الفرقة العراقية الثالثة امرا بمتابعة الضغط الهجومي على مجنبـــة الجيب بغية انهاك العدو وانتزاع بعض المواقع منـــه وخلـــق الظرف الملائم لهجوم مقبل كبير يصفي الجيب قبل صدور قـــرار وقف القتال .

ومن هنا يمكن القول انه اذا كانت الغاية مـــن زج اللواء المدرع ١٢ في معارك فترة (١٢ ــ ١٥) تشرين الاول هـــي صدم العدو ، وايقاف اندفاعه، ومنعه من توسيع الجيب نحو الشرق، فان الغاية من زج اللواء المدرع ٦ واللواء المدرع الاردني ٤٠ في معارك فترة (١٦ــ٢٠) كانت اكتساب الوقت واحتواء العدو ريثما تتم اعادة التنظيم واكمال التحشد والبدء بالهجوم المعاكس الكبير . ولهذا كان « ربح الوقت » هو هدف الطرفين السوري والاسرائيلي ، رغم تباين الغاية من استخدام الوقت لـــدى الطرفين المتجابهين .

وانعكست تعليمات « حوفي » على تصرفـــات القوات الاسرائيلية التي تبنت اسلوب الدفاع الديناميكي (الدفـــاع السيار) المبني على التمسك بالارض ، ودفع سرايـــا دبابات مجحفلة على المحاور ، والتعرض لقوات المشاة السوريـــة ــ العراقية المتمركزة حول الجيب ، وسبر غور المواضع الدفاعية، واستغلال الفوز تكتيكيا اذا امكن ذلك ، مع البقاء ضمن اطار الدفاع الاستراتيجي . ولقد زاد من تمسك الاسرائيليين بهـــذا الاسلوب الانهاك الذي اصاب قطعاتهم ، والروح الدفاعيـــة التي سادت بين صفوفهم ، وارسال الجزء الاكبر من الامدادات نحو سيناء ، وانشغال اعداد كبيرة من القـــوات المسلحة الاسرائيلية (البرية والجوية) في القتال الدائر على الضفتين الشرقية والغربية لقناة السويس . وفي الوقت ذاته انعكست تعليمات القيادة السورية على تصرفات القوات العراقية التي نشرت المشاة كدرع دفاعي تتجمع خلفه القوات المدرعة الضاربة لشن الهجمات المعاكسة على مستوى جحفلي لواءين مدرعين معززين بنيران مدفعية كثيفة .ولقد ساعد العراقيين على تطبيق

هذا الاسلوب ارتفاع مستوى الزخم المعنوي لقطعاتهم . وتدفق الامدادات على طريق بغداد ــ دمشق .

وفي الساعة ٢٠٣٠ من يوم ١٧ / ١٠ اصدرت القيادة السورية الى الفرقة المدرعة الثالثة امرا بمهاجمة « تل عنتر ». وهو تل صخري متعرج يرتفع ٨٥١ مترا عن سطح البحر . ويرتفع على المنطقة المجاورة له ٧٠ مترا ؛ ويبلغ قطر قاعدته حوالي ٧٠٠ متر ، وتمتد الى جنوبه وشرقه حقول زراعية تكثر فيها القرى (٣٠) . والحت القيادة السورية على ان يتم الهجوم في الساعة ٦٠٠ من صباح ١٨ / ١٠ . وطالب قائد اللواء المدرع السادس تاجيل الهجوم حتى يتمكن قادة التشكيلات من اجراء الاستطلاع ، فاجل بالفعل الى ساعة ٩٠٠ ، ثم اجل ثانية الى الساعة ١٢٠٠ من اليوم نفسه . وبعد صدور الاوامر من قيادة اللواء ، باشرت الجحافل المدرعة بالحركة من مآويها، ولكن العدو كشفها وقام بقصفها . وفقد الهجوم المنتظر عنصر المفاجاة ، واعتبر مكشوفا ، فاقترح قائد اللواء على قيادة الفرقة المدرعة الثالثة ايقافه وتأجيله الى اليوم التالي . فوافق العميد الركن محمد فتحي على ذلك قبل ان تأخذ الدبابات خط الشروع. وعادت الجحافل الى المآوي . وبدأ قادة التشكيلات باستطلاع الهدف بشكل دقيق .

وكان من الواضح ان مهاجمة التل في رابعة النهار سيعرض القوات المدرعة لقصف مؤثر . لذا قررت قيادة الفرقة المدرعة الثالثة شن هجوم ليلي بالمشاة الميكانيكية ، واحتلال «تل عنتر » وتطهيره قبل دفع الدبابات نحوه . ولهذا تم دعم اللواء المدرع ٦ بالكتيبة الميكانيكية الثالثة (ل ٨ ميكا) . كما دعم اللواء بجزء من كتيبة الدبابات الثالثة (ل ٨ ميكا)واحتفظ بالجزء الآخر كاحتياط متحرك لمقاومة القوات المحمولة جوا ، والتي كان يحتمل نزولها وراء خط انتشار المشاة العراقية .

---

٣٠ ــ عن قاموس الجيب الذي اعده يوآش بار ونشرته مجلة «بمحانية »، ١٩٧٤/٣/١٣ .

وفي ليلة ١٨ / ١٩ تشرين الاول . اغارت مصدات من لواء القوات الخاصة العراقية على مواقع العدو في «تل عنتر». وكانت هذه الاغارة تستهدف مشاغلة العدو ولفت انتباهه وحرمانه من الراحة . وفي الساعة ٢٠٠ انطلقت الكتيبة الميكانيكية الثالثة (ل ٨ ميكا) باتجاه « تل عنتر » فوصلته في الساعة ٤٠٠ ، وعندما بدأ جنود الكتيبة يتسلقون سفوح التل ؛ انسحب العدو بشكل غير منتظم تاركا بعض الاسلحة والذخائر . ومع اول ضوء اندفعت جحافل دبابات اليرموك ومقداد وخالد من « كفر شمس » نحو الغرض . وبدات المدفعية السورية ــ العراقية ترمي الاهداف المجاورة «لتل عنتر » ورغم تكافؤ عدد الدبابات تقريبا في قاطع عمل القوات العراقية الاردنية؛ فقد كان جحفل اللواء المدرع ٦ متفوقا بالدبابات في قاطع الهجوم بنسبة تعادل ٢،٥ ضد واحد .اذ كان عدد الدبابات العراقية المهاجمة حوالى ١٣٠ ــ ١٤٠ دبابة على حين كان عدد دبابات اللواء المدرع ٢٠ المدافع عن التل حوالي ٥٠ــ٥٥ دبابة.وعندما وصلت الدبابات الي « تل عنتر » انصبت عليها نيران المدفعية والصواريخ المضادة للدبابات ، وكانت الصواريخ مؤثرة على الدبابات الى حد بعيد ، فانسحبت جحافل الدبابات واخذت موقعا قرب التل ، واستخدم قائد الفرقة المدرعة الثالثة كتيبة المشاة الميكانيكية الثانية (ل ٨ ميكا) بهجوم من اتجاه ثانوي، لتثبيت اللواء المدرع ١٩ وتحييده . وتعرضت وحدات المشاة المتمركزة على التل لرمايات الهاون التي اوقعت بها عددا من الخسائر . وعندما لاحظ « بيليد » انفصال المشاة عن الدبابات شن هجوما معاكسا باللواء المدرع ١٩ ودفع القوات العراقية الى الخلف .

وفي الساعة ١٠٠٠ عاد اللواء المدرع ٦ الى الهجوم مرة ثانية بعد أن بدل اسلوبه القتالي . فبدلا من ان تتقدم الدبابات في النسق الاول ووراءها المشاة الميكانيكية ، سارت المشاة الميكانيكية في النسق الاول . وعلى بعد ٣٠٠٠ متر من المواقع الاسرائيلية ترك المشاة آلياتهم واندفعوا راجلين تحت تغطية نيران الدبابات . وفي الساعة ١٢٠٠ ارتفعت خسائر اللواء المدرع الاسرائيلي ٢٠ الى ٥٠٪ . ولم يستطع « حوفي » اسناد هذا

اللواء البائس بالطيران ، اذ كانت جميع طلبات الاسناد الجوي ترفض في القيادة العامة المشغولة بدفع قواتها الجوية الى جبهة قناة السويس .

وعندما كان اللواء المدرع العراقي ٦ يشن هجومه الثاني تحرك اللواء المدرع الاردني ٤٠ من «تل الحارة» باتجاه الجناح الايمن لمجموعة الوية « بيليد » في «تل المال » و « تل مسحرة » وكان هذا اللواء قد سحب من امرة الفرقة المدرعة الثالثة ووضع بامرة الفرقة الميكانيكية السورية الخامسة منذ يوم ١٦ / ١٠ وفي الساعة ١٢٠٠ اقتربت الدبابات الاردنية من « مسحرة » وبدات تتسلل في المنحدر ، وهناك اصطدمت مع وحدات من اللواء المدرع الاسرائيلي ١٤ ، واستمرت المعركة حوالي ساعة انسحب اللواء المدرع ٤٠ بعدها باتجاه "تل الحارة" تحت ضغط القوة الاسرائيلية . وتوقفت المعركة في قاطع عمل الاردنيين في الساعة ١٥٠٠ .

وفي الساعة ١٤٠٠ احتدم القتال من جديد على « تل عنتر » ، وشن اللواء المدرع العراقي ٦ هجومه الثالث . وكانت الدبابات هذه المرة في المقدمة ووراءها المشاة الميكانيكية « وكانت خسائر الاسرائيليين كبيرة ، وشعر قائد اللواء المدرع ٢٠ ان لحظة الاستسلام تقترب » (٣١) ، واختلطت الدبابات العراقية والدبابات الاسرائيلية وتمت المواجهة بالدبابات من مسافات قريبة ، وهنا تحركت قوة احتياطية مدرعة على الجناح العراقي الايمن (الشمالي) ، فاضطر قائد اللواء المدرع ٦ الى سحب قواته ، وتركت المشاة العراقية التل في الساعة ١٦٠٠ ، وبدأ انسحاب اللواء تحت تغطية رمايات المدفعية السورية — العراقية . ولقد ادعى الاسرائيليون على لسان مطلقهم العسكري الجنرال هرتزوغ (الذي غدا في العام ١٩٧٥ رئيسا لوفد الدولة الصهيونية في الامم المتحدة) ان اللواء المدرع ٦ خسر في هذه المعركة ٦٠

---

٣١ — حاييم هرتزوغ « حرب يوم الغفران » الحلقة السابعة ، ٨/١١/ ١٩٧٤ .

دبابة وعددا مماثلا من العربات المدرعة . والحقيقة ان خسائر هذا اللواء كانت اقل من ذلك بكثير ، لان اللواء لم يخسر في معركتي ١٦و١٩ تشرين الاول سوى ٣٠ — ٣٥ ٪ تقريبا من دباباته . مع انه خاض في المعركتين قتالا عنيفا ضد عدو متفوق جهزته الامبريالية الاميركية،من طريق الجسر الجوي الانقاذي، بأحدث الاسلحة والصواريخ المضادة للدبابات .

ولم يطارد العدو اللواء المدرع ٦ هذه المرة ايضا . واكتفى باستعادة «تل عنتر» وتحصينه ، في حين تجمع اللواء المدرع ٦ في «كفر شمس»وراء قاعدة المشاة الطبية المنتشرة من «دير العدس» الى«خربة المصطاح». ولم يفقد هذا اللواء روحه الهجومية،وكان قادة التشكيلات يستطلعون الارض لشن هجوم جديد باتجاه«تل الحارة » ، عندما جاء الامر بالاعداد للهجوم المعاكس الاستراتيجي ، وحددت للواء مهمة ضمن الخطة الهجومية العامة ، وقضى الجنود الايام التالية يعدون الساعات بانتظار اشارة الهجوم الكبير التي لم تات .

ملاحظات على معركة تل عنتر :

لقد ظهرت خلال هذه المعركة الملاحظات التالية :

١ — تم هجوم يوم ١٩ / ١٠ بلواءين مدرعين احدهما عراقي والاخر اردني ولكن التنسيق بينهما كان معدوما . الامر الذي ساعد « بليد » على مجابهة الهجوم كهجومين مستقلين.

٢ — رفعت الفرقة نسبة المشاة في اللواء لتلافي سلبيات هجوم ١٦ /١٠، وهذا ماساعد اللواء على شن ثلاث هجمات متعاقبة خلال ٩ ساعات من القتال المتواصل .

٣ — كانت هجمات اللواء المدرع ٦ مشابهة لهجمات اللواء المدرع ١٢ من ناحية تسديد الضربات، وتلقي الضربات المعاكسة، ومتابعة الهجوم بعدها بنفس الزخم الاول حتى يتم زج كل القوة

الاحتياطية ، وترتفع نسبة الخسائر الى الحد الذي تصبح متابعة القتال فيه غير ممكنة .

٤ ــ كان انسحاب جحافل الكتائب منتظما وبسيطرة قائد اللواء ، وكان هذا عاملا رادعا منع العدو من المغامرة في مطاردة غير مأمونة العواقب .

٥ ــ كان التنسيق بين الدبابات ومشاة المرافقة جيدا، الامر الذي سمح لقائد اللواء بتنويع استخدام الثنائي « دبابة ــ مشاة ميكانيكية » حسب متطلبات الموقف . ففي الهجوم الاول قادت الدبابات من وصول المشاة الى « تل عنتر » في الليل واندفعت في النسق الاول وخلفها المشاة الميكانيكية ، وفي الهجوم الثاني تقدمت المشاة الميكانيكية لتطهير الارض امام الدبابات . وفي الهجوم الثالث عادت الدبابات مرة اخرى الى المقدمة .

جـ ــ لواء المشاة الميكانيكي الثامن في معارك الفرقة

كان لواء المشاة الميكانيكي الثامن التابع للفرقة المدرعة الثالثة يقوم في يوم ٦/١٠ بالتدريب الاجمالي في منطقة الورار (قرب الرمادي) على محور بغداد ــ دمشق . وكانت احدى كتائبه (ك ٢ ميكا) متمركزة في قاعدة ابن الوليد لحماية القاعدة الجوية . وفي مساء ٦/١٠ تلقى قائد اللواء من رئيس الاركان العامة الفريق اول عبد الجبار شنشل امرا بالاستعداد للتحرك مع الضياء الاول ليوم ٧/١٠ باتجاه الجبهة السورية . وكان اللواء كامل الملاك ويدخل في نظام معركته كتائب المشاة الميكانيكية المحمولة على عربات مجنزرة « م ــ ١١٣ » ، وكتيبة دبابات ، وبطارية خفيفة م / ط ، وكان استعداده الاداري والفني جيدا بشكل سمح له بالحركة بكامل وحداته في صباح ٧/١٠ .

وتمت المرحلة الاولى من حركة اللواء (ناقص ك ٢ ميكا) على السلاسل حتى الكيلو ١٦٠ . ونظرا الى ان ناقلات

الدبابات كانت مشغولة برفع اللواء المدرع ١٢ ، فقد تــرك اللواء كتيبة دباباته (ك ٣ دب) في «الحمديات» ريثما تعـــود الناقلات لرفعها . وفي يوم ٨/ ١٠ تابع اللواء تحركـــه علـى السلاسـل الى « ايج ترى » حيث تجحفلت معه كتيبة مدفعية وبطارية هاون ١٢٠ من الفرقة . وكانت الكتيبـــة الميكانيكية الثانية قد تركت قاعدة ابن الوليد منذ صباح ١٠/٧ متجهـــة على السلاسـل الى دمشق حيث وصلتها في ٩ / ١٠ فكانت اول وحدة برية عراقية تصل الى الجبهة السورية . وفي السـاعـــة ٥٠٠ من صباح ١٠/١٢ دخلت وحدات اللواء غوطة دمشـــق ، واتجهت نحو « الكسـوة » .

واجبات اللواء في فترة ١٢ـــ١٥ تشرين الاول

تعتبر واجبات اللواء في فترة ١٢ـــ١٥ تشرين الاول بشـكل عام جزءا من واجبات الفرقة المدرعة الثالثة ، ولكنها كانت من الناحية التكتيكية جزءا مكملا لعمليات اللواء المدرع ١٢ ، نظرا الى ان جميع مهمات اللواء الثامن الميكانيكي في هذه الفتـــرة مرتبطة بشكل او بآخر بالهجمات المتكررة التي شنها اللـــواء المدرع ١٢ .

ولقد كانت اول مهمة تلقاها قائد اللواء العقيد الركـــن محمود وهيب في يوم ١٢ / ١٠ من قائد الفرقة المدرعة العميـــد الركن محمد فتحي ، هي التحرك باتجاه « دير العدس » لاخذ موقع دفاعي يسد جزءاً من الفجوة بين المجنبة اليسرى للفرقة الميكانيكية السورية التاسعة ، والمجنبة اليمنـــى للفرقـــة الميكانيكية السورية الخامسـة . ويغطي في الوقت نفسه الجناح الايمن للواء المدرع العراقي ١٢ المكلف بالهجوم على تل الشعار في يوم ١٠/١٢ . وعلم قائد اللواء بـــان الكتيبة الميكانيكيـة الثانية من لوائه قد الحقت باللواء المدرع ١٢ للقتال معه ، وان اللواء الميكانيكي السـوري ٥٣ موجود في منطقة « دير العدس » وان من الضروري التعاون معه خلال معركة الصد اذا ما اندفع العدو نحو محور الصنمين ـــ الكسوة ـــ دمشق .

وتحرك اللواء بالفعل الى « دير العدس » نهارا ، وادخل عرباته المدرعة في مواضع محفورة مسبقا قرب القرية لتجنب القصف المدفعي المعادي الموجه الى « دير العدس » ، ولكنه لم يجد اللواء الميكانيكي السوري ٥٣ الذي كان قد انسحب من المنطقة قبل فترة وجيزة . واتصل العقيد وهيب بقائد فرقته الذي اعلمه ان عليه التوجه جنوبا نحو « تيطة » ، فتحرك رتل اللواء باتجاه « تيطة » فوصلها في الساعة ١٢٠٠ . وفي « تيطة » قابل العقيد وهيب قائد اللواء المدرع السوري ٤٣ وتعرف على الموقف ، ثم نشر لواءه في منطقة «ام الدارم» قرب «تيطة» ، ووزع البطارية الخفيفة واسلحة مقاومة الطائرات . وعند الضياء الاخير ليوم ١٢ / ١٠ كانت وحدات «اللواء الميكانيكي الثامن منتشرة في المنطقة المحصورة بين « تل الذيبان » و « كفر شمس » و « خربة المصطاح » و « تل الشمالي » و « تيطة » و « زمريـن » وراء محور تقدم اللواء المدرع ١٢ الذي كان يتقدم آنذاك لمهاجمة « كفرشمس» و « تل الشعار » . على حين انتشرت كتيبة مدفعية اللواء جنوبي «الصنمين» . واخذت وحدات الشؤون الادارية اماكنها في منطقة « قنية » .

وكانت مهمة اللواء الميكانيكي الثامن الدفاع عن المنطقة ضد الهجمات المعادية المحتملة ، وتشكيل قاعدة تقوية للواء المدرع ١٢ . وكان من الواضح ان تكليف لواء (ناقص كتيبة) بمثل هذه المهمة ، ونشره على جبهة عرضها حوالي ٢٠ كيلو مترا ، وفي منطقة صالحة لسير الدبابات المعادية ، وتقع على محور تقدمها المحتمل ، هو دليل على ان القيادة السورية لم تكن تملك آنذاك وحدات مشاة احتياطية جاهزة لاخذ مهمات دفاعية مقابل الفجوة الخطيرة المفتوحة في الجبهة . والتي سدها اللواء المدرع السوري ٤٣ طوال يوم ١١ / ١٠ والنصف الاول من نهار ١٠/١٢ بكل كفاءة بقوات محدودة كان يحركها باستمرار من جهة الى جهة اخرى لصد هجمات العدو المتكررة .

وفي ليلة ١٢–١٣ تشرين الاول قام جنود اللواء بحفر مواضع دفاعية جيدة مستفيدين من المواضع السورية

التعبية قرب« كفر شمس » (التي كانت جزءا من الخطالدفاعي السوري الثاني) . والتحق باللواء ضابط ارتباط سوري برتبة نقيب ، ودفعت كل كتيبة من كتيبتي المشاة الميكانيكية مرصدين للمدفعية . وكانت مهمة هذه المراصد مراقبة محوري تقدم اللواء المدرع ١٢ ، وطلب رمي المدفعية لتامين انسحاب هذا اللواء اذا احبط العدو هجومه ، وشن عليه هجوما معاكسا . وبالاضافة الى واجب الدفاع على جبهة عريضة ، فقد كلف اللواء الميكانيكي ٨ بتشكيل قوة قتال من المشاة الميكانيكية والدبابات العمل كاحتياط متحرك بيد قائد اللواء ، ومجابهة القوات المحمولة جوا في حالة نزولها وراء منطقة انتشار الفرقة .

وافاد اللواء من الاعداد الهندسي المسبق للخط الدفاعي، فكانت قواته ملتجئة بشكل جيد ، وكانت الاتصالات الهاتفية مؤمنة بين الوحدات ومع المدفعية والمراصد ومقر قيادة الفرقة في "الصنمين". والحقيقة ان منطقة الفجوة لم تكن خالية تماما من السوريين . فقد كان هناك عدة وحدات منتشرة من الفرقة الميكانيكية التاسعة والفرقة المدرعة الاولى ، ومرابض مدفعية ، وسرية مضادة للدبابات عند « تل الشمالي » لحماية مقر الفرقة الميكانيكية التاسعة الموجودة في « زمرين » . ولهذا بدأ قائد اللواء اتصاله مع القوات السورية الموجودة في قاطعه وخاصة المدفعية ، بغية تنظيم التعاون . ويؤكد قائد اللواء « ان المدفعية السورية كانت رائعة التنظيم ، وكان تجاوبها مع القوات العراقية سريعا وفعالا » (٣٢) .

وفي يوم ١٣ / ١٠ ، وبعد فشل هجوم اللواء المدرع ١٢ وانسحابه الى « تل عنتر » ، تعرضت مواقع اللواء الميكانيكي ٨ لقصف مشتت بنيران الهاون ١٦٠ من منطقة « تل شمد » و « تل الشعار » ، كما تعرضت لقصف جوي غير فعال نظرا لان بطاريات الصواريخ ارض — جو السورية كانت تتعامل

---

٣٢ — من حديث مع العقيد الركن محمود وهيب قائد اللواء الميكانيكي الثامن .

مع الطائرات المغيرة وتسقطها . ولكن العدو لم يطارد اللواء المدرع ١٢ ، ولم يندفع بالتالي الى الهجـوم باتجاه اللـواء الميكانيكي ٨ . وفي ليلة ١٣ — ١٤ بقي العدو بدون فاعليـة . واكتفى بالتشبث بالارض وتنوير حقل المعركة . وكانت عطالة الاسرائيليين — رغم شهرتهم السابقة في القتال الليلي — دليلا واضحا على تدهور معنوياتهم ، والانهاك الذي اصابهم خلال معارك يومي ١٢ و ١٣ مع اللواء المدرع ١٢ . وكانت مدفعية اللواء الميكانيكي ٨ ومدفعية الفرقة والمدفعية السورية تقصفهم بشدة طوال الليل .

وفي يوم ١٤ / ١٠ سحبت الفرقة المدرعة الثالثة الكتيبـة الميكانيكية الثانية من اللواء المدرع ١٢ واعادتها الى لوائها . وبهذا تكاملت وحدات المشاة الميكانيكية في اللواء . ولكن كتيبة دباباته (ك ٣ دب) لم تكن قد وصلت بعد.وانتشرت الكتيبـة الميكانيكية الثانية دفاعيا في « خربة المصطاح » الواقعة بيـن « كفر شمس » و « ام العوسج » بشكل زاد كثافة القـوات المنتشرة على الخط الدفاعي . ثم وصلت سريـة من كتيبـة الدبابات الثالثة التابعة للواء في ١٥ / ١٠ فدفعتها قيـادة الفرقة لتعزيز اللواء المدرع ١٢ ، ولكنها وصلت متاخرة ، كمـا رأينا ، ولم تشترك في القتال مع العدو.

وعند سقوط «تل عنتر» بيد القوات الاسرائيلية ، وانسحاب اللواء المدرع ١٢ نحو كفر شمس (١٥ / ١٠) ، قـام العـدو بمطاردة هذا اللواء على طريق تل عنتر — كفر شمس الذي كانت الكتيبة الميكانيكية الثانية تدافع عنه . وبعد قصف مدفعي عنيف اندفعت دباباته مباشرة نحو مواضع الكتيبة الثانيـة . وكانـت قـوة الهجـوم تعادل كتيبـة دبابات مجحفـلة . وصمدت الكتيبة الميكانيكية الثانية وسرية الدبابات الموجـودة في « خربة المصطاح » امام الهجوم . ولعبت المدافـع عديمة الارتداد والصواريخ الموجهـة المضـادة للدبابات مـن طراز « كوبرا » دورا فعالا ، كما شاركت المدفعية في عمليـة الصد . ولم ينسحب المشاة امام اندفاع الدبابات كما كـان

يعتقد الاسرائيليون (٣٣) ، بل جابهوها بنيران مركزة ، واظهر المقاتلون بطولات رائعة اجبرت جحفل العدو على ايقاف المطارده والانسحاب نحو « تل عنتر » . وكان من ابرز ابطال هذه المعركة العريف الاحتياطي عارف علي حسين ، الذي حمل مدفع « ب ــ ١٠ » ، وتسلق السفح المنحدر ، ودمر دبابتين في المنطقة جنوبي « تل عنتر » باتجاه « كفر شمس» (٣٤) .

واجبات اللواء في فترة ١٦ ــ ٢٢ تشرين الاول

وفي يوم ١٦/١٠ وصلت سريتان من كتيبة الدبابات الثالثة (ل ٨ ميكا) الى منطقة « انخل » (وكانت سرية من هذه الكتيبة قد وصلت في يوم ١٥ / ١٠ خلال احتدام معركة اللواء المدرع ١٢ على تل عنتر ، فالحقت به مباشرة) . ولقد اراد قائد اللواء الميكانيكي الثامن استخدام سريتي الدبابات الواصلتين حديثا في تعزيز قطاعه . ولكن قيادة الفرقة رات الحاق سرية منهما باللواء المدرع ١٢ لتعزيز قوته القتالية . وبقيت سرية دبابات واحدة وضعها العقيد وهيب مع الكتيبة الميكانيكية الاولى في منطقة « جدية » مشكلا بذلك احتياطا تكتيكيا للواء .

ولم يمكث هذا الاحتياط طويلا بيد قائد اللواء . فلقد سحبته قيادة الفرقة في اليوم نفسه ، ووضعته في الساعة ١٢٠٠

---

٣٣ ــ يذكر كتاب التقصير ، زئيف شيف واخرون،ان الاسرائيليين دخلوا حرب ١٩٧٣ وهم يعتقدون ان الجندي العربي غير مقاتل ولا يستطيع الصمود تحت النار الكثيفة وامام الهجمات العنيفة بالمدرعات والطائرات « وانه تكفي خبطة على صفيحة لتطير العصافير مذعورة » ص ٨٤ ، من الطبعة العربية مؤسسة الدراسات الفلسطينية،بيروت « ١٩٧٤ .

٣٤ ــ التحق العريف الاحتياطي عارف علي حسين باللواء قبيل الحرب ، ولقد امر الرئيس المهيب احمد حسن البكر بترقيته بعد الحرب الى رتبة ملازم، واستدعائه للخدمة في الجيش حيث لا يزال ضابطا في اللواء الميكانيكي الثامن.

بإمرة اللواء المدرع ٦ خلال معركة كفر ناسج الثانية .

وفي نهاية يوم ١٦ / ١٠ تكاملت وحدات اللواء من جديد.فلقد اعاد اللواء المدرع ٦ الكتيبة الميكانيكية الاولى مع سرية الدبابات الملحقة بها فتمركزت دفاعيا في « ام العوسج ». واعاد اللواء المدرع ١٢ سريتي الدبابات اللتين كانتا معه ، والتابعتين اساسا لكتيبة الدبابات الثالثة (ل ٨ ميبكا) فوزعهما قائد اللواء على الكتيبتين الميكانيكيتين الثانية والثالثة. ولكن قيادة الفرقة لم تلبث ان سحبت الكتيبة الميكانيكية الثالثة المتمركزة في « خربة المصطاح » مع سرية الدبابات الملحقة بها وعززت بها اللواء المدرع ٦ . ولسد الثغرة التي فتحهاانسحاب هذه القوة بين اللواء الميكانيكي الثامن "وتل الحارة" وتغطية الجناح الايسر للواء الميكانيكي ٨ ، دفعت الفرقة الكتيبة الثانية من لواء المشاة ٢٠ للتمركز في « خربة المصطاح ».ثم سحبت كتيبة الدبابات الثالثة من اللواء الميكانيكي الثامن والحقت باللواء المدرع ٦ للمشاركة في معركة « تل عنتر » .

وعندما كان اللواء المدرع ٦ يستعد للهجوم على « تل عنتر » كان اللواء الميكانيكي الثامن يمسك موضعه الدفاعي حتى لا يقوم العدو بخرق باتجاه طريق الصنمين — درعا ويعزل القوات السورية عن القوات العراقية . كما كان يتراشق بنيران المدفعية مع العدو.وكانت طائرات العدو تشن على مواقعه غارات متكررة وتتعرض لخسائر كبيرة من جراء رمايات الصواريخ ارض — جو السورية المتمركزة في المنطقة.

وفي يوم ١٩ شارك اللواء الميكانيكي ٨ ، كما رأينا ، في الهجوم الذي شنه جحفل اللواء المدرع ٦ على «تل عنتر »(٣٥)

---

٣٥ — كانت المشاركة بالقوى التالية :

— كتيبة الدبابات الثالثة ، والكتيبة الميكانيكية الثالثة وقد الحقتا باللواء المدرع ٦ وقاتلتا معه

— الكتيبة الميكانيكية الثانية ، قامت بهجوم تثبيتي على اتجاه ثانوي .

— كتيبة المدفعية ، قامت باسناد الهجوم . .

وخسر خلال هذا الهجوم ٨ دبابات،و٤ عربات مدرعة،وعددا من الشهداء والجرحى.وكان يوم ٢٠ هادئا بشكل غير طبيعي بالنسبة الى اللواء . ثم عاد التراشق مع العدو بالمدفعية في فترة ٢٠–٢٢ ، ولقد كرس قادة التشكيلات جهدهم في هذه الفترة لتحضير تشكيلاتهم للهجوم المعاكس الذى تقرر أن يكون اللواء الميكانيكي فيه احتياطا للفرقة المدرعة الثالثة .

د — حول عمليات الفرقة المدرعة الثالثة

يعتمد استخدام المدرعات عند مهاجمة موقع دفاعي معاد على الصدمة التي تستطيع كتل المدرعات الضخمة تحقيقها في مكان وزمان معينين بغية احداث خرق تندفع منه القوات من مختلف الصنوف ، لتضرب مؤخرات العدو وتطوق قواته الدائمة وتجبرها على القتال على جبهة معكوسة . اما في الدفاع فيعتمد استخدام المدرعات على ضرب مجنبات العدو المتقدم ومؤخراته بكتلة مدرعة قادرة على المناورة بمرونة واختيار اللحظة التي تكون قوات العدو قد فقدت فيها زخمها الهجومي وغدت غير قادرة على تجنب الضربة او الرد على الالتفاف حول المجنبات بالتفاف معاكس .ويبقى جوهر استخدام المدرعات في الهجوم والدفاع استخدام الدبابات بكثافة في الزمان والمكان المناسبين لقلب توازن العدو .

وعند دراسة عمليات الفرقة المدرعة الثالثة ، من ١٢ الى ١٩ تشرين الاول.من زاوية الزمان والمكان والكتلة ، نجد ان الضربة لم تسدد الى العدو في لحظة وصوله الى نقطة ذروة الهجوم، لان مجموعة الوية «لانر » التي تلقت الصدمة لم تكن قد انهكت بعد ، بل كانت في اوج اندفاعها الهجومي بعد أن حصلت على تعويض من الاحتياط .كما ان الضربة لم تسدد الى مؤخرة قوات « لانر » بل الى مجنبتها ، وقرب المقدمة . وهذا يعني ان الضربة الموجهة الى مجنبة العدو لم تكن في المكان الملائم تماما ، وهذا ما ساعد « لانر » منذ يوم ١٣ / ١٠ على تحويل المعركة على المجنبة الى معركة جبهية . واخيرا فان الفرقة المدرعة الثالثة لم تدخل المعركة كفرقة متكاملة ، بل

دخلتها باللواء المدرع ١٢ (ناقص كتيبة) مع جزء من اللواء الميكانيكي الثامن ، ثم زجت اللواء المدرع السادس (ناقص كتيبة مع جزء من اللواء الميكانيكي الثامن ولواء المشاة ٢٠ ، وسحبت اللواء المدرع ١٢ لاعادة التنظيم ، الامر الذي يتنافى مع اساليب قتال الدبابات .

ولا يرجع السبب في عدم استخدام الفرقة المدرعة الثالثة في الزمان والمكان المناسبين واستخدام وحداتها المدرعة بالتقسيط بدلا من استخدامها بكتلة ضاربة مجمعة الى ان قائد هذه الفرقة وضباطها كانوا يجهلون كل هذه الحقائق . وانما يرجع الى الوضع الذي دخلت فيه الفرقة الحرب . فلقد كانت القيادة السورية تطلب من اي تشكيل عراقي يصل الى سورية الاندفاع الى المعركة فورا . فلقد دخل اللواء المدرع ١٢ القتال دون استطلاع ،وحل اللواء المدرع السادس محله فور وصوله، ودخلت كتيبة الدبابات الثالثة (ل ٨ ميكا) القتال فور نزولها من الناقلات .

ولقد كان ضباط التشكيلات يفضلون تكامل الفرقة قبل الاشتباك مع العدو . وكانت القيادة العامة العراقية تود لو ان فرقتيها المدرعتين ٣ و ٦ تدخلان المعركة مع لواء المشاة ٢٠ ولواء القوات الخاصة بآن واحد . ولو تحققت رغبة قادة تشكيلات الفرقة المدرعة الثالثة او رغبات القيادة العامة العراقية لامكن تحقيق نتائج كبيرة تتناسب مع حجم الكتلة الضاربة المستخدمة . ولكن عامل الزمن كان يضغط على التشكيلات العراقية باستمرار ، وكان امام قيادة الفرقة المدرعة الثالثة ان تنتظر تكامل الظروف المناسبة لدخول المعركة او ان تمنع العدو من تطويق دمشق . ففضلت الخيار الثاني، وزجت الويتها واحدا تلو الاخر . وكانت قيادة الفرقة المدرعة الثالثة تحس بالالم وهي ترى حفنة محدودة من الدبابات لا تزيد عن ٩٠ دبابة تناطح ٣ الوية مدرعة معادية ، وتقوم بالهجوم تلو الاخر ، وتخسر دباباتها القليلة واحدة تلو الاخرى. ولكنها كانت في الوقت نفسه فخورة بالرجال الذين ربحوا مقابل كل شهيد وكل دبابة مدمرة ساعات ثمينة ، وانتصروا في السباق مع الزمن . ونجت دمشق من كماشة العدو .

الفصل السادس

عمليات لواء المشاة ٢٠

كان لواء المشاة ٢٠ ، التابع لفرقـــــة المشاة الخامسة متمركزا عند بداية الحرب في العمارة . وكان يمر في تلك الفترة بمرحلة تحول من لواء سهول الى لواء ميكانيكي ، ويقـــــوم بالتدريب الاجمالي بعيدا عن معسكره . وفي ٩/ ١٠ صدر امـــر بحركة اللواء الى الجبهة . واعطى قائد اللواء تعليمات بضرورة الوصول الى سورية باسرع وقت ممكن والالتحاق بالفرقة المدرعة الثالثة التي تحركت الويتها قبله بيومين . واستطاع اللــــــواء التحرك بآلياته الخاصة وآليات اضافية خصصت له من قيادة الجيش . وكانت حركته بمراحل طويلة قسرية ، كان طول آخر مرحلة منها ١٨ ساعة ، حتى وصل منطقة «الغوطة » في يوم ١٥ / ١٠ ، والمعركة محتدمة في سماء دمشق بيــــن الطائـــرات الاسرائيلية والصواريخ السورية ارض ــ جو . وكان منظـــــر الطائرات الاسرائيلية وهي تحاول التملص من الصواريـــــخ « سام ــ ٦ » التي تطاردها ، وانفجار هذه الطائرات في الجو وسقوطها،مشهدا جديدا ، ومشجعا بالنسبة الى جنود اللواء٢٠

ولقد تجحفل مع اللواء خلال الحركة وحـــدة صواريـــــخ موجهة مضادة للدبابات من طراز « كوبرا » لتدعـــــيم سلاحه المضاد المبني على المدافع عديمة الارتداد « ب ــ ١٠ » . كمـــا تجحفلت الافواج وغدت مستعدة لدخول المعركة من الحركة . وفي الساعة ١٧٠٠ وصل اللواء الى منطقة الكسوة حيث اصبح تابعا للفرقة المدرعة الثالثة التي امرته بدفع احدى كتائبه الـــى « دير العدس » لحماية الجناح الايمن للواء المدرع السادس .

وكلف قائد اللواء العقيد الركن سلمان باقر الكتيبة الاولى بتنفيذ هذا الواجب فورا بغية اكتساب الوقت. ولكن ضرورات الحيطة جعلت قائد اللواء يدفع الى « دير العدس » سرية واحدة ويحتفظ ببقية الكتيبة في « غباغب » طوال ليلة ١٥ ـ ١٦ ولا يدفعها الى « دير العدس » الا مع اول ضوء من يوم ١٦/١٠. وتم تحرك الكتيبة الى القرية بالفعل في صباح ١٦/١٠ ، وباشرت اعداد مواضعها . وفي الوقت نفسه كان اللواء المدرع ٦ يخوض الى جوارها معركة في تل عنتر .

وقبل ان تنهي الكتيبة الاولى اعداد مواضعها الدفاعية ، وجه العدو نحوها قصفا مدفعيا عنيفا ، ثم دفع باتجاهها رتلا مدرعا يقدر بكتيبة مجحفلة . وهنا حاول قائد الكتيبة الاتصال بقيادة الفرقة لاعلامها عن الهجوم ؛ ولكن قيادة الفرقة المنشغلة بادارة معركة اللواء المدرع ٦ لم تكن تسمع نداءه اللاسلكي . وكان قائد اللواء في هذه اللحظة يتحرك على طريق الكسوة ـ دير العدس فاتحا جهازه اللاسلكي على شبكة اتصالات الكتيبة الاولى مع الفرقة . ولما وجد ان الفرقة المدرعة الثالثة لا تجيب على نداءات الكتيبة ، بادر بالدخول على الشبكة وطلب من قائد الكتيبة ان يعطيه الموقف . وهنا قدر قائد اللواء ان العدو ينوي القضاء على الكتيبة الاولى والخروج على جناح اللواء المدرع السادس ، فطلب من الكتيبة ان تصمد في مكانها ، واصدر الى الكتيبة الثالثة من لوائه امرا بالاندفاع الى « دير العدس » لتعزيز الكتيبة الاولى . وتحركت الكتيبة الثالثة مع بطارية مضادة للدبابات ٨٥ مم ووحدة صواريخ موجهة مضادة للدبابات « كوبرا » ، واندفع قائد اللواء معها . وعندما بلغت الكتيبة مرتفعا قبل منطقة « دير العدس » ، اعدت مصدا مضادا للدبابات ، وكمنت لدبابات العدو . ولما وصلت قواته الى مدى الرمي المجدي للاسلحة المضادة انطلقت الصواريخ والقذائف م/د ، واوقعت بالمهاجمين خسائر كبيرة اجبرتهم على التوقف والانسحاب .

وهكذا كانت لبداهة قائد اللواء ، وسرعة اتخاذ القرار ،

وتنفيذ الكتيبة الثالثة لواجبها بشكل جيد ، اثر فعال في حماية الكتيبة الاولى وتغطية جناح اللواء المدرع السادس المشتبك مع العدو. والحقيقة ان قائد الفرقة المدرعة الثالثة الذي كان في مقره المتقدم يتابع اللواء المدرع السادس لم يلبث ان علم بالهجوم المعادي باتجاه الكتيبة الاولى في « دير العدس » ، فبعث الى قائد اللواء ٢٠ ورقة كتب عليها « اتخذ الاجراء المناسب باي ثمن » ، فخط قائد اللواء على الورقة نفسها « انني موجود في المنطقة (١) » وكان لوجود قائد اللواء مع الكتيبة الثالثة ، وتصرفه الفوري المتلائم مع طبيعة المعركة الحديثة ، اطيب الاثر في نفس قائد الفرقة .

ولم يبق لواء المشاة ٢٠ بعد ذلك مجمعا . فلقد ارسلت الكتيبة الثانية الى « خربة المصطاح »،واصبحت تحت تصرف اللواء الميكانيكي الثامن الذي كلفها بحماية جناحه الايسر مقابل تل الحارة ، واحتفظ بها حتى نهاية الحرب . ودفعت الكتيبة الاولى الى « دير البخت » و « تل الغشيم » حيث اخذت موقعا دفاعيا قرب « تل عنتر » . واحتلت الكتيبة الثالثة مكانها في « دير العدس » فاكملت تحصين المنطقة ودافعت عنها حتى يوم ٢٢/١٠.ولقد اشتركت كتائب اللواء في اغلاق جزء من الفجوة المفتوحة على الجانب الشرقي من الجبهة ، وتعرضت لقصف العدو وهجماته اليومية تقريبا ، ولكنها صمدت في مكانها ولم تسمح باي اختراق في قطاعاتها .

وكان واجب لواء المشاة ٢٠ منذ يوم ١٦ / ١٠ ، تشكيل جزء من خط الدفاع الذي تنطلق منه هجمات اللواء المدرع ٦ .

وكانت جميع هجمات العدو على كتائبه هجمات نهارية ، وتتم ضمن اطار الدفاع الديناميكي المرن (الدفاع السيار) بجحافل المعركة المتعاقبة (جحفل في الامام وجحفلان في الخلف)

---

١ ــ من حديث مع قائد لواء المشاة ٢٠ العقيد الركن سلمان باتر .

وكان كل جحفل يضم ١٢ ــ ١٥ دبابة مع عربات مدرعة . وكان نجاح الهجوم العادي او فشله مرتبطا بالنجاح الذي يحققه جحفل المعركة الامامي . ولم تكن دبابات العدو تحاول الوصول الى مواقع كتائب المشاة لاقتحامها ، بل كانت تكتفي بالتقدم التعرضي حتى مسافة رمي اسلحة المشاة المضادة للدبابات ، حتى لا تتعرض لرمايات مباشرة مؤثرة او تقع في كمائن المشاة المضادة للدبابات ، ثم تقف وترمي على المواقع وتنسحب تحت تغطية المدفعية .ولقد كان رميها قليل الفاعلية ، وكانت الخسائر التي تلحقها بالمشاة المتمركزة داخل مواضع محصنة محدودة جدا .

ومن المؤكد ان هجمات العدو كانت تستهدف ايضا سبر الخط الدفاعي العراقي وتحديد مفصلات التشكيلة وثغراتها ، بغية القيام بحركات التفاف على مجنبات الالوية المدرعة ومؤخراتها . ولو ان مجموعة الوية « بيليد » قامت بمثل هذا السبر في يوم ١١ او ليله ١١ ــ ١٢ ، عندما كانت مجموعتنا « لانر » و « رفول » تقاتلان امام « سعسع » لوجدت ان الفجوة المفتوحة في الجبهة السورية كبيرة تسمح باندفاع عدة الوية مدرعة ، ولكن مجموعة «بيليد » كانت ابطأ مما ينبغي ، كما ان القوات العراقية وصلت باسرع مما كان متوقعا ، (تماما كما وصل بلوخر في الوقت المناسب الى واترلو) ، وتم سد الفجوة بجدار من الفولاذ .

ويلاحظ خلال عمليات لواء المشاة ٢٠ النقاط التالية :

١ ــ لقد استخدمت قيادة الفرقة المدرعة كتائب المشاة لمسك خطوط دفاعية تحمي مجنبات القوات المدرعة والميكانيكية. وكان هذا هو الاستخدام الامثل المتلائم مع امكانات هذه القوات وقدراتها الحركية المحدودة ، وطبيعة العدو التعرضية ، وتكتيكاته في الالتفاف على المجنبات والمؤخرات .

٢ ــ كان الحفر وتحصين الارض سلاحا فعالا من اسلحة

المشاة ، ساعدها على تخفيض خسائرها الى الحد الادنى وابطل تاثيرات القصف المعادي .

٣ ـ كانت كتائب المشاة تستخدم مفارز المهندسين لنشر الالغام امامها آليا بغية تغطية جبهتها في اقصر وقت ممكن ، مع الحرص على عدم اعاقة حركة القوات المدرعة الصديقة او تحديد مناورتها .

٤ ـ ان عدد الاسلحة المضادة للدبابات في لواء مشاة السهول ونوعيتها لا تتناسب تماما مع حجم الدروع التي يزجها العدو في المعركة عندما يقرر اختراق موقع دفاعي محصن ، في ارض متموجة تصلح لحركة الدبابات وتؤمن اختفاءها الى حد كبير عن الرصد البري القريب .

ويمكن القول ان وحدات لواء المشاة ٢٠ قامت بمهماتها خير قيام خلال فترة وجودها على الجبهة (من ١٥ الى ٢٢) . ولقد ادخل اللواء في خطة الهجوم المعاكس الاستراتيجي . وكانت الخطة تقضي بان تلتحق الكتيبة الثالثة باللواء المدرع السادس لتقاتل معه ، وان تبقى الكتيبة الاولى في مواقعها حتى يتم تسليمها الى السوريين . وان تقاتل الكتيبة الثانية مع اللواء الميكانيكي الثامن . ولكن وصول امر الغاء الهجوم في الساعة ٢٤٠٠ من يوم ٢٣/١٠ ، بعد قبول سورية قرار وقف القتال ، اوقف كل التحركات. فعاد اللواء الى التجمع استعدادا للعودة الى القطر العراقي بعد ان ادى واجبه ، وقدم ١٥ شهيداً و٤٠ جريحا سقت دماؤهم العربية ارضا عربية لا تقل قدسيتها بالنسبة الى الجندي العراقي عن قدسية بغداد والبصرة وكركوك .

الفصل السابع

عمليات اللواء الجبلي الخامس

كان اللواء الجبلي الخامس ، التابع لفرقة المشاة الرابعة والمنتشر في شمالي العراق يشكل جزءا من القوات المتمركزة على الحدود الجنوبية للمنطقة التي كانت تسيطر عليها قوات الملا مصطفى البرزاني . ولم يكن في قاطع عمل اللواء عند اندلاع الحرب اية تحركات عسكرية . ولكن وحداته كانت منتشرة رغم ذلك على جبهة جبلية عريضة ؛ وتقوم بمهام الدوريات والمخافر ، وتراقب الحالة الامنية بشكل يحدد حرية عمل العصاة البرزانيين . ويمنعهم من تحقيق اي مكاسب ؛ اذا ما خرقوا اتفاق وقف القتال المعقود بين الحكومة العراقية والملا البرزاني .

ولم تكن القيادة العسكرية العراقية قد قررت في بداية الامر سحب هذا اللواء من قاطع عمله وارساله الى الاراضي السورية؛ ولكن تطور العمليات العسكرية على الجبهةالسورية منذ يوم ۱۰/۱۰ . وتراجع السوريين على محور سعسع ، زادا اهمية التمسك بجبل الشيخ . واظهرا ضرورة دعم القوات الخاصة السورية التي سيطرت على هذا الجبل بعد ان احتلت المرصد الاسرائيلي (النطقة ٢٢٢٤) في يوم ۱۰/٦ ، كما اظهرا ضرورة تعزيزها بقطعات جبلية لمساعدتها على صد هجمات اللواء « غولاني » المعاكسةالرامية الى استعادة المرصد وما يمثله من موقع استراتيجي هام يؤثر احتلاله على سير العمليات التالية في ثغرة «سعسع» . لذا

قررت القيادة في بغداد دفع اللواء الجبلي الخامس الى سوريا للقيام بهذه المهمة ، نظرا لان تشكيله ، وتسليحه ، وتدريبه والعمليات التي خاضها خلال عمليات التهدئة ضد البرزانيين كانت تؤهله للقتال في المناطق الجبلية الوعرة .

وما ان صدرت الاوامر بجمع اللواء وتحركه ، حتى بدأت وحداته المنتشرة في « بيرز » ومنطقة « التوش » بتسليم مواقعها الى وحدات اخرى من الفرقة الرابعة ، والتحشد في في مراكز الكتائب استعدادا للحركة . وفي ١٠/١٥ تحركت من منطقة تجمع اللواء في الموصل كتيبتان ومقر قيادة اللواء ، وأمرت الكتيبة الثالثة بتعقب اللواء فور انتهاء تجمعها .وحددت « القطيفة » على طريق حمص ـ دمشق كمنطقة تحشد داخل الاراضي السورية .

ولم تكن قطعات اللواء تملك الآليات العضوية اللازمة للتحرك ذاتيا ، لذا قامت القيادة العراقية بدعمها بآليات عسكرية ، وسيارات نقل مدنية . وتحرك رتل اللواء على طريق الموصل حلب ـ حمص ـ القطيفة ، مطبقا تدابير الحيطة ضد الاخطار الجوية ، رغم عدم ظهور الطيران المعادي على هذا المحور .
وكان رتل اللواء يضم حوالي ٥٠٠ سيارة متباينة (سيارات جيب ، سيارات نقل عسكرية ، سيارات نقل ركاب مدنية ، قاطرات مدافع ، قاطرات حمولة ١٠ اطنان ، سيارات صهريج ... الخ) . ولقد ادت ضخامة الرتل وتنوع آلياته . وتباين قدراتها ، الى ابطاء سرعته نسبيا ، رغم جهود قيادة الرتل لتسريع الحركة . وبعد مسيرة تعادل (١١٠٠) كيلو متر تقريبا، وصل اللواء الجبلي الخامس الى «القطيفة » ، وتكامل تحشده في يوم ٢٠/ ١٠ ، فوضعته القيادة السورية تحت قيادة الفرقة المدرعة السورية الثالثة التي كانت تتمركز غربي « قطنا » الى جوار الفرقة الميكانيكية السورية السابعة . وفي اليوم نفسه كلفت الفرقة المدرعة السورية الثالثة اللواء الجبلي الخامس باحتلال المواقع الدفاعية لاحد الوية الفرقة بغية سحب اللواء السوري الى الخلف لاعادة التنظيم . وكان اشغال القاطع الدفاعي اول واجب تلقاه اللواء .

وبينما كان اللواء الجبلي الخامس ينشر وحداته دفاعيا ، ويعد مخطط النيران ، ويؤمن الاتصال وتنظيم التعاون وتحصين الارض ، كانت القوات الاسرائيلية قد بدات معركة استعادة مراصد جبل الشيخ . ففي الساعة ١٤١٥ من يوم ٢٠/١٠ عبرت ثلاث طائرات هليكوبتر اسرائيلية من طراز « سوبر فريلون » وادي نقعة فوق قرية « شبعا » اللبنانية متجهة نحو الشمال ، ثم انحرفت شرقا باتجاه قمة جبل الشيخ .(النقطة ٢٨١٤) ، وبدات بانزال المظليين . وتتابع تدوم طائرات الهليكوبتر المعادية المحملة بالجنود والمعدات والذخائر والهاونات ، في الوقت الذي قامت به طائرات هليكوبتر اخرى بانزال المظليين غربي المرصد الاسرائيلي القديم (النقطة ٢٢٢٤) على حين كانت المدفعية والهاونات الاسرائيلية المتمركزة في جبل الروس (النقطة ١٥٣٠) تقصف القوات الخاصة السورية المتواجدة في المرصد الاسرائيلي وحوله .

وفي الساعة ١٨٠٠ من اليوم نفسه ، اشتركت الهاونات الثقيلة ١٦٠ مم ، التي انزلها العدو قرب قمة جبل الشيخ « في قصف مواقع القوات الخاصة السورية . وتبين بوضوح ان القوات الاسرائيليةتقوم بالتدابير اللازمة لمهاجمة النقطة ٢٢٢٤، واعادة السيطرة على جبل الشيخ في ليلة ٢٠ــ ٢١،اوفيصبيحة ٢١ على ابعد تقدير .

ولقد بدا العدو عملياته التعرضية ضد القوات الخاصة السورية في ليلة ٢٠ــ٢١، وكان القصف الاسرائيلي بالهاونات والمدفعية على هذه القوات كثيفا . وفي الليلة نفسها استدعي قائد اللواء الجبلي الخامس المقدم الركن عبد الجواد ذنون الى المقر التعبوي لهيئة الأركان السورية العامة في دمشق ، حيث ابلغ بان عليه دفع كتيبة من لوائه الى منطقة العقبات ، عنطريق «عرنة» ، لتعزيز القوات الخاصة السورية المشتبكة هناك مع العدو .

وكان الموقف بمجمله غامضا نظرا لانقطاع الاتصال بين القيادة العامة والقوات الخاصة السورية . ولم يكن قائد اللواء الجبلي الخامس يعرف المنطقة التي لم يستطلعها من قبل ، وكان

يجهل تماما النقاط التي يسيطر عليها العدو ، ولا يعرف ما اذا كانت منطقة العقبات قد سقطت بيد العدو ام لا .

ورغم غموض الموقف، فقد عاد قائد اللواء الجبلي الخامس الى مقر قيادته الامامي ، ودفع الكتيبة الثانية نحو « عرنة » . وعند ظهور الضياء الاول ليوم ١٠/٢١ اجتازت الكتيبة بلدة « عرنة » حيث تعرضت لنيران طائرات ومدفعية وهاونات العدو التي كانت تقصف الوديان والمسالك المؤدية الى العقبات لمنع وصول النجدات اليها ، كما تقصف « عرنة » والمرتفعات المحيطة بها ، والمرصد الاسرائيلي ، والمرصد السوري القديم (النقطة ٢٢٠٤) ، وقصر عنتر ، وعددا من النقاط الحساسة الاخرى . وهنا اعلم قائد اللواء هيئة الارتباط العراقية بالموقف واندفع الى « عرنة » حيث وجد سرية قوات خاصة سورية .

ولقد حاول المقدم ذنون استجلاء الموقف من قائد السرية السورية والتنسيق معه لمتابعة تنفيذ الواجب المحدد . ولكنه فوجيء بان السرية تلقت امرا باخلاء « عرنة » ، وبدات عملية الانسحاب بالفعل . وعندما اعلم قائد اللواء رؤساءه بالموقف وبانسحاب السرية السورية ووجود حركة نزوح مدنية واسعة النطاق ، اصدرت القيادة السورية امرا بتقديم الكتيبتين الاولى والثالثة من اللواء الجبلي الخامس الى منطقة « عرنة » من اجل الانضمام الى الكتيبة الثانية الموجودة هناك ، وتشكيل موقع دفاعي على محور عرنة — ريمة — قطنا ، بغية منع العدو من التقدم على هذا المحور ، وحماية الجناح الايمن للقوات السورية المشتبكة مع مجموعة الوية « رفول » . وبهذا تحول واجب اللواء الجبلي الخامس من واجب تعرضي الى واجب دفاعي .

ولم ينتظر قائد اللواء الجبلي الخامس حلول الظلام لتحريك قواته . وقدر ان ضرورات الموقف تفرض عليه تجاوز متطلبات الحيطة لصالح متطلبات السرعة ، فحرك الكتيبة الاولى نحو موقعها الجديد نهارا . وعندما كانت وحداته تعد مواقعها

الدفاعية على طريق عرنة ــ قطنا ، كانت مجموعة قتالية مدرعة من لواء « غولاني » تتحرك على طريق «مجدل شمس » باتجاه المرصد الاسرائيلي القديم (النقطة ٢٢٢٤) - وفي مساء يــــوم ١٠/٢١ تحركت الكتيبة الثالثة من اللواء الجبلي الخامس لتاخذ مواقعها على المرتفعات بين « ريمة » و « عرنة » . وفي الوقــت ذاته بدأ الاسـرائيليون قصف المواقع السورية حول النقطتيــن ٢٢٠٤و٢٢٢٤ ، وقصف وادي «عرنة» لمنع وصول النجدات الى هاتين النقطتين .

وفي ليلة ٢١ ــ ٢٢ كان اللواء الجبلي الخامس المتمركــز دفاعيا يحمي طريق عرنة ــ قطنا ، ويدفع مخافــــره المتقدمة ودورياته الى الامام لتحديد الموقف التكتيكي امامـــه ، والتعرف على طبوغرافية الارض ، استعدادا لتنفيذ اي واجب هجومـــي في المستقبل . وكان قائد اللواء الموجود في مقره المتقدم في «جبل بريز » ينتظر وصول اوامر الهجوم ، ويتصــــــل مـــع القيادة باستمرار لاعطائها تقارير متتابعة عن الموقف . وفي هذه الليلــة نفسها شــن العدو هجومه الاخير على النقطتين ٢٢٠٤ و٢٢٢٤ مستخدما القوات المحمولة جوا ، والقوات المدرعة والميكانيكية. ودارت المعركة العنيفة طوال الليل ، واستمرت حتى صبــــاح ١٠/٢٢ ، وانتهت بسقوط النقطتين وقمة جبل الشيــخ بيـــــد العـــــدو .

وبانتهاء معركة المرصدين والقمم لم يعد بين اللواء الجبلي الخامس والقوات الاسرائيلية اي ستارة صديقة ، واصبح مــــن المحتمل قيام الاسرائيليين بالتقدم من العقبات باتجاه عرنـــة ــ قطنا لضرب مجنبة القوات السورية ومؤخرتها . ولقد كــــــان على الاسرائيليين في هذه الحالة شق الطريق الذي يحميه اللواء الجبلي الخامس بالقوة . لذا تابعت قطعات اللــــواء تحصين مواقعها طوال يوم ١٠/٢٢ تحت القصف الجـــــوي والقصف المدفعي المعاديين المتناوبين . ولكن العدو تمركز في مواقعـــــه ولم يتقدم ، وبهذا بقي بين القوات العراقيـــــة والقـــــوات الاسرائيليةمنطقة عازلة عرضهاعدةكيلومترات،ومضىيوم ١٠/٢٢ دون أن يتحقق التماس بين الطرفين .

وفي يوم ١٠/٢٣ دفعت القيادة السورية كتيبة قوات خاصة الى منطقة « عرنة » لتبديل الكتيبة الثانية من اللــواء الجبلي الخامس . واستمرت عملية تبديل اللواء بعد ذلك طوال يومي ٢٣و٢٤ . وعند توقف اطلاق النار على الجبهة السورية كانت وحدات اللواء قد انهت تسليم مواقعها للسوريين وتمركزت خلف الفرقة المدرعة السورية الثالثة كاحتياط بيد قائد الفرقة. وهكذا انتهت عمليات اللواء الجبلي الخامس التي كانت بمجملها عبارة عن تحركات وتنفيذ واجبات دفاعية او تعرضية دون الاشتباك المباشر مع العدو . ولقد خسر اللواء خلال فترة ٢٠ـ٢٢ عشرة شهداء وثلاثين جريحا ، سقطوا كلهم من جراء عمليات الطيران والمدفعية والهاون .

ملاحظات على عمليات اللواء الجبلي الخامس

١ ـ لقد وصل اللواء الى « القطيفة » وتكامل تحشده في يوم ١٠/٢٠ . وكان من المفروض دفعه راسا الى العقبات او الى « عرنة » على الاقل ، خاصة وان جميع الدلائل كانت تشير الى ان العدو يعد العدة للهجوم على كتيبتي المشاة الخاصة السوريتين المتمركزتين في منطقة المراصد والمرتفعات المجاورة لها . ولو تم هذا الامر ، لكسب اللواء الجبلي الخامس وقتا ثمينا ، ولزادت امكانات دخوله في معركة جبل الشيخ بشكل يعدل ميزان القوى لصالح الجانب العربي ، ويضمن صد الهجوم الاسرائيلي وتكبيده خسائر كبيرة .

٢ ـ كان اللواء يملك عند وجوده في شمالي العراق الرواحل اللازمة لحمل الاسلحة الثقيلة والذخائر والمؤن في الجبال. ولقد فرضت عليه ظروف الحركة السريعة عدم اصطحاب هذه الرواحل ، على اعتبار انه سيتم الحصول على رواحل اخرى في سورية. ولكن عدم توفير هذه الوسيلة الضرورية للنقل افقدت اللواء جزءا من مرونته ، وحملت الرجال اعباء اضافية كان من الممكن ان تؤثر على سير المعركة لو ان اللواء حقق التماس مع العدو ، او اشتبك في قتال جبلي هجومي .

٣ ـ لم يستخدم اللواء الجبلي الخامس مدفعيته وهاوناته طوال فترة ٢٠ـ٢٢ ، نظرا لعدم حصوله على معلومات دقيقة عن مواقع العدو او مرابض مدفعيته وهاوناته ، رغم وجـــود ضابط ارتباط سوري لاغراض المدفعية مع قائد اللواء . ولـــم يستطع اللواء ايضا طلب رمي معاكس البطاريات من المدفعية السورية عند تعرضه للرمايات المعادية ، ويرجع ذلك الـــى عوامل متعددة تتعلق بتنظيم الاتصالبين ضابط الارتباط السوري وقيادة الفرقة المدرعة السورية الثالثة .

٤ ـ لم يكن كوادر اللواء يعرفون الارض بشكل مسبق . ولقد طلب منهم تنفيذ الواجبات قـــبل ان تتاح لهـــم فرصة الاستطلاع .

٥ ـ كان الموقف امام اللواء مبهما الى حد بعيد ، الامر الذي اثر على القرارات التكتيكية . وبالاضافة الى ذلك ، فقد تم تبديل واجب اللواء ثلاث مرات : الدفاع ضمن اطار الفرقـة المدرعة الثالثة ، التعرض على طريق قطنا ـ عرنة ـ العقبات، الدفاع عن طريق عرنة ـ قطنا .

٦ ـ كان اللواء يتلقى الاوامر من القيادة العامة ، ومـــن هيئة الارتباط العراقية، ومن قيادة الفرقة المدرعة الثالثة ، الامر الذي خلق ازدواجية اثارت البلبلة .

٧ ـ لم يكن مع اللواء الجبلي عربات مجـــنزرة جبلية صغيرة لتامين الامداد والتموين والاخلاء في المناطق الوعرة وفق احدث اساليب القتال في الجبال . كما لم يلحق به طائـــرات هليكوبتر لشؤون الرصد والاستطلاع او لشـــؤون الامـــداد والتموين والاخلاء .

٨ ــ جرى زج اللواء الجبلي باسلوب التقدم على الاقدام من الاسفل الى الاعلى . وهو اسلوب لا يؤمن السرعة او المفاجاة؛ ويعرض القوات الجبلية الى المشاق ، ويكبدها خسائر كبيــرة عند الاصطدام مع عدو يتمركز في الذرى . ولو وضع تحتتصرفه طائرات هليكوبتر ، لزادت مرونته وامكاناته الحركية : ولامكن نقله الى القمم ؛ وزجه في المعركة بشكل مفاجيء وباسلـــــوب التقدم من الاعلى الى الاسفل .

الفصل الثامن

عمليات لواء القوات الخاصة

اللواء يتحرك نحو مسرح العمليات

يشكل لواء القوات الخاصة في الجيش العراقي جزءا من القوات الخاصة التي كانت تضم في العام ۱۹۷۳۰ لواء قوات خاصة ولواء قوات محمولة جوا . ونظرا لطبيعة هذا اللـــواء ، ومستواه التدريبي العالي ، وقدرته على القيام بالعمليات ضد العصيان، فقد حددت القيادة مكان تمركزه في شمالي البلاد ، حيث شارك في عمليات التهدئة في المناطق الكردية ، ثم اوقف عملياته بسبب لاتفاق المؤقت مع الملا مصطفى البرزاني، وبقي مستعدا للتدخل في حالة اندلاع القتال في الشمال من جديد. وكان اللواء في يوم ٦/١٠ تدرب ضمن اطار خطة التدريب الاجمالي (١) ، الامر الـــذي ساعده على اخذ وضعية الانذار بسرعــــة وانتظار اوامـــر الحركة .

وكان اللواء المؤلف من ثلاث كتائب قوات خاصة موزعـا في عدة مناطق متباعدة . وكانت بعض وحداته فقط في معسكر اللواء في كركوك . وفي يوم ٨/١٠ صدرت الاوامـــر للـــواء

---

١ ـ عندما تكون القطعة العراقية في التدريب الاجمالي ، تكـــون نسبة الجاهزية فيها ١٠٠ ٪ من ناحية الرجال والاسلحة والاليات والمعدات القتالية والذخائر والمؤن .. الخ .

بالتحرك الى قاعدة ابن الوليد لتقريبه من مسرح العمليات . وتسهيل عملية دفعه الى سورية اذا تطلب الموقف ذلك . ولكي تتم الحركة بسرعة ، قررت القيادة نقله بالطائرات من كركوك الى منطقة التجمع في قاعدة ابن الوليد » نظرا لطول الطريق البرية الواصلة بينهما . (حوالي ١٠٠٠ كيلو متر) .

وفي يوم ٨ / ١٠ ، قامت ١٢ طائرة نقل بنقل الكتيبة الثانية مع اسلحتها وذخائرها الى قاعدة ابن الوليد ، على حين انتقل الذيل الاداري للكتيبة بالسيارات . وفي هذا اليوم ايضا تحركت بقية وحدات اللواء المنتشرة بالسيارات من مناطق تمركزها الى كركوك ، حيث نقلتها الطائرات تباعا الى قاعدة ابن الوليد . وتبعتها الذيول الادارية بالسيارات . وفي يوم ١٣ / ١٠ وصلت آخر وحدات اللواء الى منطقة التجمع . وغدت قطعات اللواء القتالية جاهزة للحركة باتجاه سورية (٢).

وفي هذه الفترة ، كان الهجوم السوري على جبهة الجولان قد توقف ، وشنت اسرائيل هجومها المعاكس .واخذالوضع على الجبهة السورية يزداد خطورة . واحست القطعات المدرعة العراقية المشتبكة مع العدو انها بحاجة لقوات مشاة خاصة لشن الاغارات الليلية على مواقع العدو وتجمعاته . لذا قررت القيادة في بغداد دعم هذه القطعات بلواء القوات الخاصة . ودفعت الكتيبة الثانية في الساعة ٢٠٠٠ من مساء ١٣ / ١٠ بالسيارات نحو نقطة تحشد اللواء الامامية في « حرجلة » (وراء منطقة عمل الفرقة المدرعة العراقية الثالثة) . وفي يوم ١٤ دفعت الكتيبة الثالثة مع مقر قيادة اللواء بعد تكاملهما اداريا ، . وفي يوم ١٧ تحركت الكتيبة الاولى فوصلت « حرجلة » في اليوم نفسه .

---

٢ ــ يعود سبب تحرك الكتيبة الثانية قبل غيرها الى الحماسة التي سادت الجيش العراقي للذهاب الى القتال . فلقد كان قائد الكتيبة في مقر اللواء عند تلقي امر القيادة . فاقنع قائد اللواء المقدم الركن عبد الجواد ذنون بارسال كتيبته قبل غيرها ، فوافق اللواء على ذلك . وحتى لا يحتج قادة الكتيبتين الاولى والثالثة » فانه لم يعلمهما بالامر الا بعد ان اصبحت الكتيبة الثانية في المطار .

ومن الواضح هنا ان اللواء اضاع وقتا ثمينا في الحركة من اماكن تمركزه في الشمال حتى ابن الوليد . ويرجع السبب في ذلك الى انتشاره الواسع في منطقة جبلية ، وعدم توفر طائرات النقل الكافية لحمل الكتيبة مع نيلها الاداري دفعة واحدة ، حتى لا تضطر الكتيبة لانتظار النيل المتحرك بالآليات . ولو امن الطيران ٦ طائرات نقل اخرى لكانت الكتيبة الثانية على الاقل جاهزة للحركة من ابن الوليد الى حرجلة في يوم ٨ ولكان اللواء جاهزا للحركة الى سورية ، مع نيله الاداري ، في يوم ١١ او ١٢ تشرين الاول عى ابعد تقدير .

العمليــــات

ما ان وصلت الكتيبة الثانية من اللواء الى « حرجلة » في مساء ١٠/١٢ ، حتى التحقت بالفرقة المدرعة العراقية الثالثة التي كانت وحداتها مشتبكة مع العدو . وفعلت الكتيبة الثالثة الشيء نفسه عندما وصلت في يوم ١٠/١٥ ، ثم تكامل تحشد اللواء في « حرجلة » في مساء ١٠/١٧ دون ان يتعرض خلال الحركة لاي قصف جوي معاد ، وغدا جزءا من القوة الاحتياطية لقيادة الفرقة المدرعة الثالثة . وكانت اتصالاته السلكية واللاسلكية مع قيادة الفرقة مؤمنة بشكل جيد ، كما كان تمركزه امينا لانه انتشر في موقع معد مسبقا من قبل اللواء المدرع ٧٦ السوري . وكان ضباط ومراتب اللواء يقومون بالاستطلاع والتعرف على الوضع ودراسة الارض فور وصولهم الى منطقة قتال الفرقة الثالثة ، استعدادا لتنفيذ الواجبات التي ستكلفهم بها قيادة الفرقة .

وعند وصول لواء القوات الخاصة الى منطقة التحشد ، كانت القوات المدرعة العراقية تشن هجمات معاكسة على العدو لمنعه من توسيع الخرق في جيب «سعسع». وكان العدو يحاول ايقاف القوات العراقية ، ومتابعة احتلال مواقع حاكمة تسمح له بالانطلاق هجوميا في المستقبل ، او تؤمن له على الاقل مواقع افضل للدفاع امام القوات العراقية التي كانت تنوي شن هجوم

واسع بعد تكامل تشكيلاتها على الجبهة السورية .

ولقد ادت الهجمات والهجمات المعاكسة المتبادلة ، واستخدام قطعات الدبابات والمشاةالميكانيكيةعلى نطاق واسع، الى وجود جبهة متحركة يفصل فيها الخط الامامي لقوات العدو عن الخط الامامي لقوات الصديق شريط ارضي بعرض ٣ـ٥ كيلو مترات (منطقة محرمة) . وفي يوم ١٦ / ١٠ ، وهو تاريخ اول عملية قامت بها وحدات من لواء القوات الخاصة ، كان الوضع العام على جبهة عمل القوات العراقية مناسبا جدا لاستخدام هذه القوات . فلقد قام اللواء المدرع العراقي ١٢ قبل ذلك باربعة ايام بشن هجوم معاكس لايقاف العدو ومنعه من توسيع الجيب نحو الشرق ، والحق به خسائر كبيرة ، وتكبد خلال عملياته نسبة من الخسائر جعلت من الضروري سحبه الى الخلف للراحة واعادة التنظيم ، ودفعت القيادة العراقية لواء المشاة الميكانيكي الثامن واللواء المدرع السادس لمتابعة الضغط على العدو الذي انهكته معارك الايام السابقة . وكانت قوات العدو منتشرة على مواقع متباعدة وغير معدة دفاعيا ولا تشكل جبهة كاملة محصنة . لذا كان دفع القوات الخاصة الى التسلل ليلا من ثغرات جبهة العدو بغية ضرب اهدافها والعودة الى الخطوط الصديقة ، عملا ملائما يدل على ان قيادة الفرقة المدرعة طبقت بشكل جيد مبدأ استخدام القوة المناسبة في الزمان والمكان المناسبين ، خاصة وان القوة المستخدمة لم تكن قد اشتركت في القتال من قبل ، وتملك كل طاقاتها المادية والنفسية ،وتتمتعبقوى معنوية عالية .

وكانت الغاية من استخدام الفرقة الثالثة لقواتها الخاصة تحقيق الاغراض التالية :

١ ــ تدمير جزء من قوات العدو المادية .

٢ ــ وضع العدو في مناخ التهديد المستمر ، وحرمانه من الراحة ، وخلق توتر نفسي سلبي بين قواته.

٣ ــ ابطال الاثر النفسي الايجابي الذي حصلت عليه قوات العدو بعد صدهجمات اللواء المدرع ١٢ .

٤ — اقناع قيادة العدو بديناميكةالقوة التي تقابلها واصرارها على استمرار الضغط،واعطاؤها احساسا بوجود قوة كبيرة امامها ، الامر الذي يجبرها على الحد من نواياها الهجومية .

٥ — المساعدة على خلق الظروف الملائمة لعمل اللواء المدرع السادس واللواء الميكانيكي الثامن والقوات العراقية الاخرى التي كانت تتدفق نحو الجبهة .

العملية الاولى (ليلة ١٦ — ١٧).

قامت الكتيبة الثانية باستطلاعاتها للتعرف على الارض منذ وصولها الى « حرجلة » في يوم ١٤،ولذا فقد كانت في يوم ١٥ مؤهلة لدخول المعركة . وفي يوم ١٦ تلقت الكتيبة من الفرقة الامر بشن اغارة ليلية على جحفل معركة للعدو ، يضم دبابات ومشاة آلية ملتجئة في تل المال ، وبطاريات صواريخ مضادة للدبابات في مكان مجاور،وكان بعد العدو عن خط الاصدقاء الاول، ٤—٥ كيلو مترات . وقضى ضباط ومراتب الكتيبة نهار ١٠/١٦ في اعداد العملية ودراسة الخرائط . وكانت الحماسة داخل الكتيبة في اعلى ذرواتها . فهذه هي المرة الاولى التي يلتقي فيها مقاتلو الكتيبة مع العدو القومي الذي تغطرس طويلا ، وجاء الوقت ليدفع الثمن .

وفي مساء يوم ١٦ / ١٠ تحركت الكتيبة بالاليات الى مواقع الانطلاق فيدير العدس وعقربة . ثم بدات الحركة راجلة . واجتازت خطوط الاصدقاء في الساعة ٢٠٣٠ . وانطلقت سرية من عقربة وسريتان من دير العدس ، ودخلت المنطقة المحرمة المليئة بحطام الاسلحة والاعتدة المختلفة عن معارك الايام السابقة . وكان العدو ينير « المنطقة المحرمة » بالانوار الكاشفة (بروجيكتورات) وقنابل التنوير . ولم يكن مع السرايا المتقدمة اي ادلاء ممن يعرفون طبوغرافية الارض . لذا كانت الحركة بطيئة نسبيا .

وبعد منتصف ليلة ١٠/١٦ وصلت السرية المنطلقة من حقرية الى هدفها عند تل المال ، وتسللت الى مسافة الانقضاض دون ان يشعر بها العدو . ويبدو ان العدو كان منهمكا في تحصين مواقعه ، وكان رصده للارض المحيطة به محدودا لانه لم يكن يتوقع اية اغارة ليلية عربية ، خاصة وان الجيش الاسرائيلي داب على تعليم جنوده بانهم سادة القتال الليلي ، وبان الجيوش العربية لا تقاتل ليلا . وهذا ما ساعد السرية على تحقيق المفاجأة الكاملة. وانقضت على الهدف مستخدمة الاسلحة الرشاشة والقواذف المضادة للدروع والقنابل اليدوية ، والقنابل اليدوية م/د . ولقد استطاعت السرية خلال هذه الاغارة على مأوى دبابات العدو وعرباته المدرعة تدمير ٥ دبابات و٦ عربات مدرعة لنقل الجنود، والحقت بالعدو ٢٤ اصابة (بين قتيل وجريح).وفي الساعة ٤٠٠ من فجر ١٠/١٧ ، اعطى قائد السرية اشارة الانسحاب: فانسحب المقاتلون الى (المثابة) المحددة لهم ، ثم عادوا الى نقطة الانطلاق .

ومن الجدير بالذكر ان العدو تصرف امام هذه العملية بسلبية كاملة.وكانت رماياته تجاه المغيرين مبعثرة وقليلة الكثافة. ولم يدفع وراء قوة الاغارة اية قوة مدرعة او محمولة لمطاردتها وقطع طريق انسحابها ، واكتفى باطلاق قذائف التنوير على نطاق واسع . ولم تتكبد هذه السرية اية خسارة في الرجال والسلاح .

ولم تستطع السريتان المنطلقتان من دير العدس الوصول الى هدفهما نظرا لبعد الهدف ووعورة الارض . وكان هجوم السرية الاولى على تل المال قد انذر العدو : بشكل جعل من المتعذر تحقيق المفاجأة اللازمة للاغارة . ولقد قدر قائدا السريتين الموقف ، ووجدا ان الزمن لا يسمح لهما بمتابعة التقدم وتنفيذ المهمة والانسحاب قبل طلوع اول ضوء،فأبلغا قائدالكتيبة بذلك . وامام هذا الموقف الجديد وعدم توفر عنصري الوقت والمفاجأة تم انسحاب السريتين باتجاه دير العدس دون اشتباك مع العدو .

العملية الثانية (ليلة ١٧ـ١٨) .

في الساعة ١٢٠٠ من يوم ١٧/١٠ تلقت الكتيبة الثالثة مهمة مهاجمة قوات معادية (دبابات وهاون ١٢٠) عند تل عنتر الذي كان الاسرائيليون قد اعادوا احتلاله بعد معركة مع اللواء المدرع السادس ووحدات من اللواء الميكانيكي الثامن . وبعد استطلاع الموقف تحركت سرية من الكتيبة باتجاه كفر شمس بالاليات وكانت مسلحة بالرشاشات والقنابل اليدوية والهاونات الخفيفة والقواذف م / د . وعندما وصلت الى نقطة تقع جنوبي كفر شمس بمسافة ٢٫٥ كيلو متر ترجل الجنود وتابعوا الحركة على الاقدام .

وفي الساعة (٠٠٣٠) من يوم ١٨ / ١٠ وصلت السرية الى كفر شمس ، ثم انحرفت الى اليسار واتجهت باتجاه الغرب . وبعد مسيرة ٤٫٥ كيلو مترات على ارض منبسطة تتخللها بعض التلال المنفردة وتتناثر فيها اكوام الصخور البركانية وكتل الاليات المحطمة ، وصلت السرية الى مأوى دبابات خال يقع على مسافة ١٢٠٠ متر من تل عنتر ، فوقفت عنده ، وتم توزيع المهمات ؛ وانطلقت القوة باتجاه الهدف . وعلى مسافة ٤٠٠ متر من التل توقفت السرية للرصد وكان العدو ينير المنطقة بكثافة كبيرة ؛ واضطرت عناصر السرية الى التسلل بحذر شديد مستفيدة من ثنيات الارض .. وعندما وصلت الى مسافة ١٥٠ مترا تمركزت الهاونات الخفيفة ؛ وتابعت قوة الاقتحام وقوة الحماية (قوة ستر الانسحاب) حتى ١٠٠ متر من العدو حيث توقفت قوة الحماية ، وتابعت قوة الاقتحام تقدمها مع ١٢ قاذف م/د .

وكان العدو منشغلا آنذاك في اعداد مواقع الدبابات ولم يكن رصده دقيقا ، لذا تمت المفاجأة بشكل كامل . واقتحم الجنود العراقيون موقع العدو في الساعة ٠٢٠٠، وقامت القواذف باطلاق عدة رشقات ، وقام الهاون الخفيف بالرمي ، واصيب الضلع المعرض للصدمة بدمار كامل ، واحترقت الدبابات المتمركزة على هذا الضلع، واعطى قائد السرية امر الانسحاب. وهنا بدأ رد فعل العدو ، فتحركت عدة دبابات مختفية وراء

التل لتطويق القوة المنسحبة ، كما قامت الرشاشات والهاونات بالرمي على المنسحبين بعد ان انير حقل المعركة بشكل كثيف . وللتملص من المطاردة التي لم تكن ديناميكية كما ينبغي ، بدلت السرية اتجاهها وانحرفت نحو اليسار باتجاه كفر شمس . وكانت مستعدة للاشتباك مع الدبابات لو انها تابعت المطاردة بالعمق ، لان كل قائف م/د احتفظ عند الانسحاب بقذائف م / د ليستخدمها عند الحاجة . ولكن دبابات العدو لم تتورط في المطاردة الليلية غير المأمونة الى مسافة بعيدة خشية الوقوع في كمائن المشاة المسلحين بالاسلحة المضادة ، واكتفت بالرمي من الثبات .

ووصلت السرية كفر شمس في الساعة ٦٠٠ من صباح ١٨ / ١٠ بعد ان نفذت واجبها ودمرت للعدو ٩ دبابات،والحقت برجاله خسائر بشرية لم تحدد بدقة . وكانت خسائر السرية خلال العملية ٥ جرحى و٣ شهداء واسيرا .

العملية الثالثة (ليلة ١٩ — ٢٠) .

في يوم ١٩/١٠ كلفت قيادة الفرقة لواء القوات الخاصة بشن اغارة ليلية على مقر قيادة لواء مدرع معاد في « كفر ناسج » . وخصصت قيادة اللواء لهذا الواجب سريتين هما : السرية الاولى من الكتيبة الثانية ، وسرية من الكتيبة الاولى . وكانت مهمة السرية الاولى من الكتيبة الثانية القيام بتنفيذ الواجب ، تحت حماية السرية الاخرى التي كلفت بتأمين الانسحاب وعمل ٣ مصدات مقابل تل عنتر وتل فاطمة وتل الملاقية ، لصد اية مطاردة يقوم بها العدو . وخصصت وحدة مدفعية لاسناد العملية وحماية الانسحاب . وكان الاهتمام بالمصدات ودعم المدفعية احد الدروس المستفادة من الدورية الثانية .

وفي الساعة ٢٠٠٠ من يوم ١٩ توجهت القوة بالآليات الى دير العدس ، حيث تقع نقطة انطلاقها . بيد ان قائد الكتيبة الثانية اوقفها في غباغب ، واعلمها بان مهمتها قد تبدلت .

واصدر اليها امرا بمهاجمة تجمعات دبابات ومشاة ميكانيكية في تل العلاقية وتل عنتر : فتابعت القوة تقدمها الى دير العدس حيث ترجلت ، واعيد توزيع الواجبات .

وفي الساعة ٢٠٥٠ تحركت القوة من دير العدس باتجاه الهدف ، وكانت المجموعات القتالية مسلحة بالاسلحة الرشاشة والقنابل اليدوية الهجومية والمضادة للدبابات ، وتحمل قوانفها المضادة للدبابات بعد تعزيزها بقوانف اضافية بنسبة ٥٠ ٪ وعندما اجتازت القوة خط المخافر الامامية السورية المنتشرة امام قطاع الفرقة المدرعة الثالثة العراقية ، اعلمت المخافر السورية قائد القوة ، بان العدو نصب كمينا بثلاث دبابات يمين الطريق . فتابعت القوة تقدمها داخل المنطقة المحرمة مسافة كيلو مترين ، ولم تنجذب الى الكمين المعادي بل انحرفت نحو اليسار لتتجنبه وتتابع مسيرها نحو الهدف الاساسي (تل عنتر وتل العلاقية) .

واخذت قوة الاسناد وحماية الانسحاب (سرية الكتيبة الاولى) مواقعها في الساعة ٢٢٠٠، بينما كانت قوة الاغارة تتابع تقدمها داخل « الارض المحرمة » . وفي الساعة (١٠٠) من يوم ١٠/٢٠ ، وصلت هذه القوة الى مسافة ٤٠٠ متر من العدو . فجمع قائد السرية قادة المجموعات بواسطة السعاة للحفاظ على الصمت اللاسلكي المطبق ، وحدد لهم الواجبات وترك وحدة من سريته لتأمين الحماية المباشرة ، وتابع التقدم مع قائد الاقتحام . وعند وصول هذه القوة الى مسافة ٢٠٠ متر من الهدف انقسمت الى ثلاث مجموعات ، اتجهت الاولى بقيادة ضابط نحو تل عنتر ، واتجهت الثانية بقيادة ضابط نحو تل العلاقية ، وتوجهت الثالثة مع قائد السرية بين المجموعتين .

وساعد الظلام وطبيعة الارض على اخفاء قوة الاغارة . وكان انشغال العدو بالحفر وادخال الدبابات الى ماواها عاملا مساعدا ايضا ؛ واستطاعت مجموعة الوسط الوصول الى مسافة ٤٠ ـ ٥٠ مترا دون ان يكشفها رصاد العدو . ووصلت الجماعتان الاخريان الى مسافة عدة امتار ، « حتى ان تراب الحفر الذي

كان يلقيه جنود العدو خلال اعداد مواقعهم ، كان يتدحرج على التل حتي جنود الاغارة المنبطحين بانتظار الانطـلاق » (٣) وفي حوالي الساعة ٢٠٠ بدا قائد السرية الرمي ، وانصبت نيـران الاسلحة الرشاشة والقاذفات م/د على العدو . وانقضـت مجموعات الاقتحام على مواقع العدو ، واشتبكت معه بالسلاح الابيض . واضطرب جنود العدو من تاثير المفاجاة ، وكانـت مقاومتهم في مكان الصدمة ضعيفة وردود فعلهم بطيئة . والقى احد جنود العدو في تل العلاقية قنبلة يدوية جرحت جنـديا . وقامت المواقع المعادية المجاورة بانارة المنطقة ، والرمي على قوة الاغارة عشوائيا دون ان تغادر اماكنها ، وبدأت دبابـتان معاديتان بالرمي من اليمين واليسار على المغيريـن بالرصاص الخطاط (المذنب) . وكان بوسع هذا الرمي ان يعطل انسحاب قوة الاقتحام ، لذا كلف قائد السرية ٤ قـواذف م/ د لاسكـات النيران . وتسلل رماة القواذف نحو الدبابتين واستطاعـوا تدميرهما .

وبعد اشتباك دام ٤ـ٥ دقائق ، وتأكد قائد السرية من ان الواجب قد نفذ ، اصدر امر الانسحاب الذي تم تحت حمايـة نيران المدفعية الصديقة . ولقد قامت المدفعية برمي قنابـل متفجرة للتدمير ، وقنابل مدخنة للاعماء نظرا لقيام العدو بانارة المنطقة بقنابل التنوير ذات المظلات ، وبداية ظهور ضوء القمر.

وانسحبت القوة المغيرة من خلال مواقع سريـة حماية الانسحاب التي بقيت في مكانها لتامين الحماية ومجابهة اية قوة معادية تقوم بالمطاردة . ثم انسحبت نحو خطوط الصديق دون ان تشتبك مع العدو الذي لم يغامر بالمطاردة. وفي السـاعـة ٣٠٠ تجمعت قوة الاغارة بكاملها في دير العدس ، وكانـت خسائرها جريحا واحدا امكن اخلاؤه. اما خسائر العدو فكانت

---

٣ ــ من حديث مع قائد السرية الاولى من الكتيبة الثانية .

١١ دبابة و٤ عربات مدرعة لنقل الجنود و٣٧ اصابة بين افراد: (قتلى وجرحى) (٤).

العملية الرابعة (ليلة ٢٠ــ ٢١) .

في يوم ٢٠ / ١٠ كلفت سرية من الكتيبة الثانية بمهاجمة جحفل معركة مؤلف من كتيبة دبابات معادية متمركزة عند تل قرين . وقامت السرية بالاستطلاعات اللازمة ، ثم تحركت في مساء يوم ٢٠/١٠ لتنفيذ الواجب بعد تعزيزها بقواذف مضادة للدبابات بنسبة ٥٠ ٪ . وعندما وصلت القوة المهاجمة الى مقربة من الهدف قطع قائد الكتيبة الصمت اللاسلكي ، وطلب منها التوقف والعودة الى نقطة الانطلاق نظرا لان قوة سورية قد كلفت بمهاجمة الهدف نفسه ، ولان من المحتمل وقوع اصطدام غير مقصود بين القوتين السورية والعراقية . وعادت السرية دون تنفيذ الواجب .

ويبدو ان القوة السورية قد وقعت في موقف مماثل ، وعادت الى قاعدتها خوفا من الاصطدام مع السرية العراقية . وهكذا أدى انعدام التنسيق في قطاع عمل واحد الى احباط المهمة وضياع فرصة القضاء على قوات العدو عند تل قرين .

ملاحظات حول عمليات اللواء

بدأت كتائب اللواء عملياتها منذ وصولها الى ساحة المعركة . ونفذت جميع الواجبات التي كلفتها بها الفرقة بكفاءة عالية . وادى ارتفاع معنوياتها ، وجودة تدريبها ، وتراكم الخبرات القتالية السابقة لديها الى تحقيق نتائج جيدة تمثلت بتكبيد العدو خسارة كبيرة مع التعرض الى الحد الادنى من

---

٤ ــ يؤكد قائد السرية الاولى من الكتيبة الثانية هذه الارقام ، كما يؤكد ان احصاء خسائر العدو تم على الارض بعد اقتحام الهدف .

الخسائر التي لم تكن تزيد عن نسبة الخسائر المقبولة في المناورات العملية المعقدة مع استخدام الذخيرة الحية في زمن السلم .

ومع هذا فان من الملاحظ ان عدد العمليات التي قام بها اللواء لا تتناسب مع حجمه ، وحماسته، ومدة بقائه في «حرجلة» وطبيعة المعركة السيالة التي كانت تدور في منطقة عمل الفرقة المدرعة الثالثة . ويرجع السبب في ذلك الى ٣ عوامل: اولها ان وحدات اللواء عملت على ارض لا تعرفها ولم يسبق لها ان استطلعتها . ومن المعروف ان عمليات القوات الخاصة تعتمد اعتمادا كبيرا على معرفة الارض ودقة الاستطلاع وسلامة الاعداد الذي يسبق العملية . والعامل الثاني هو تطور الاوضاع في جبل الشيخ منذ ليلة ١٩ ـ ٢٠ ، وتفكير القيادة السورية بسحب اللواء من منطقة عمل الفرقة المدرعة الثالثة ودفعه الى جبل الشيخ لتعزيز القوات الخاصة السورية المتمركزة هناك ، وعدم رغبة قيادة الفرقة الثالثة بانهاك اللواء قبل تكليفه بالمهمة الجديدة . اما العامل الثالث ، فهو ان قيادة الفرقة قررت بعد الغاء فكرة ارسال اللواء الى جبل الشيخ ، استخدامه كقوة احتياطية ضمن اطار الهجوم المضاد السوري ـ العراقي ـ الاردني على جيب سعسع . ولذا قررت الاحتفاظ به سليما لهذا الغرض .

وهناك ملاحظة ثانية تتمثل في ان عمليات اللواء كانت ذات طابع تكتيكي ومباشر ، فلقد تمت ضد اهداف تقع على الحد الامامي لخط العدو ، واصطدمت مع تجمعات القوات بشكل جبهي ، ولم تتوغل بعمق ضمن ترتيب العدو للقيام بضربات على مؤخراته التكتيكية ، او لمهاجمة مرابض مدفعيته او عقد اتصالاته ، مع ان خط العدو غير المتصل كان يسمح بذلك . وكانت كل عمليات اللواء التي نفذت او العمليات التي كان من المنوي تنفيذها والغيت لسبب من الاسباب عبارة عن اغارات كر وفر ليلية ضد عدو ثابت ، يرفض القتال الليلي ، ولا يقوم خلال الليل بأي تعرض ، ويكتفي بالدفاع الثابت مع تنوير حقل المعركة بكثافة . وكانت الاغارات تنظم بشكل متشابه، ويستخدم

فيها الظلام والمرونة والمبادرة لتحقيق المفاجأة ، دون الافادة من الحيلة ، والابتكار ، والمغامرة المحسوبة والضربات غير المباشرة .

والملاحظة الثالثة هي ان الفرقة لم تستخدم كتائب القوات الخاصة خلال الهجمات الاخيرة للواء المدرع ١٢ او خلال هجمات هجمات اللواء المدرع السادس ، مع انه هذين اللوائين كانا بحاجة لقوات مشاة خاصة قادرة على احتلال مواقع العدو الحاكمة ، او الانقضاض على بطاريات الصواريخ م/د المعادية لتسهيل تقدم الدبابات المهاجمة .

والملاحظة الرابعة هي ان السرايا القائمة باقتحام مأوى دبابات العدو كانت تحمل اسلحتها المضادة مضافا اليها اسلحة تعادل ٥٠ ٪ من اسلحتها . ولقد كان بالامكان زيادة النسبة حتى ١٠٠ او ٢٠٠ ٪ (كما فعل المصريون والسوريون في بعض المعارك) بغية اعطاء مجموعات الاقتحام غزارة نارية وقوة صدمة اكبر .

والملاحظة الخامسة ، هي ان وحدات القوات الخاصة المدربة جيدا على القتال كقوات محمولة جوا ، لم تستخدم في العمق العملياتي ، ولم تزود بالهليكوبترات للتسلل ليلا بعمق كبير والقيام بعمليات مؤثرة ضد نقاط حساسة من ترتيب العدو (كما فعل المصريون في سيناء ، والسوريون وجيش التحرير الفلسطيني في الجولان وجبل الشيخ ، وكما فعل الاسرائيليون عندما استعادوا جبل الشيخ ، او عندما تسللوا الى جنوبي منطقة دمشق) .

واغلب الظن ان قيادة الفرقة المدرعة الثالثة قد خططت لتنفيذ مثل هذه العمليات خلال الهجوم المضاد الكبير الذي كان من المنوى اجراؤه في ١٠/٢٢ ، وانها لم تستخدم اللواء بهذا الاسلوب في فترة ١٦ ــ ٢٠ ، لانها ارادت الحفاظ عليه كقوة صدمة متكاملة قادرة على القيام بواجبها خلال الهجوم المعاكس

الكبير . ولان الاستطلاع الجوي لم يكن يقدم لها صورة آنية ومتجددة عن اماكن انتشار قطعات العدو ، ومسالك التسلل الجوي التي تستطيع طائرات الهليكوبتر استخدامها على ارتفاع منخفض دون التعرض لرمايات الاسلحة المعادية المضادة للطائرات .

الفصل التاسع
تكامل التحشد والاستعداد للهجوم المعاكس الاستراتيجي

تحشد الفرقة المدرعة العراقية السادسة :

ادى وضع الجبهة السورية الحرج منذ اجتياز العدو لخط وقف القتال للعام ١٩٦٧ الى استخدام قطعات الفرقة المدرعة العراقية الثالثة ، ولواء القوات الخاصة ولواء المشاة العشرين الملحقين بها ، في القتال فور وصولها المتتابع الى مسرح العمليات . وكان على هذه القوات ان تقاتل بالالوية أو ببعض وحدات الفرقة ، لاحتواء العدو ، ومنع توسيع الثغرة باتجاه الجنوب ، وحرمان القوات الاسرائيلية من تطويق دمشق . لذا كان تحشد هذه الفرقة يتسم بانه تحشد مندمج مع المعركة ومستمر خلالها ، بكل ما في هذا الاندماج من صعوبات تعبوية (تكتيكية) وتقنية وادارية .

ولم يكن الامر كذلك بالنسبة الى الفرقة المدرعة العراقية السادسة التي نفذت عملية التحشد بمعزل عن المعركة ، وكانت ترتيبات تنقلها وتحشدها وانتشارها محكومة بالعوامل الادارية والتقنية اكثر من العوامل التعبوية (التكتيكية) . واذا كان تحشد الفرقة المدرعة الثالثة قد ساعد على تحقيق الصد والاستعداد للمشاركة في الرد ، فان تحشد الفرقة المدرعة السادسة يبقى ضمن أطار الاستعداد للمشاركة في الرد فقط .

كانت الفرقة المدرعة العراقية السادسة يوم اندلاع الحرب مكلفة بواجب في القطاع الحدودي المخصص لها في المنطقة الشرقية . وكانت معظم وحداتها تقوم بالتدريب الاجمالي في البادية بعيدا عن معسكرها الاصلي . ولقد وضعت الفرقة في حالة الانذار (الاستنفار) منذ يوم ٦/١٠ ، وبقيت تنتظر اوامر الحركة نحو الجبهة ، وخاصة عندما علم قائد الفرقة ان القيادة السياسية اتخذت قرارا بدفع الفرقة المدرعة الثالثة ومعظم اسراب القوات الجوية الى سورية .

وفي يوم ٨/١٠ ، وبعد ان بدأ الهجوم المعاكس المعادي الاستراتيجي في الجولان ، تلقى قائد الفرقة من رئيس الاركان العامة امرا شفويا بالاستعداد للتحرك نحو سورية . وكان اتخاذ القرار بتحريك الفرقة المدرعة السادسة ناجما عن الحاح السوريين على طلب الدروع،بعد الخسائر التي اصابت دروعهم في يومي ٦و٧،والتي قدرتها المصادر الاجنبية بحوالي ٨٠٠ — ٨٥٠ دبابة ، واندفاع ٦ الوية مدرعة اسرائيلية من الاحتياط الاستراتيجي باتجاه الجولان ، كما ذكرنا في الفصل الرابع من هذا الكتاب .

ولقد سمحت جاهزية الفرقة من الناحية الادارية والتقنية باعداد التحرك خلال فترة قياسية قصيرة جدا . وبقيت الفرقة بانتظار امر الحركة مع تامين تجحفل الالوية واعداد التجهيزات الشتوية اللازمة للعمل في مناخ بارد نظرا للتباين الكبير في درجة الحرارة بين المنطقة الدافئة في شرقي العراق ومنطقة الجولان الباردة في شهر تشرين الاول . وفي يوم ٩/١٠ وصل امر الحركة الى مقر الفرقة ، فبدأت الوحدات تتحرك من اقصى الجناح الشرقي للوطن العربي الى منطقة الصدام الساخنة مع العدو القومي المشترك . وكانت الحماسة تتأجج في نفوس الجنود وقادتهم . ويرجع ذلك بشكل اساسي الى التوجيه المعنوي المستمر والتوعية السياسية التي كانت تتم داخل القطعات ، « وترتكز على قومية المعركة ، واهمية عروبة فلسطين ، وخطورة التهديد الاسرائيلي على وجود الامة العربية

وحضارتها » (١) . الامر الذي جعل كل ضابط وجندي مستعدا للتضحية بحياته بعيداً عن الحدود العراقية نظرا لايمانه العميق بأن صد الخطر الصهيوني على هذه الحدود هو حماية مباشرة لكل الامة العربية ، وحماية غير مباشرة للقطر العراقي نفسه. ولم تكن الحماسة مقصورة على القوات المسلحة ، بل انها شملت الشعب العراقي بأسره « حتى ان عددا من الجنود الهاربين من الخدمة العسكرية منذ فترة طويلة ، التحقوا بقطعاتهم فور سماع نبأ اندلاع الحرب، واستعداد الجيش العراقي لخوض المعركة » (٢) .

كان اول الالوية المتحركة هو اللواء المدرع ٣٠ الذي انتقل بالسكة الحديدية من معسكره الى منطقة التجمع غربي الفرات . واستمرت عملية نقل اللواء حتى يوم ١٠/١١ ، حيث بدأت حركة اللواء الميكانيكي ٢٥ بالسكة الحديدية وعلى الطريق . وفي يوم ١٦ وصل لواء الدبابات ١٦ من مكان تمركزه الى معسكر الفرقة وبدأ الحركة بالقطار وعلى الطريق باتجاه منطقة التجمع . وفي اليوم نفسه اندفع اللواء المدرع ٣٠ على السلاسل باتجاه « ايج ثري » نظرا الانشغال ناقلات الدبابات (المدنية والعسكرية) بنقل الوية الفرقة المدرعة الثالثة . وتلاه اللواء الميكانيكي ٢٥ الذي تحرك على السلاسل ايضا في يوم ١٩ . وما أن تكامل تجمع اللواء المدرع ١٦ غربي الفرات ، حتى انطلق على السلاسل باتجاه الحدود السورية .

وعندما دخلت قطعات اللواء المدرع ٣٠ الاراضي السورية اخذ التنقل شكلا آخر ، اذ ان ناقلات الدبابات التي انجزت رفع الفرقة المدرعة الثالثة ، بدأت تعود لرفع قطعات الفرقة المدرعة السادسة تباعا . ولم تكن القطعات التي لا يتم رفعها

---

١ — من حديث مع العميد الركن قائد الفرقة المدرعة السادسة .

٢ — من حديث مع العقيد الركن وليد سيرت قائد اللواء المدرع ٣٠ ، احد الوية الفرقة المدرعة السادسة.

تتوقف بانتظار الناقلات ، بل كانت تتابع تقدمها على السلاسل في سباق مع الزمن والمسافة . ولهذا تم تنقل الفرقة وفق جداول دقيقة معقدة نظمتها هيئة الاشراف على السابلة بالتعاون مع قادة القطعات المتحركة.

في يوم ١٧/ ١٠ وصلت مقدمة اللواء المدرع ٣٠ الى منطقة الانتشار الامامية في « نقيع » قرب « جاسم »،ثم تكامل وصول اللواء في يوم ١٩/ ١٠ . وكان اتصاله في البداية مع هيئة الارتباط العراقية التي كلفته بمهمة الانتشار دفاعيا ومنع اي خرق اسرائيلي ينطلق من "تل الحارة" باتجاه محور دمشق الرئيسي . وكان على يمين هذا اللواء الفرقة المدرعة السورية الاولى التي كانت تعيد تنظيمها واكمال نواقصها بالرجال والدبابات،والى يساره اللواء المدرع الاردني ٤٠ . وفي اليوم التالي ارتبط اللواء المدرع ٣٠ بالفرقة المدرعة العراقية الثالثة ، واصبح احتياطا عاما للقطاع الذي تعمل عليه هذه الفرقة واللواء المدرع الاردني ٤٠ وجزءا من الفرقة المدرعة السورية الاولى .

ورغم ان اللواء لم يكن على تماس مع العدو، فقد كانت امامه فجوة تفصل بين الفرقة المدرعة العراقية الثالثة ، واللواء المدرع الاردني ٤٠،تغطيها ستارة رقيقة من المشاة . ولذا انتشر اللواء المدرع ٣٠ بشكل يستطيع فيه تنفيذ الدفاع او الانطلاق للهجوم حسب مقتضيات الموقف . ولم تجد الوحدات صعوبة في اختيار المواضع لانها وجدت في مكان تمركزها مواضع مجهزة مسبقا من قبل القوات السورية . ولكن قائد اللواء وجد ان المواضع متقاربة بشكل غير مألوف بالنسبة الى القطعات المدرعة العراقية ، وخاصة في حالة وجود تفوق جوي معاد ، لذا قامت وحدات المهندسين المجحفلة معه باعداد مواضع اضافية لزيادة الانتشار . واعدت مفرزة مهندسين (مفرزة سدود متحركة) لنشر الالغام على الاتجاهات الخطرة اذا فرضت ظروف المعركة ذلك .

ويمكن القول ان اللواء المدرع ٣٠ كان مؤهلا في يوم ٢٠ / ١٠ لتنفيذ اي واجب هجومي تكلفه به قيادة الفرقة المدرعة الثالثة . ولكن هذه القيادة رأت الاحتفاظ به كاحتياط ، وعدم انهاكه بهجمات معاكسة محلية قبل بدء الهجوم المعاكس الكبير في ٢٢-٢٣ — تشرين الاول .

وفي يوم ٢٠ وصلت قيادة الفرقة المدرعة السادسة. واقام قائد الفرقة مقره التعبوي في « جب الصفا » ، وارتبط به اللواء المدرع ٣٠ ووحدات الفرقةالتي كانتتصل تباعا،وامن الاتصال مع مقر قيادة الفرقة المدرعة الثالثة . وعندما صدر قرار مجلس الامن بوقف القتال في ١٠/٢٢ كان اللواء المدرع ١٦ التابع للفرقة السادسة لا يزال يتنقل على الطريق الصحراوية بين الرمادي ودمشق (٣) . ووصلت بعض كتائبه الى منطقة تحشد الفرقة في ١٠/٢٣ ، ولكنه لم يتكامل الا في يوم ١٠/٢٤

الاستعداد للهجوم المعاكس الكبير

في صبيحة يوم ١٠/١١ كان القادة الاسرائيليون يعتقدون ان نجاح قواتهم في خرق الخط الدفاعي السوري الاول سيؤدي الى انهيار الجبهة بشكل كامل . ويرجع هذا الاعتقاد الى ان خبرة حرب حزيران ١٩٦٧ قد رسخت في اذهانهم ان خرق اية جبهة عربية في نقطة من النقاط يؤدي الى انهيار الجبهة كلها بشكل آلي . وجعلتهم يتجاهلون قواعد العلم العسكري القائلة بان تركيز القوات على جزء صغير من الجبهة قد يؤدي الى خرقها ، ولكن المعركة لا تحسم بمجرد الخرق ، فهناك عوامل اخرى تأتي لتلعب دورها: كحجم القوى الاحتياطية القادرة على توسيع الخرق واستغلال الفوز،وميزان القوى العام،ومعنويات المدافعين ، واماكن تجمع القوات الاحتياطية المدرعة المدافعة وقدرتها على شن الهجمات المعاكسة ، وطبيعة الارض .. الخ.

والحقيقة ان الخرق الاسرائيلي للقطاع الشمالي من الجبهة في يوم ١١/ ١٠ ، وتعميق الخرق في يوم ١٠/١٢،كان من الممكن ان يؤديا الى انقلاب التوازن الاستراتيجي للجيش السوري لولا العوامل الخمسة التالية :

---

٣ ــ لقد رأينا في الفصل الثالث (الحركة الاستراتيجية)كيف ان كتيبة مدفعية وكتيبة ميكانيكية و٢ كتائب دبابات كانت في الساعة ١٥٠٠ من يوم ١٠/٢٢ لا تزال بعيدة عن مسرح العمليات .

١ ــ صمود الفرقتين الميكانيكيتين السوريتين ٧ و٩ والقوات المدرعة السورية التي دعمتهما على محور سعسع . وقيامهما بأغارات ليلية مستمرة على مقدمة القوات المهاجمة .

٢ ــ صمود الفرقة الميكانيكية السورية الخامسة عند الرفيد على المحور الجنوبي عطالة مجموعة الوية «بيليد»، وعدم زجها في ليلة ١١ ــ ١٢ تشرين الاول في الفجوة الواقعة بين الفرقتين الميكانيكيتين التاسعة والخامسة ، بغية الوصول الى محور الصنمين ــ كسوة ــ دمشق ، وتدمير الفرقة المدرعة السورية الاولى على هذا المحور ، مع تطويق القوات السورية المتبقية على المحور الشمالي بمجموعتي الوية « رفول » و « لانر » .

٣ ــ وصول اللواء المدرع العراقي ١٢ الى منطقة الفجوة في ليلة ١١/١٠ وانطلاقه مع جزء من اللواء الميكانيكي العراقي الثامن لمهاجمة مجنبة مجموعة الوية «لانر» بعنف في يوم ١٢ / ١٠ ، رغم عدم تكافؤ القوى ، الامر الذي جعل الاسرائيليين يقدرون القوة العراقية باكبر من حجمها ويلجأون الى الدفاع بدلا من الاندفاع عبر الفجوة .

٤ ــ اقتراب خط الاشتباك من شبكة الصواريخ ارض ــ جو السورية المنتشرة جنوبي دمشق ، بشكل حد من حرية عمل الطيران لدعم الهجوم ، او ايقاف الارتال العراقية المتقدمة نحو خط الاشتباك .

٥ ــ صعوبة الارض على محور القنيطرة ــ سعسع ــ دمشق ، وعدم صلاحيتها لحرب الحركة بقوات مدرعة كبيرة .

ورغم هذه العوامل فقد بقي الوضع في يومي ١٢ و ١٤ تشرين الاول حرجا الى حد ما ، خاصة بعد ان بدأ العدو اخراج مجموعة الوية «بيليد» من عطالتها، واستخدام اللواء المدرع ٢٠ في دعم مجموعة الوية « لانر » . وقامت مجموعتا الوية « لانر » و « رفول » بعدة محاولات لخرق الدفاع على المحور الشمالي دون جدوى ، على حين قام اللواء المدرع العراقي ١٢ بمشاغلة العدو ومنعه من تطوير عملياته الهجومية جنوبي الخرق .

وفي يوم ١٠/١٤ وقع تطور هام على الجبهة المصرية . وكان السوريون قد طالبوا القيادة المصرية بالضغط على العدو من الجنوب لتخفيف الضغط عن الجبهة السورية . وقرر المصريون التوجه نحو الشرق منذ يوم ١٠/١١ ولكن حركتهم لم تبدأ الا في صباح ١٠/١٤ . وكان هدف الهجوم المصري تعميق شريط الارض المحررة على الضفة الشرقية للقناة مسافة ٣٠ كيلو مترا ، والوصول الى المداخل الغربية لممري « متلا » و « الجدي » ، والاستيلاء على الطريق العرضانية الموازية لقناة السويس والتي كانت « توفر للعدو حرية الحركة والعمل ضد رؤوس الجسور »(٤)، مع البقاء تحت غطاء الصواريخ ارض جو المتمركزة غربي القناة . وبدأت معارك عنيفة بالدبابات على الضفة الشرقية لقناة السويس الامر الذي اجبر العدو على نقل مركز ثقل جهده الجوي الى الجبهة المصرية، وتخفيف الضغط عن جبهة الجولان .

ولقد افادت القوات العراقية والسورية من هذا التبديل لمركز الجهد المعادي ، كما افادت من الخطيئة القاتلة التي ارتكبتها القيادة الاسرائيلية عندما قررت شن هجوم معاكس كبير في سيناء قبل حسم الموقف على جبهة الجولان . الامر الذي جعلها تقاتل على جبهتين معا . ولم يكن الطيران الاسرائيلي ، رغم تعويض خسائره عن طريق الجسر الجوى الاميركي (٥) ، قادرا على تقديم الدعم لقواته العاملة على الجبهتين المصرية والسورية. ولذا ركز جهده الرئيسي على الجبهة المصرية. ثم زاد هذا التركيز في يوم ١٠/١٦ مع بداية اندفاع الاسرائيليين الى الضفة الغربية للقناة، وانخفض مستوى نشاط الطيران المعادي فوق الجولان الامر الذي جعل ميزان القوى البري لا يتعرض للتعديل الذي يدخله عليه التفوق الجوي .

---

٤ — اللواء حسن البدري واخرون ، **حرب رمضان** ، القاهرة ، ١٩٧٤ ، ص ١٤٦ .

٥ — بدأ انطلاق الجسر الجوي الاميركي في يوم ١٠/١٣ ووصلت اولى الشحنات الى مطار اللد في الساعة ٢٢٠٠ من يوم ١٠/١٤ .

ولقد كان ميزان القوى بالدبابات على الجبهة السورية في هذه الفترة يعادل واحداً الى واحد تقريبا (٦) ، على حين كان ميزان القوى بالمشاة يعادل ٣ الى واحد لصالح القوات العربية (٧) . اما ميزان القوى بالمدفعية فكان مائلا بشكل ساحق لصالح القوات العربية . ومن هنا جاء التوازن الاستراتيجي .

وبعد يوم ١٠/١٦ ركز العدو كل اهتمامه على جبهة سيناء لانجاح الثغرة واستغلال الفوز الاولي الذي حققه هناك، من اجل قلب التوازن الاستراتيجي للجيشين المصريين الثاني والثالث او الجيش المصري الثالث على الاقل . وحصلت الجبهة السورية على فترة هدوء نسبي استغلتها قيادة القوات العاملة على هذه الجبهة لتنظيم القطعات وسد الفجوات في الخط الدفاعي المحيط بجيب « سعسع » ، واكمال شبكة الصواريخ ارض — جو وسد ثغراتها .

واذا كانت القوات السورية قد افادت من الزمن خلال معارك الصد لاستيعاب الاسلحة السوفياتية المتدفقة عبر الجسرين

---

٦ — تم حساب ميزان القوى بالدبابات على اساس ان اللواء المدرع الاردني ٤٠ واللواء المدرع العراقي ٦ كانا كاملين ، وان اللواء المدرع العراقي ١٢ كان غير كامل . وان الوية الفرقتين المدرعتين السوريتين ١و٣ واللوائين المدرعين المستقلين والالوية المدرعة التابعة للفرق الميكانيكية السورية ٥و٧و٩ كانت غير كاملة ، ولم تعد تنظيمها بعد . على حين كانت الالوية المدرعة الاسرائيلية (٧ مع بقايا ٣٧ و١٤و١٧و٢٠و٦٠و٧٩) وكتيبة الدبابات التابعة للواء « غولاني » قد تم تنظيمها واستكمال نواقصها في يوم ١٠/١٠ ، ثم خسرت قسما من دباباتها في فترة ١١—١٤ .

٧ — تم حساب ميزان القوى بعد اضافة لواء المشاة الميكانيكي العراقي الثامن الى الوية المشاة التابعة للفرق الميكانيكية السورية ٥ و٧و٩ مقابل لواء « غولاني» ولواء المظليين الميكانيكي ٣١ ووحدات مشاة ميكانيكية مجحفلة مع الالوية المدرعة الاسرائيلية وتابعة في الاساس لالوية ميكانيكية احتياطية مع ادخال عامل لخسائر في الحساب. ولم يدخل في الحساب لواء القوات الخاصة العراقية ولواء المشاة العراقي العشرون ، لانهما لم يكونا قد وصلا بعد الى منطقة التحشد .

البحري والجوي (٨)، واكمال نواقص القوات المدرعة بـ (٢٠٠) دبابة عراقية (٩) ، فان القوات العراقية افادت من هذا الزمن لاكمال حشد كامل قطعات الفرقة المدرعة الثالثة واللوائين الملحقين بها (١٠) ، وتعويض خسائر الدبابات التي اصابت اللوائين ١٢ و٦ بدبابات سحبت من الدبابات الاحتياطية الموجودة في العراق ومن صفقة الدبابات السوفياتية التي وصلت اللاذقية باسم العراق وحشد الجزء الاكبر من الفرقة المدرعة السادسة (١١) ، وحشد اللواء الجبلي الخامس (١٢). وساعد عامل الزمن ايضا على دخول اللواء المدرع الاردني ٤٠ الى سورية في ١٠/١٣ واشتراكه في القتال منذ ١٠/١٦ ، ووصول اللواء المدرع الاردني ٩٢ مع قيادة الفرقة المدرعة الاردنية الثالثه الى « الشيخ مسكين » داخل الاراضي السورية في ١٠/٢٢ .

وعلى الجانب الاخر ، افاد العدو من الزمن على صعيد تعزيز الاسلحة والمعدات واكمال النقص بالدبابات والذخائر . فلقد حمل له الجسر الجوي الاميركي اسلحة وذخائر متطورة ، واستطاعت معامل التصليح (الورشات) الميدانية والخلفية

---

٨ — بدأ الجسر الجوي السوفياتي الى سورية في يوم ١٠/١٠ ، وتابع الجسر البحري السوفياتي الذي بدأ قبل الحرب بنقل الاسلحة والمعدات والذخائر خلال الحرب . انظر المقدم الهيثم الايوبي ، **دروس الحرب الرابعة** ، مركز الابحاث الفلسطيني ، ١٩٧٤ بيروت ، ص ١١٢ — ١٢١ .

٩ — كان العراق قد اشترى هذه الدبابات من الاتحاد السوفياتي قبل الحرب ، وصادف وصولها الى ميناء اللاذقية خلال القتال ، فطلبت سورية من الحكومة العراقية اخذ الدبابات على اساس ان تشتري الحكومة السورية في المستقبل صفقة مماثلة من السوفيات لصالح العراق . ووافقت الحكومة العراقية على الطلب فورا .

١٠ — تكامل وصول لواء القوات الخاصة والتحاقه بالفرقة المدرعة العراقية الثالثة في ١٠/١٧ ، كما تكامل وصول لواء المشاة ٢٠ والتحاقه بالفرقة ذاتها في ١٠/١٥ .

١١ — كان الجزء الاكبر من الفرقة المدرعة السادسة متحشدا في الجبهة منذ يوم ١٠/٢٠ . ولكن تحشد الفرقة الكامل لم ينته الا في يوم ١٠/٢٤ .

١٢ — وصل اللواء الجبلي الخامس الى قطنا كاملا في يوم ١٠/٢٠ .

اصلاح نسبة كبيرة من دباباته المصابة اصابة بسيطة اومتوسطة نظرا لانه اعاد السيطرة على مسرح المعارك التي دارت بين ٦و١٠ تشرين الاول .

وكان العدو يحس بنقص في الرجال والكوادر القتالية بسبب الخسائر الضخمة التي اصابته . ولقد حاول اكمال هذا النقص بمتطوعين مرتزقة ويهود اميركيين مزدوجي الجنسية والولاء . ولكن القوات العربية كانت تمتاز في هذا المجال لسببين : اولهما البشري الهائل الذي تملكه ، والذي سمح لها الطول النسبي لمدة الحرب بتعبئة الجزء اللازم منه . وثانيهما وجود قوات عربية نظامية كاملة في العمق العربي الاستراتيجي (١٣)،واستعداد هذه القوات للحركة باتجاه مسرح العمليات في الجولان ، رغم عقبات التحرك الناجمة عن نقص وسائط النقل ، وطول مسافته ، وقلة الطرقات اللازمة له ، وعدم ارتباط الاقطار العربية بشبكة سكك حديدية حديثة .

وبفضل الصمود في معركة الصد ، وتدفق القوات العربية الى الجولان (العراقية اساسا) ، ووصول الاسلحة والمعدات السوفياتية ، وخطأ العدو الاستراتيجي في تطبيق اسس القتال على « الخطوط الداخلية » ، ظهر وضع جديد يسمح بالانتقال من الصد الى الرد . ولهذا قررت القيادة السورية العليا شن هجوم معاكس استراتيجي ضد الوية العدو المشرة المتوغلة في جيب « سعسع » . كما قررت ان تستخدم في هذا الهجوم فرقتين مدرعتين سوريتين (غير كاملتين) ولوائين مدرعين سوريين مستقلين،وفرقتين مدرعتين عراقيتين(ناقص لواء)،ولوائين مدرعين اردنيين ، وثلاث فرق ميكانيكية سورية مع لواء مشاة مستقل ، ولواء مشاة عراقي ولواء جبلي عراقي ، ولواء قوات خاصة ووحدات مغربية وسعودية محدودة ، ووحدات من جيش التحرير الفلسطيني (قوات حطين والقادسية) . وكان هدف

---

١٣ — المقصود بهذه القوات قطعات المدرعات والمشاة الميكانيكية والمدفعية العراقية والاردنية والكويتية والسعودية ، واسراب الطيران العراقية والسعودية . ومن الضروري هنا والانتباه لتباين حجم القوات العربية الموطئة للانتقال الى ساحة المعركة ، وتباين مستوياتها القتالية والتقنية والقيادية .

هذا الهجوم المعاكس تصفية جيب سعسع في الوثبة العملياتية الاولى (الصفحة الاولى) ، ثم تطوير الهجوم لتحرير الجولان في الوثبة العملياتية الثانية (الصفحة الثانية) .

ولقد بنيت خطة الهجوم المعاكس الاستراتيجي على اساس الخرق من الشمال الغربي والشرق بقوتين كبيرتين ، وتطويق العدو بكماشة مزدوجة يلتقي فكاها عند محور القنيطرة — سعسع ، وتدمير قواته بعد تجزئتها الى جيوب صغيرة ، ومطاردة فلولها المنسحبة باتجاه فلسطين المحتلة .

وكان فك الكماشة الايمن يضم في نسقه الاول : الفرقتين الميكانيكيتين ٧و٩ . وفي نسقه الثاني الفرقة المدرعة السورية الثالثة ، واللواء المدرع المستقل ٧٨ . وكانت مهمة هذا الفك الاندفاع من الشمال الغربي باتجاه الجنوب الشرقي بعد أن يؤمن لواء مشاة مستقل واللواء الجبلي العراقي الخامس والقوة المغربية حماية جناحه الايمن على سفوح جبل الشيخ .

اما فك الكماشة الايسر فكان يضم في نسقه الاول لواء مدرعا من الفرقة المدرعة السورية الاولى، والفرقة المدرعة العراقية الثالثة المعززة بلواء المشاة ٢٠ ولواء القوات الخاصة، اللواء المدرع الاردني ٤٠ .ويضم في نسقه الثاني بقية الفرقة المدرعة السورية الاولى ، والفرقة المدرعة العراقية السادسة (ناقص لواء) (١٤) ولواء الدبابات الاردني ٩٢ والقوة السعودية . وكانت مهمة هذا الفك الاندفاع من الشرق باتجاه الشمال الغربي ، بعد ان تؤمن فرقة المشاة الميكانيكية الخامسة حماية جناحه الايسر .

وبالاضافة الى هاتين الضربتين الرئيسيتين ، فقد تقرر

---

١٤ — كانت الفرقة المدرعة العراقية ستشترك في الهجوم المعاكس باللواء المدرع ٣٠ ولواء المشاة الميكانيكي ٢٥ ، على اعتبار ان اللواء المدرع ١٦ سيلتحق بالفرقة في يوم ١٠/٢٤ بعد بدء الهجوم بيوم واحد .

استخدام الهليكوبتر لانزال القوات الخاصة السورية ، والقوات الخاصة التابعة لجيش التحرير الفلسطيني (الكتيبة ٤١١) ، وكتيبة خالد بن الوليد المحمولة جوا والتابعة لمنظمة الصاعقة ، وراء خطوط القتال ، لاحتلال مواقع هامة وضرب مؤخرات القوات المعادية وعرقلة امدادها وتموينها .

ولقد حدد تاريخ الهجوم المعاكس الاستراتيجي في يوم ١٠/٢٣ . وكان نجاحه مضمونا الى حد كبير (١٥) نظرا للعوامل التالية :

١ ـ التفوق العربي بالمدفعية بنسبة ٤ـ٥ ضد واحد(١٦).
٢ ـ التفوق العربي بالدبابات بنسبة ١،٥ ضد واحد .
٣ ـ التفوق العربي بالمشاة بنسبة ٣ـ٤ ضد واحد.

٤ ـ تحديد حرية عمل الطيران المعادي ، وعدم قدرته على دعم القوات البرية الا بخسائر كبيرة نظرا لاستكمال شبكة الصواريخ ارض ـ جو السورية وقربها من مسرح المعركة وخاصة في الوثبة الاولى .

وكان العامل السلبي الوحيد في ميزان القوى ، هو حصول العدو على صواريخ « تاو » الموجهة المضادة للدبابات (١٧) ،

---

١٥ ـ ذكر اللواء الركن منعم لفتة الربيعي ، رئيس هيئة الارتباط العراقية، في حديث معه: « ان تقييم قادة التشكيلات الميدانية العراقية وتحليل قيادة الجيش العراقي للموقف كانا يؤكدان ان نجاح الهجوم المعاكس بشكل عام كان مؤكدا بنسبة ٨٠ـ٨٥٪ على الاقل . وان النجاح الاولي في تدمير قوات العدو داخل الجيب وتكبيدها خسائر تفقدها كل فاعلية قتالية ، كان حتما بنسبة ١٠٠٪ » .

١٦ ـ دون ادخال بطاريات الهاون ١٦٠ مم الاسرائيلية في الحساب ، علما بانها لعبت في القتال دورا فعالا .

١٧ ـ يذكر باري ميللر في مقال « الولايات المتحدة تزود اسرائيل بالاسلحة الموجهة الذكية » ، مجلة افييشن ويك اند سبايس تكنولوجي ، عدد ١١/٥/ ١٩٧٣ ، ان الولايات المتحدة شحنت الى اسرائيل خلال الحرب ٢٠٠٠ صاروخ « تاو » مضاد للدبابات .

وارتفاع مستوى التشويش الاليكتروني المعادي للصواريخ ارض ــ جو، وحصول الطيران المعادي على صواريخ جو ــ ارض اميركية متطورة دقيقة الاصابة من طراز «مافريك» و « هوبو » و«والي» و « روكي » (١٨) .

وعندما كانت المعارك تدور قرب « سعسع » وفي قطاع عمل الفرقة المدرعة العراقية الثالثة واللواء المدرع الاردني ٤٠، وزعت القيادة السورية العليا خطة الهجوم المعاكس ، وحددت المهمات . وفي يوم ١٠/٢٢ صدر قرار مجلس الامن رقم ٣٣٨ القاضي بوقف اطلاق النار » وفوجيء السوريون والعراقيون بهذا القرار وبموافقة مصر عليه (١٩) . وارجيء الهجوم الاستراتيجي الى يوم ١٠/٢٤ . وكان امام القيادة السورية خياران هما : التمسك بالهجوم المعاكس وشنه في الوقت المحدد، او الغاؤه .

وكان انصار شن الهجوم ورفض وقف اطلاق النار يؤكدون ان القوات المحتشدة قادرة على الحسم وتطهير الجيب الاسرائيلي خلال يومين على ابعد تحديد ، الامر الذي يزيل الاثر المعنوي الذي سببه وجود الجيب ، ويدمر جزءا كبيراً من قوات العدو المدرعة ، ويقصر طول الجبهة بنسبة ٣٠ ٪ ، ويمنع العدو من المساومة على ورقة « جيب سعسع » بعد وقف القتال . ويجبر المصريين على متابعة القتال حتى لا يتركوا الجبهة السورية وحدها في مواجهة العدو . وانه في حالة جمود الجبهة

---

١٨ ــ المرجع نفسه .

١٩ ــ اعلن الرئيس السوري الفريق حافظ الاسد في ٧٢/١٠/٢٩: « ان قرار مجلس الامن كان مفاجأة لنا » . والحقيقة ان فكرة ايقاف القتال كانت واردة لدى المصريين منذ يوم ١٩ . ويذكر اللواء الركن منعم لفتة الربيعي رئيس هيئة الارتباط العراقية في حديث معه ، « ان احد ضباط القيادة السورية اعلمه بعد انتهاء الحرب ان الرئيس انور السادات بعث الى الفريق حافظ الاسد في ١٠/١٩ رسالة حول وقف اطلاق النار » . والغالب الظن ان السوريين فوجئوا بتوقيت القرار . اما المفاجأة بالنسبة الى العراقيين فكانت كاملة .

المصرية ، فان العدو بحاجة لوقت طويل قبل نقل قوات كبيرة من الجبهة المصرية الى الشمال ، الامر الذي سيسمح للقوات السورية ـ العراقية بأخذ مواقع جيدة في الجولان لصد اي هجوم مقبل ، علما بأن هذا الوقت سيعطي السوفيات الزمن اللازم لفرض وقف القتال بعد ان يكون السوريون قد حرروا الجيب على الاقل ، ودمروا قوة مدرعة اسرائيلية كبيرة . ولقد كان اصحاب هذا الراي يؤكدون ان عملية الجذب وغرور الاسرائيليين واندفاعهم على طريق « سعسع » قد قدما للقوات العربية هدفا ثمينا يسهل القضاء عليه ، وان عملية « الجذب » ستفقد كل معناها الاستراتيجي اذا لم تعقبها عملية « ضرب » لا بد من تنفيذها حتى لو ادى ذلك الى بقاء الجبهة السورية وحيدة امام اسرائيل ، وحتى لو تعذر على السوفيات فرض وقف اطلاق النار بعد ذلك ، وتجمع الاسرائيليون وتوغلوا في الشمال من جديد ، لان من الممكن في هذه الحالة مجابهتهم بحرب شعبية طويلة الامد ، غالية التكاليف ، يشارك فيها الشعبان السوري والعراقي بكل طاقاتهما في سبيل دحر المعتدين وتحقيق النصر المحتوم .

اما انصار ايقاف الهجوم المعاكس والقبول بقرار وقف اطلاق النار، فقد ركزوا على العلاقة الجدلية المتبادلة بين الجبهتين الشمالية والجنوبية ، ورأوا ان الاستمرار في القتال على جبهة الجولان سيعطي اسرائيل مبررا لمتابعة القتال على الضفة الغربية لقناة السويس ، وان هذا لن يكون في مصلحة العرب ، لانه في الوقت الذي ستقوم به القوات السورية ـ العراقية بسحق العدو الاسرائيلي داخل الجيب، ستقوم القوات الاسرائيلية بالرد على الضربة العربية في الشمال بتسديد ضربة في الجنوب تهدد وجود الجيش المصري الثالث الذي قطعت طرق امداداته وحرم من التغطية الجوية . فاذا ما قورنت النتائج الايجابية التي يمكن تحقيقها في الجولان ، مع النتائج السلبية التي يمكن وقوعها في معركة «السويس » ، تبين ان السلبيات ستمتص الايجابيات . ولقد دعم وجهة نظر انصار ايقاف الهجوم قلق السوفيات على مصير الجيش الثالث منذ يوم ١٩ / ١٠ ،

واستعدادهم بعد ذلك للتدخل بقوات جوية وقوات محمولة جوا لفرض وقف إلقتال على اسرائيل .

وبالاضافة الى ذلك ، فقد كان انصار ايقاف الهجوم لا يأملون باية مساعدة مصرية اذا ما بقيت الجبهة الشمالية وحيدة ، لان الاسرائيليين لن ينقلوا قواتهم الى الجولان الا بعد ان يحسموا معركة السويس والجيش الثالث ، ويجبروا مصر على قبول وقف القتال بالقوة لا تنفيذا لقرار مجلس الامن ، وان ميزان القوى سيميل في هذه الحالة الى جانب اسرائيل بشكل يسمح لها بتطوير هجومها في الشمال واحتلال اراض سورية جديدة ، واحتلال دمشق أو تدميرها بالمدفعية والطيران وتدمير المدن والمنشآت الاقتصادية السورية بغارات جوية كثيفة .

وبعد حوار طويل بين انصار الاتجاهين ، نجح انصار الاتجاه الثاني في اقرار رايهم ، وتقرر عدم القيام بالهجوم المعاكس . وفي ليلة ٢٣ ـ٢٤ وافقت سورية على وقف القتال دون استشارة العراقيين رفاق المعركة ، واصدرت امرا بالغاء الهجوم المعاكس ، وصمتت المدافع على جبهة الجولان .

الفصل العاشر

دور القوات الجوية على الجبهتين

عمدت القيادة السياسية في القطر العراقي ، منذ استلام السلطة في ١٧ تموز ١٩٦٨ ، الى تدعيم القوات المسلحة ، والاهتمام بتوسيعها ، ورفع مستواها التسليحي والتدريبي والقيادي . ولقد حظيت القوات الجوية منذ ذلك الحين باهتمام خاص ، واعطت القيادة السياسية توجيهاتها الخاصة بتقوية سلاح الطيران ، مع استخدام الامكانات المادية المتوفرة ، وركزت على اعداد الطيارين والكوادر الفنية ، مهما كلف ذلك من جهد ومال .

ويرجع السبب في اهتمام القيادة السياسية بسلاح الجو، الى وعيها باهمية الدور القومي الذي يمكن للقوات الجوية العراقية ان تلعبه لحماية مصالح الامة العربية وسلامة اراضيها. خاصة وان العراق الذي يشكل الجناح الشرقي للوطن العربي . لا يكتفي بمهمة حماية هذا الجناح ، ولكنه يطرح نفسه كدولة مواجهة ضد الدولة الصهيونية ، رغم انه لا يتصل مع فلسطين المحتلة بحدود مشتركة . ولقد وجدت القيادة السياسية ان استخدام الطيران لحماية الحدود العراقية ــ الايرانية ، والمساهمة في تصفية قوات العصاة في الشمال ، والاستعداد في الوقت نفسه للاشتراك بفاعلية في معركة التحرير ، يتطلب زيادة عدد هذا السلاح ، وتحسين قدراته القتالية والتكنولوجية .

وبالاضافة الى ذلك ، فان القوات الجوية تشكل ، بالنسبة الى وضع العراق ، القوة الضاربة الاستراتيجية المثلى لتنفيذ المهمات التي يتطلبها الامنان القطري والقومي معا ، نظرا لانها تملك مرونة كبيرة ، وقدرة على الحركه السريعة للانتقال من جبهة الى اخرى ، كما انها تتمتع ، رغم صغر عددها ، بقوة نارية كبيرة ، وبامكانية تنفيذ مختلف المهمات التكتيكية والعملياتية والاستراتيجية .

لهذا كله اعطت القيادة السياسية اوامرها الى المسؤولين العسكريين ، « لانجاز كل ما تتطلبه ضرورات الموقف القومي ، وخلق قوة جوية قادرة على تطبيق استراتيجية جوية قومية ، تضمن مجابهة الخطر الايراني الذي كان ماثلا انذاك ، ودعم القوات العربية في معركة التحرير » (١) . وكما كان من الواضح ان التغلب على اسرائيل ، وما تمثله من قوة مسلحة حتى الاسنان ، يتطلب من العراق دعم دول المواجهة عسكريا، ضمن اطار تعاون عسكري عربي وثيق ، فقد كان من الواضح ايضا ان درء الخطر الايراني ، الذي تزوده الدول الامبريالية باحدث الاسلحة ، لا يمكن ان يتم الا ضمن اطار هذا التعاون ، ريثما ترتفع العلاقات بين الاقطار العربية الى مستوى الوحدة الحتمية .

ولقد سارت عملية تحديث سلاح الطيران وتقويته خطوات واسعة بعد العام ١٩٦٨ . بيد ان دقة المعدات الجوية وتعقيدها ، وصعوبة اعداد الكوادر القتالية والتكنولوجية ، وانشغال الجيش بحرب استنزافية في الشمال ، وضعف امكانات العراق المالية في تلك الفترة ، عرقلت البناء نسبيا وكان من الممكن انقاص العوامل السلبية المعرقلة الى حد ما ، اذ ان العراق استطاع استقطاب الطيارين والفنيين الجويين والارضيين المسرحين لاسباب سياسية ، واعادهم الى القوات الجوية ، بعد ان يضمن ولاءهم للنظام الجديد . ورغم كل

---

١ ــ منحديث مع ضابط كبير مسؤول في قيادة القوات الجويةالعراقية .

المعوقات ، فقد اثمرت خطة بناء سلاح الطيران الذي تحسنت نوعية طائراته ، وازداد عدد طائراته المقاتلة بنسبة (٣٣٪) (٢) وزاد عدد طائرات الهليكوبتر فيه بنسبة ٣٠٠ ٪ .

وعندما اندلع القتال في ٦ تشرين الاول ، كان سلاح الطيران العراقي يضم « ٩٨٠٠ رجل و٢٢٤ طائرات مقاتلة» (٣) .

وكانت هذه الطائرات تتألف من الانواع التالية :

— ٩٠ مطاردة معترضة « ميغ — ٢١ » سوفياتية الصنع .

— ٦٠ قاذفة مقاتلة للهجوم الارضي « سوخوي — ٧ » سوفياتية الصنع .

— ٣٠ قاذفة للهجوم الارضي « ميغ — ١٧ » سوفياتية الصنع .

— ٣٦ قاذفة مقاتلة للهجوم الارضي « هوكرهنتر » بريطانية الصنع .

---

٢ — في العام ١٩٦٧ — ١٩٦٨ كان عدد الطائرات المقاتلة بما في ذلك «ت — ٥٢» الاتقضاضية (١٧٠) طائرة .

(٣) Military Balance 1973 - 1974 The International Institue For Strategic Studies, Sondon, 1974

ولقد دقق هذا الرقم مع الرقم المذكور في تقرير اعده للمعهد الاميركي للابحاث السياسية ، ديل ناهتينين مساعد مدير قسم ابحاث الدفاع الخارجية في المعهد، فتطابق الرقمان . ومن الجدير بالذكر ان هذا الرقم لا يشمل سرب القاذفات السوفياتية « تي يو — ٢٢» الاسرع من الصوت، والذي سلم الى العراق خلال حرب ١٩٧٣.

— ٨ قاذفات متوسطـة « ت يو — ١٦ » سوفياتيـة الصنـع (٤).

وكانت الطائرات العراقية موزعة على عدة اسراب قتالية مستعدة لدخول المعركة ، وهـي :

— سربان « ميغ — ٢١ » ، اضيف اليهما سرب تدريـب تحول الى سرب قتال ، فغدت اسراب « ميغ — ٢١ » القتالية ٣ .

— سربان « سوخوي — ٠٧ » ، اضيف اليهمـا سرب تدريب تحول الى سرب قتـال ، فغـدت اسراب « سوخوي — ٧ » القتالية ٣ .

— سربان « ميغ — ١٧ » .

— سرب « ميغ — ١٩ » (طائرات قديمة) .

— سرب قاذفات « ت يو — ١٦ »

— جناح « هوكر هنتر » يضم سربين .

ويبدو ان القيادة الجوية العراقية كانت تخطط قبيـل حرب ١٩٧٣ لبناء سلاح الطيران وفق الاسس التالية :

١ — تدعيم القاذفات المقاتلة بطائرة متطـورة فرنسية «ميراج — ٥ » او « ميراج ف — ١ » بغيـة اعطاء

---

٤ — ان اعداد الطائرات المذكورة هنا مأخوذة من كراس Military Balance المذكور سابقا . وهي تتطابق مع الاعداد المذكـورة في تقرير تاهتينين المذكور انفا . ولكن تقرير تاهتينين يذكر انه كان لدى الجيـش العراقي ٢٠ طائرة (« ميغ — ١٧ » و « ميغ — ١٩ ») . بينما لا يأتي كراس Military Balance على ذكر الطائرات « ميغ — ١٩ ».

القوات مرونة كبيرة في الاستخدام ، وقدرة على دعم القوات البرية بنيران طائرات سريعة ، ذات حمولة حربية كبيرة ، وقادرة على القصف والقتال الجوي بآن واحد.

ويرجع السبب في محاولة الحصول على طائرة فرنسية الى ان السوفيات الذين يزودون العراق بالسلاح لم يصنعوا طائرة قاذفة — مقاتلة من هذا النوع ، على عكس الدول الغربية التي اتجهت نحو صناعة مثل هذه الطائرة الصالحة للحروب المحلية والمحدودة التي كانوا يخوضونها مباشرة او عن طريق حلفائهم ضد حركات التحرر الوطني في العالم الثالث .

وبما ان الحصول على طائرة قاذفة مقاتلة حديثة اميركية من طراز « فانتوم — ف ٤ اي » امر متعذر ، لانه يتناقض مع العلاقة العضوية بين اميركا واسرائيل ، وطبيعة الدعم الاميركي غير المحدود للعدوان الاسرائيلي . فقد فكر العراقيون باستغلال التناقض داخل المعسكر الراسمالي ، والصراع الحاد بين الصناعة الجوية الفرنسية والصناعة الجوية الاميركية على اسواق العالم ، والافادة من الموقف الفرنسي المتوازن نسبيا ازاء الصراع العربي — الاسرائيلي. للحصول على طائرة قاذفة مقاتلة فرنسية الصنع .

وقد تناقلت وكالات الانباء قبل الحرب ان العراق يجري محادثات مع شركة « داسو — بيرغيه» للحصول على طائرة « ميراج — ٥ » او « ميراج ف — ١ » . ثم تبين بعد ذلك ان هذه الصفقة لم تتم .

٢ — الاعتماد على طائرات « ميغ — ٢١ م ف »المتطورة لتحل محل طائرات « ميغ — ٢١ ف » ، و « ميغ —

٢١ ب ف » ، نظرا لان الطائرة « ميـــغ ـــ ٢١ م ف » تمتاز عن الطرازين الآخرين بالمـــدى والسرعـــة والتسليح والاجهزة المتطورة والمرونة (٥) . مع الاتجاه نحو تكليف هذه الطائرات بمهمات الاعتراض وحماية القواعد والارتال والقـــوات المنتشرة والمطـــارات والاهداف الحيوية بالعمـــــق ، بالتعاون مـــــع الدفاعات الارضية المضادة للطائرات .

٣ ـــ خلق قوة ضاربة تحطم العدو وتضرب تجمعاتـــــه وارتاله ومواقعه الحيوية . واعتمـــــاد هذه القـــوة الضاربة على القاذفات المقاتلة القادرة علـــى حماية نفســها بنفسـها والتغلغل في العمـــــق الاستراتيجي المعادي . او على قاذفات القنابل المتوسطة التـــي تفوق سرعتها سرعة الصوت ، والمزودة بأجهزةمتطورة

٥ ـ يبين الجدول التالي الفرق بين ميزان طائرات « ميغ ـ ٢١ » من الطرازات الثلاثة :

الطراز	السرعة ماك	المدى/كم	التسليح للقتال الجوي	الحمولة الحربية للقصف
ميغ ـ ٢١ ف	٢	٦٠٠	مدفعان ٣٠ م ٢ صاروخ جو ـ جو طراز « آتول »	٢ حاضنة قذائف صاروخية جو ـ ارض تحمل الواحدة ١٦ قذيفة عيار ٥٥مم
ميغ ـ ٢١ ب ف	٢،٠٢	٥٦٠	٢ صاروخ جو ـ جو طراز « آتول »	
ميغ ـ ٢١ م ف	٢،١	١١٠٠	مدفع ٢٣ مم ٤ صواريخ جو ـ جو ك ـ ١٣ آتول أ .	٤ قنابل زنة الواحدة ٢٥٠ كغ او ٤ صواريخ جو ـ ارض من عيار ٢٢٠ مم او ٢٢٥ مم

لتشويش رادارات العدو والقادرة على الدفاع عن نفسها بالمدافع التي تحملها خلال تغلغلها في عمق العدو .

بيد ان تخلي العراقيين عن فكرة الحصول على قاذفة مقاتلة فرنسية ، كيما يخففوا تعقيد عمليات الادارة الارضية (٦) ، جعلهم يتجهون نحو الاتحاد السوفياتي للحصول على القاذفة المتوسطة « ت يو — ٢٢ » التي تبلغ سرعتها (٥ر١ — ٦ر١) ماك ، وتحمل اجهزة تشويش متطورة ومدافع رشاشة للدفاع عن نفسها ، وصواريخ جو — ارض بعيدة المدى لتأمين القصف بعيدا عن خطر مقاتلات العدو ، وتملك قدرة كبيرة على المناورة التي تسمح لها بالتملص من المقاتلات وتجعلها قادرة على تنفيذ مهماتها بالعمق دون حماية المقاتلات التي لا يسمح لها مداها بمرافقة القاذفات ، الامر الذى جعل دورها في حماية القاذفات ثانويا بعد ان كان في الماضي رئيسيا .

٤ — استخدام القاذفات المقاتلة للهجوم الارضي («سوخوي — ٧ » ، « ميغ — ١٧ » ، « هوكر هنتر ») لدعم القوات البرية في العمق التكتيكي ، على ان تحلق هذه الطائرات على ارتفاعات منخفضة بشكل يؤمن لها التخلص من رادار العدو ومقاتلاته ، والقيام بمهماتها بكفاءة ، حتى لو لم تغطيها مظلة جوية صديقة .

٥ — عدم الاعتماد على قاذفات القنابل التي تقل سرعتها عن سرعة الصوت ، والتي لا تتمتع بمرونة كافية

---

٦ — يختلف نظام الادارة الارضية ونظام الصيانة في الاتحاد السوفياتي عن الانظمة الغربية المقابلة . لذا فان وجود طائرات موحدة المنشأ يسهل عمليات الادارة الارضية ، بينما يؤدي استخدام طائرات شرقية وغربية الصنع معا الى تعقيد هذه العمليات .

للتخلص من المطاردات ، ولا تملك اجهزة تشويش متطورة مثل : القاذفة المتوسطة « ت يو — ١٦ » التي انخفض عددها في الطيران العراقي (من ٩ الى ٨) بدلا من ان يزيد ، والقاذفة الخفيفة «ايليوشن — ٢٨ » التي خرجت من الخدمة في القوات الجوية العراقية في العام ١٩٧٢ . وتقرر الاستعاضة عن هذين النوعين بالطائرة « ت يو — ٢٢ » كما راينا من قبل .

ووسط مرحلة البناء اندلعت حرب ١٩٧٣ . وكان توزيع القوات الجوية كما يلي :

— جناح « هوكر هنتر » (يتألف من سربين) في مصر .

— سرب « ميغ — ٢١ » في قاعدة ابن الوليد .

— الاسراب الاخرى منتشرة في قواعد العراق الجوية .

وما ان بدأ القتال حتى استنفرت القوات الجوية بنسبة ١٠٠ ٪ ، واتخذ في يوم ٦ تشرين الاول قرار بدعم الجبهة السورية سواء كانت الحرب شاملة ام محدودة . وعرضت القيادة السياسية العراقية على سورية استعدادها للمشاركة . وفي صباح ٧ تشرين الاول كان سلاح الطيران العراقي كله جاهزا لدخول المعركة .

القتال على الجبهة المصرية

يتميز اشتراك الطيران العراقي على الجبهة المصرية عن اشتراكه على الجبهة السورية في ان العراق دفع الى مصر في نيسان ١٩٧٣ جناحا من سربين يضمان ٢٤ طائرة « هوكر هنتر » ولقد تم ذلك بناء على مقررات اتخذها مجلس الدفاع العربي المشترك المنعقد في القاهرة في كانون الثاني ١٩٧٣، وبناء

على طلب الحكومة المصرية التي حددت نوع الطائرات المطلوبة. وكان هذان السربان هما مجمل ما لدى العراق من طائرات « الهوكر هنتر » ذات المقعد الواحد ، ثم لحق بالسربين طائرات الهوكر هنتر ذات المقعدين المخصصة للتدريب .

ولقد ذهبت الطائرات العراقية الى مصر مزودة بكافة اسلحتها وذخائرها ، ورافقتها معداتها الارضية وكان جميع الطيارين والطواقم الفنية وضباط التوجيه الارضي العاملين في الجناح من العراقيين . وكانت نسبة الطيارين الى الطائرات ١ر٢٥ الى واحد .

وما ان وصل السربان الى مصر حتى تم وضعهما في مطار قويسنا (في الدلتا بين القاهرة والاسكندرية) ، وربطا مباشرة بالقيادة الجوية التي عينت في القاعدة ضباط تنسيق مصريين لمساعدة قيادة الجناح على تنفيذ مهماتها . واتفقت الحكومتان المصرية والعراقية على ان تستخدم مصر هذه الطائرات دون العودة الى العراق . ولم تكن القيادة العراقية تعرف ، حتى يوم ٦ تشرين الاول ، طبيعة المهمة التي سيكلف بها الجناح العراقي الذي كان وجوده في مصر والحاقه بالقيادة المصرية بشكل كامل، دليلاً عمليا على استعداد العراق لدعم دول المواجهة وفق الصيغة التي تناسبها .

ولقد ادخلت القيادة المصرية الجناح العراقي ضمن خطة القصف الجوي التمهيدي الذي سبق هجوم ٦ تشرين الاول . وعندما انطلق الطيران المصري لتنفيذ الضربة الجوية الاولى قام الجناح العراقي بواجبه ضمن اطار هذه الضربة . وكان احد السربين مكلفا بالعمل على جبهة الجيش المصرى الثانى ، بينما كان السرب الآخر مكلفا بالعمل على جبهة الجيش المصري الثالث . ولقد كلف الجناح بقصف مركز رادار الجدي ، وبطاريات « هوك » ارض ـ جو في الطاسة ، ومرابض مدفعية عيار ١٧٥ مم شرقي القناة . وكانت المهمات محددة بدقة ، نظرا للاستطلاع الذي قام به الطيران قبيل بدء الهجوم .

ولقد زود الطيارون العراقيون بمعلومات دقيقة عن الاهداف ، بالاضافة الى صور جوية واضحة . واستطاعوا دراسة مهماتهم . استلموها قبل الحرب بشهر تقريبا ، على اساس انها مهمات لمناورة تدريبية. وكانت خطة القصف التمهيدي واسعة جدا ، اذ انها حددت لكل طيار ٣ طلعات جوية . وبعد تنفيذ الواجب الاول بالجناح كله بكفاءة ، انتظر الطيارون الطلعات حسب التوقيتات المحددة مسبقا في الخطة. ولكن القيادة المصرية لم تصدر اوامر الانطلاق، وعندما سأل الطيارون العراقيون عن السبب قيل لهم : « تريثوا ، لقد تم تحقيق الغرض من هجومكم على مواقع الصواريخ من الضربة الاولى ، وليس هناك داعيا لاعادة الضربة » (٧) .

ولم يتلق الجناح في يوم ١٠/٧ سوى مهمتين: تصف قواعد «قواعد» في الطاسة ، وقواعد «هوك» شرقي سمارة . وفي يوم ١٠/٨ كلف تشكيل من السرب العامل على جبهة الجيش الثاني بقصف مقر قيادة المحور الاوسط ، كما كلف التشكيلان الآخران بقصف ارتال الدبابات المعادية المنسحبة . ولقد نفذ التشكيل المكلف بقصف مقر القيادة مهمته . ولكن الاسلحة المضادة اسقطت طائرات التشكيل خلال عودته ، لانه كان يحلق على ارتفاع منخفض ، حتى لا يتعرض لضربات الصواريخ المصرية . ولم يستطع التشكيلان الآخران تنفيذ مهمتهما نظرا لكثافة نيران الاسلحة المضادة الاسرائيلية . اما السرب المكلف بالعمل على جبهة الجيش الثالث ، فقد بقي في يوم ١٠/٨ مجمدا بلا مهمات. وكان حجم المهمات في يوم ١٠/٩ معقولا على جبهة الجيش الثاني ومحدودا على جبهة الجيش الثالث .

وفي يوم ١٠/١٠ قامت ٨ طائرات معادية (٤ فانتوم و ٤ سكاي هوك) بضرب مطار قويسنا، وعطلت المدرج ، ولكنها لم تدمر أية طائرة . واستطاعت وحدات المهندسين اصلاح المدرج بمساعدة الفلاحين الذين تطوعوا لمعاونتها . وعطلت القنابل

---

٧ ــ من حديث مع احد قادة التشكيلات في جناح « الهوكر هنتر » .

الموقوتة التي القاها الاسرائيليون لعرقلة عملية الاصلاح . وعندما عاد المطار صالحا للاستخدام ، تابع الجناح تنفيذ مهماته حتى يوم ١٧ ، حيث قصف العدو مطار قويسنا للمرة الثانية ، واعيد اصلاحه ، وتابع الجناح تنفيذ مهماته حتى وقف القتال . وكانت هذه المهمات تتمثل في قصف تحشدات العدو وارتاله ومقرات قيادته في المنطقة الواقعة بن قناة السويس وخط الممرات .

ولقد تعرض جناح طائرات « هوكر هنتر » خلال تأدية الواجب الى عدة صعوبات اهمها :

١ ــ بطء عمليات اصلاح المطار بعد القصف ، ٢ ــ خطر التعرض للاصابة بالصواريخ ارض ــ جو المصرية في حالة الخروج الاضطراري عن الخط المحدد للذهاب والعودة ، ٣ ــ عدم وجود تنسيق بأجهزة التعرف الارضية الجوية ، ٤ ــ التعرض لنيران الرشاشات والمدفعية المضادة للطائرات خلال التحليق على ارتفاعات واطئة .

ورغم هذه الصعوبات فقد كانت طائرات الجناح تنفذ مهماتها بدقة ، وتحقق اصابات مباشرة . ولقد قام الجناح اثناء الحرب بــ ٤٩ طلعة جوية . وترجع قلة عدد الطلعات نسبيا الى عدة عوامل هي : عدم قيام القيادة الجوية المصرية بتكليف الجناح بمهمات كثيرة بعد اليوم الاول من القتال ، وتعطل الطيران خلال عمليات اصلاح المدارج ، وضخامة الاصابات التي لحقت بالطائرات . ومع هذا فقد عمل الفنيون الارضيون ما في وسعهم لتأمين اصلاح الطائرات المصابة اصابات خفيفة . «وكان الطيارون يصرورن على التحليق بهذه الطائرات، حتى ولو كان الاصلاح بدائيا ، حتى يتسنى لهم الاشتراك في القتال » (٨) .

ولقد اصيبت معظم طائرات الجناح اصابات غير مؤثرة بنيران الاسلحة الخفيفة . واصيبت ٧ طائرات اصابات بالغة ،

---

٨ ــ من حديث مع ضابط كبير مسؤول في قيادة القوات الجوية العراقية .

ولكن طياريها عادوا بها الى القاعدة . وسقطت اثناء القتال ٨ طائرات ، الامر الذي ادى الى استشهاد ٣ طيارين ٤ ووقوع ٣ في الاسر ، على حين استطاع طياران آخران العودة الى وحداتهم بعد القفز بالمظلات .

ويجدر بنا هنا ان نذكر ملاحظة خاصة بعمل الجناح العراقي على الجبهة المصرية . فلقد كان هذا الجناح مقسما الى سربين ، وكان كل سرب يعمل لصالح جيش من الجيشين المصريين . ومع هذا فان قيادة الجناح بقيت مركزية . وبقي الجناح باكمله مرتبطا بالقيادة الجوية المصرية . ولهذا كانت طلبات القصف تأتي من القوات البرية (الالوية والفرق) حتى تصل الى الجيش (الثاني او الثالث) الذي كان يحولها الى القيادة الجوية . وهناك كان يتم توزيع المهمات ، وتبليغ الجناح الذي يكلف السربين بالتنفيذ . فاذا استثنينا القصف الجوي التمهيدي الذي يمكن قبول اعداده مركزيا ، فان القصف في في الايام التالية كان من الممكن ان يتم بشكل اسرع لو ان كل سرب من السربين الحق بأحد الجيشين ، بحيث تحدد المهمات من قبل قائد الجيش ، وتبلغ الى قائد السرب المعني مباشرة الامر الذي يختصر عمل محطتين قياديتين هما : قيادة القوات الجوية وقيادة الجناح ، ويختصر بالتالي وقتا ثمينا . ولو تم هذا الالحاق ، لكانت ميكانيكية طلب الدعم الجوى ابسط بكثير ، ولاصبح بوسع قائد الجناح تكريس جهوده للاشراف على السربين معا ، ومراقبة عملهما ، وتأمينهما اداريا .

القتال على الجبهة السورية

ا ــ سرب « الميغ ــ ٢١ » في سورية

في صباح ١٩٧٣/١٠/٧ بدأ تحرك القوات الجوية العراقية الى سورية . وكان اول الاسراب وصولا الى الاراضي السورية هو سرب « ميغ ــ ٢١ » . وكان تشكيل من هذا السرب عند بدء القتال في قاعدة ابن الوليد الجوية ، والتشكيلات الاخرى في القاعدة الاساسية للسرب .

ولقد امرت القيادة الجوية العراقية السرب بالتحرك من اماكن تجمعه الى الاراضي السورية . فقطع المسافة بين قاعدته الاساسية وقاعدتيه في سورية (مطارا سيكر والضمير) على مرحلتين ، وتكامل وجوده في سورية في الساعة ١٦٤٠ من يوم ١٠/٧ . ووضع نفسه تحت التصرف المباشر للقوات الجوية السورية ، التي بدأت تكليفه بالمهمات فورا . وفي اليوم التالي تم دعم السرب بتشكيل اضافي لرفع مستوى فاعليته القتالية .

وكانت مهمات هذا السرب (من ٧ الى ٢٢ تشرين) اسناد الدفاع الجوي السوري بالاشتراك مع اسراب « ميغ — ٢١ » السورية . وكان السرب ينفذ مهماته بتشكيلات منفردة او بالتعاون مع التشكيلات سورية من السرب السوري الاول ، ويقوم بدوريات الحوم والاستطلاع ، ويتصدى لطائرات « الميراج — ٣ » المعادية التي تقوم بدور المظلة لوقاية طائرات « الفانتوم» او يتصدى لطائرات « الفانتوم » نفسها عند قيامها بشن الغارات على المطارات او اماكن انتشار القطعات . ولم يكلف هذا السرب خلال فترة الحرب بمهمات لحماية طائرات«سوخوي — ٧ » او «ميغ — ١٧ » اثناء قيامها بقصف قوات العدو البرية، نظرا لان هذه الطائرات كانت تعمل في العمق التكتيكي وتحت حماية الصواريخ ارض — جو السورية التي كانت فعالة ضد طائرات العدو . ولقد اكد طيارو السرب ان طائرة «ميغ—٢١» قادرة على مجابهة « الفانتوم ف—٤ أي» في القتال الجوي الحر ، والتفوق عليها، سواء جرى هذا القتال في سرعات عالية او منخفضة . كما اكدوا ان طائرة « ميراج ٣ — سي » كانت اقدر من « الفانتوم » على المناورة في القتال الجوي .

وبالاضافة الى مهمات الحوم والاستطلاع والاعتراض ، فقد نفذت تشكيلات السرب مهمات الكمائن الجوية . وكانت القيادة الجوية السورية تخضعها الى سيطرة الرادار الارضي، وتدفعها على ارتفاع متوسط الى عمق الاراضي الاسرائيلية حتى تجتذب الطائرات المعادية . وكانت غرفة العمليات الارضية تأمرها بعد ذلك بالتوجه بشكل يبعدها عن خطر الصواريخ ارض — جو

السورية التي تبدأ بالتعامل مع الطائرات المعادية وتسقطها أو تجبرها على الفرار . ويذكر قائد السرب العراقي انه اشترك مع احد التشكيلات في اول كمين من هذا النوع . وكان ينفذ تعليمات العمليات الأرضية ، وعندما عاد الى قاعدته بعد مناورة طويلة هنأه الضابط المسؤول عن ادارة العملية لانه اسقط طائرتين. ولقد فوجيء قائد السرب واعلم الضابط بأنه لم يصادف خلال طيرانه اي هدف، ولم يسقط اية طائرة . فرد عليه الضابط: « بلا ، أنتم نصبتم الكمين ، ونحن اسقطنا طائرتين بصواريخ سام » (٩) .

ولقد لاحظ طيارو « ميغ — ٢١ » ان السيطرة الارضية السورية كانت من مستوى عال ، وان منظومة الدفاع على الجبهة السورية كانت جيدة ، وان الموقف الجوي كان دقيقا وواضحا . الامر الذي جعل التشكيلات الجوية تنفذ مهماتها بثقة وكفاءة . ولم تسقط صواريخ ارض—جو السورية، بطريق الخطأ ، اية طائرة من طائرات السرب العراقي ، وان كانت مثل هذه الاخطاء قد وقعت على الجبهتين المصرية والسورية وفي كلا الجانبين العربي — والاسرائيلي نظرا لكثافة شبكات الصواريخ ، وعدم قدرة الصاروخ ارض — جو على تمييز الطائرة الصديقة من الطائرة المعادية .

والى جوار هذه الايجابية الخاصة بارتفاع مستوى السيطرة الارضية السورية ع فقد لوحظت سلبية تتمثل بقيام المدفعية والرشاشات المضادة للطائرات السورية بضرب الطائرات الصديقة . ويرجع السبب في ذلك الى ضعف قدرة الرماة في مجال تمييز الطائرات ، وعدم تقيدهم بتعليمات انضباط الرمي .

كانت نسبة الطيارين الى الطائرات في السرب العراقي ١،٥ الى واحد . وكانت القيادة الجوية العراقية ترسل باستمرار المزيد من الطيارين لتزيد هذه النسبة ، وترفع بالتالي عدد

---

٩ — من حديث مع قائد سرب « ميغ — ٢١ » العراقي الذي عمل في سورية .

الطلعات التي يقوم بها السرب . كما كانت تبدل الطيارين حتى يشارك الجميع في المعركة . وكان الطيارون يتسابقون الى تنفيذ المهمات ، وقام اكثرهم بثلاث طلعات يوميا (١٠) ولكن معدل عدد الطلعات للطيار الواحد انخفض حتى ، ١٫٥ — ٢ طلعة يومياً ، نظرا لتناقص النشاط الجوي المعادي على الجبهة السورية منذ يوم ١٠/١١ ، ولقيام العدو بالتركيز على قصف مطار « سيكر » ٤ مرات ، ولكن وحدات المهندسين السورية عملت على اصلاحه بسرعة فائقة ، واعادت المدارج والمنشآت الى وضعها السابق خلال عدة ساعات (١١) .

ولقد تابع سرب « ميغ — ٢١ » تنفيذ مهماته حتى يوم ١٠/٢٢ (يوم صدور قرار وقف اطلاق النار) ، واشتبك فوق جبل الشيخ في هذا اليوم بالذات ٤ مرات مع طائرات العدو التي كانت تحمي القوات الاسرائيلية المحمولة جوا ، والتي نزلت فوق المرصد الاسرائيلي واعادت احتلاله قبل ساعات من وقف القتال .

« الميغ — ٢١ » تحمي الحركة الاستراتيجية

عندما غادرت طائرات « ميغ — ٢١ » قاعدة ابن الوليد ، قام سرب « ميغ — ١٧ » بالتمركز في هذه القاعدة لتأمين حماية

---

١٠ — ان القيام بثلاث طلعات يوميا هو الحد الاقصى المسموح به في انظمة الطيران العسكرية ، نظرا الى ان كفاءة الطيار تنخفض بعد ذلك بنسبة ٥٠ ٪ فما فوق . ويدعي الاسرائيليون ان طياريهم قاموا في حرب ١٩٦٧ باكثر من ٣ طلعات . ويرجع السبب في ذلك — في حالة ثبوت صحته — الا ان هؤلاء الطيارين كانوا يقومون بنزهات جوية بعد ان تم تدمير الطيران المصري على الارض خلال الضربة الجوية الاولى ، وبعد ان بدأت القوات المصرية بانسحاب غير منظم افقدها القدرة على استخدام اسلحتها المضادة للطائرات بكفاءة عالية .

١١ — قصف مطار « سيكر » في احدى المرات في الساعة ٨٠٠ ، فقامت وحدات المهندسين باصلاحه واعداده للطيران ، الأمر الذي جعل السرب «ميغ — ٢١ » العراقي ينطلق لتنفيذ مهماته من جديد في الساعة ١١٢٠ .

حدود العراق الغربية وتغطية حركة القوات على محاور التقدم الى سورية ، ثم دفع هذا السرب الى سورية في يوم ١٠/١٠ وحل محله سرب « ميغ — ٢١ » . وكان هذا السرب احتياطا استراتيجيا للسرب العامل في سورية ، ويقوم في الوقت نفسه بمهمة حماية الحركة الاستراتيجية (حماية السابلة) . وبقيت قيادته مرتبطة بقيادة القوات الجوية العراقية التي كانت مستعدة لدفعه الى سورية اذا ما تطلب وضع الدفاع الجوي السوري ذلك ، ومستعدة لدفعه لحماية القطعات الاردنية ، اذا ما قرر النظام الاردني فتح الجبهة الشرقية ، ولكن هذين الوضعين لم يقعا ، لذا بقي السرب في قاعدته حتى نهاية الحرب .

ولقد قام هذا السرب بمهمات الحوم والتصدي لطائرات العدو التي كانت تتسلل عبر الاجواء الاردنية ، وتحاول الاقتراب من محاور حركة القوات البرية العراقية للقيام بمهمات القصف او الاستطلاع . وكانت طائرات العدو تحلق على ارتفاع منخفض ، وتمر بين جبال الاردن فوق وادي الزرقاء وسد الملك طلال باتجاه المفرق ، ثم تجه من منطقة المفرق — ام الجمال نحو الاراضي السورية . وكانت المقاومات الارضية الاردنية تتصدى لها ، دون ان تشترك الطائرات الاردنية في هذا التصدي .

ومن الجدير بالذكر « ان السلطات الاردنية لم تسمح بالتعاون لانجاز واجبات الدفاع الجوي بتعاون وثيق ابان احتدام المعارك الجوية » (١٢) . ولو تم هذا التعاون ، الذي يتطلب قرارا سياسيا لم يستطع النظام الاردني اتخاذه (١٣) ، لامكن منع التسلل الجوي الاسرائيلي منذ بداية

---

١٢ — دور الجيش العراقي في الحرب الفلسطينية الرابعة ، اعداد مديرية الحركات العسكرية ومديرية التوجيه السياسي في الجيش العراقي ، بغداد بدون تاريخ .

١٣ — لم يتخذ النظام الاردني القرار السياسي اللازم للمشاركة في حرب ١٩٧٣ ، واكتفى بارسال اللواء المدرع ٤٠ الى الاراضي السورية للقتال من الجبهة السورية نفسها . ثم دفع قيادة الفرقة الثالثة الى الاراضي

يتبع

انطلاقة ، ولتمت حماية السابلة من مسافة أبعد . ورغم عدم تعاون الاردن في هذا المضمار ، فان سرب « ميغ ـ ٢١ » استطاع تأمين حماية السابلة ، بشكل حرم الطيران الاسرائيلي من التعرض للقوات البرية خلال انتقالها من القطر العراقي الى القطر السوري .

وهكذا شارك العراق بسربين « ميغ ـ ٢١ » ، وبقي السرب الثالث (الذي كان سرب تدريب تحول الى سرب قتال)، داخل الاراضي العراقية لحماية اجواء القطر ، والاستعداد للحركة نحو مسرح العمليات اذا اقتضت الظروف ذلك . ولقد نفذ السرب العامل في سورية ٤٣٩ طلعة جوية ، وخسر خمس طائرات (اثنتان منهما دمرتا على الارض)،و٣ طيارين ، واسقط للعدو في القتال الجوي ٥ طائرات .

« الميغ ـ ١٧ » في المعركة

في مساء السادس من تشرين صدرت الاوامر لسرب « ميغ ـ ١٧ » بالتحرك من قاعدته الى قاعدة ابن الوليد . ولقد وصل السرب الى قاعدة ابن الوليد على دفعات ، واشترك مع الطائرات « ميغ ـ ٢١ » بحماية القاعدة والارتال المتجهة الى سورية ، ودفع الى مطار المزة مفرزة رائدة على حين بقي السرب يتابع مهمته في ابن الوليد ٣ ايام انطلق بعدها الى قاعدته الجديدة في سورية (مطار المزة).حيث وضع تحت تصرف القيادة الجوية السورية .

اشترك السرب ٨ تنفيذ مهمات الدعم الارضي القوات البرية العاملة على الجبهة السورية من يوم ١٥ حتى يوم ٢٢ .

السورية . ويرجع هذا الموقف الاردني المتردد الى ارتباط النظام بالمخططات الامبريالية العليا ، وخضوعه للتأثيرات النفسية التي اصابته في حرب ١٩٦٧. وكان من المحتمل ان يدخل المعركة تحت ضغط الجماهير ، لو ان القوات المصرية وصلت الى شرقي خط الممرات ، واكملت القوات السورية احتلال هضبة الجولان واحتفظت بها .

ولم يخصص لدعم القوات العراقية فحسب ، بل كلف — كما كلف سربا « سوخوي —٧» بضرب اهداف معادية مقابل القطاعات العراقية والسورية معا ، لانه كان يرتبط بالقيادة الجوية السورية مركزيا . ولقد قام السرب بـ (٦٩) طلعة ، وخسرخلال قيامه بواجباته طائرة واحدة (١٤) تقفز طيارها وعاد الى وحدته . اما سرب « ميغ —١٧ » الآخر (وهو سرب غير كامل) ، وسرب « ميغ — ١٩ » (وهو سرب طائرات قديمة وطيارين قدامى) فقد بقيا داخل البلاد ، وكلفا بمهمة الدفاع المحلي، وتشكيل جزء من الاحتياط العام .

« السوخوي — ٧» تدعم القوات البرية

في اليوم الثالث للقتال (٨/١٠) وعندما بدأ الاحتياط الاستراتيجي المعادي هجومه المضاد على الجبهة السورية، تحرك سربا « سوخوي —٧» من قاعدتهما داخل العراق باتجاه الاراضي السورية على مرحلتين ، فوصلا في اليوم نفسه ، وتمركزا احدهما في مطار (بلي) بينما تمركز الآخر في (مطار دمشق الدولي) . وكانت نسبة الطيارين الى الطائرات ١،٥ الى واحد .

وارتبط السربان بالقيادة الجوية السورية ، وكلفا منذ يوم ٨/١٠ بمهمات لصالح الجبهة كلها . وكانت هذه المهمات عبارة عن اسناد قريب للقطعات البرية ، والبحث عن اهداف معادية في ساحة المعركة لضربها ببداهة الطيارين وقادة التشكيلات . وكان زخم عمليات السربين في فترة (٩ — ١٤ تشرين الاول) كبيرا ، وخاصة في يوم ١٠/١٠ ، ثم تناقص بعد ذلك حتى نهاية الحرب. وبالاضافة الى ذلك فقد نقص بعد الاهداف بعد يوم ١٠ نظرا لتقدم العدو في الجولان واندفاعه نحو «سعسع». ولقد قام السربان خلال وجودهما في سورية بـ (٧٥) طلعة. وكان معدل

---

١٤ — وهي طائرة سورية الحقت بالسرب وكان يطير عليها طيار عراقي.

الطلعات للطيار الواحد ١ـ٢ طلعة يوميا . وخسر السربان خلال تنفيذ الوجبات ١٢ طائرة ، و٦ طيارين شهداء او مفقودين : واستطاع طيار العودة الى الوحدات الصديقة بعد الهبوط بالمظلة ، ووقع طيار واحد اسيرا بيد العدو .

كان مطار دمشق الدولي الذي تمركز فيه احد سربي « سوخوي ـ ٧ » محميا بشكل جيد بالصواريخ ارض ـ جو وبالمدفعية م/ط . وكانت التسهيلات الفنية ذات مستوى عال . اما مطار (بلي) فكان عبارة عن مطار ميداني (شقة امامية) لا يملك كافة التسهيلات الفنية . وكان فيه عند اندلاع الحرب، سربان سوريان « سوخوي ـ ٧ » و« ميغ ـ ١٧ » . وعند وصول السرب العراقي اليه سحب السربان السوريان الى قواعد جوية اخرى ، وبقي في (بلي) بعض الطيارين السوريين عدة ايام بغية تنظيم التعاون وتعريف الطيارين العراقيين على المنطقة . ولم تكن حماية المطار ضد الاخطار الجوية مؤمنة تماما ، وهذا ما جعله يتعرض للقصف ٤ مرات . وكان الطيران المعادي يستغل ثغرة في الدفاع الجوي السوري ، ويتسلل عبر الاجواء الاردنية ، ويتجه جنوبي السويداء ، ثم ينحرف نحو الشمال ليضرب سلسلة من المطارات السورية المتعاقبة ، ومن بينها مطاري « خلخلة » و « بلي » . ولقد اصيبت المدارج خلال الغارات الجوية باعطال « كانت وحدات المهندسين السورية تقوم باصلاحها بسرعة فائقة تسمح لطائرات السرب بمتابعة نشاطها بعد فترة وجيزة » (١٥) .

ولقد اثبتت ملاجيء الطائرات فاعليتها ، ولم تدمر الغارات الاربع سوى طائرة واحدة كانت عائدة الى السرب وباب ملجئها مفتوح . اما الطائرات الملتجئة في ملاجيء مغلقة الابواب فلم تصب باذى رغم عنف الغارات الجوية .

---

١٥ ـ من حديث شبه رسمي مع قائد سرب « سوخوي ـ ٧ » المتمركز في مطار (بلي) .

ويذكر احد الطيارين العراقيين انه طار في « ترب » مع قائد سرب سوري في يوم ٩ ، ووصلا حتى حدود طبرية ، ولكن عمق الطيران بدأ يتناقص بعد ذلك كما ذكرنا ، واصبح معظم الاهداف واقعا في منطقة ثغرة سعسع . ويبدو ان اسلوب تحديد الواجبات الارضية كان على الجبهة المصرية متقدما على تحديد الواجبات الارضية في الجبهة السورية . ويرجع السبب في ذلك الى تركيز المصريين على الاستطلاع الجوي قبل بدء الى تركيز المصريين على الاستطلاع الجوي قبل بدء العمليات وبعده ، والى حركة الجبهة السورية وتبدل الاوضاع عليها باستمرار بالنسبة الى الجبهة المصرية ، وخاصة في فترة (٩ — ١٤ تشرين الاول) .

قام سربا « سوخوي —٧ »بتنفيذ الواجبات غالبا دون مظلة جوية من طائرات «ميغ — ٢١» . وكان الطيارون يعتمدون على الطيران المنخفض، وسرعة طائراتهم وقدرتها على التملص، وقرب الاهداف ، وكثافة الدفاع السوري المضاد للطائرات فوق مسرح المعركة . ولكن طائرات « ميغ — ٢١ » كانت تؤمن الحماية الجوية في بعض الاحيان ، وخاصةاذا قامت طائرات « سوخوي — ٧ » بتنفيذ واجباتها مع الضياء الاخير .

ويؤكد طيارو السربين انهم تعرضوا خلال القيام بواجباتهم لعدة صعوبات اثرت على سير العمليات واهمها :

١ — عدم وجود تنسيق جوي عراقي — سوري مسبق . الامر الذي حرم الطيارين من التعرف على المنطقة قبل القتال ، وجعل سياق المعركة غير موحد .

٢ — ضعف الارتباط الجوي — الارضي ، مما عرقل السيطرة الارضية على طائرات الاسناد ، وجعل عمل «المجيبات » الارضية غير ملموس ، واجبر الطيارين على الاعتماد على انفسهم بنسبة ٨٠ ٪ .

٣ — صعوبة تحديد خط القصف نظرا لتداخل القطعات السورية — العراقية مع قطعات العدو .

٤ — تعرض الطائرات الصديقة لنيران الدفاعات الارضية نظرا لعدم تطبيق قواعد انضباط الرمي ، وعدم قدرة رماة الاسلحة م/ط على تمييز الطائرات ، وعدم استخدام جهاز التعرف على نطاق واسع.

ونستنتج من كل هذه الصعوبات . ان السيطرة في مجال الاسناد الارضي ، كانت ادنى من مستوى السيطرة في مجال الدفاع الجوي . وان غرف العمليات الارضية كانت تنسق التعاون بشكل جيد بين طائرات « ميغ — ٢١ » وبطاريات الصواريخ المضادة للطائرات . ولا تؤمن هذا التنسيق بالشكل المطلوب بين القوات البرية والقوات الجوية المساندة .

هكذا قام سربا « سوخوي — ٧ » بواجباتهما من يوم ٨ حتى يوم ٢٢ تشرين الاول ، وبقي السرب الثالث (وهو سرب تدريب تحول الى سرب قتال) داخل الاراضي العراقية كاحتياط استراتيجي . ولكن القيادة الجوية العراقية استخدمت طياريه لتبديل طياري السربين العاملين في سورية ، ضمن خطة اعطاء كافة الطيارين فرصة المشاركة في المعركة .

ومن الجدير بالذكر انه لم يكن بالنسبة الى استخدام الطائرات«سوخوي» اي تمييز بين الطائرات العراقية والسورية. فلقد قاد السوريون طائرات عراقية كما قاد العراقيون طائرات سورية . وكان التلاحم بين الطيارين اكثر من كامل .

طيران النقل يلعب دوره

عندما اندلعت الحرب ، كان الطيران العراقي يمتلك ٣١ طائرة نقل موزعة على النحو التالي : ٤ طائرات نقل خفيفة « انتونوف — ٢ » ، ٧ طائرات نقل ثقيلة « انتونوف — ١٢» ، ١٠ طائرات نقل خفيفة « انتونوف — ٢٤ » ، ٨ طائرات نقل

خفيفة « ايليوشين — ١٤ » ، طائرتا نقل جنود نفاثة « توبوليف — ١٢٤ » ، طائرتا نقل جنود خفيفة « هيرون » (١٦) . وكانت جميع طائرات النقل العراقية سوفياتية الصنع ، عدا طائرتي « هيرون » فهما بريطانيتي الصنع . وكـــان وزن الحمولة النظرية لكافة طائرات النقل الصالحة لنقل المعدات يعادل ١٤٥ طنا (١٧) اما طائرات النقل المخصصة لنقـــــل الجنود (١٨) فكانت حمولتها النظرية ٧٢٨ رجلا . واذا اضفنا اليهـــا طائرات نقل المعدات الحربية بعد اعدادها لنقل الجنود ، اصبحـــت الحمولة النظرية الكاملة ١٥٨٤ جنديا (١٩).

وعندما اندلعت حرب ١٩٧٣ واستنفر سلاح الطيــران العراقي ، كانت طائرات النقل متمركزة في قواعدها داخـــل البلاد ، وتقوم بمهام روتينية متعددة . وكان اول تدبير اتخذته قيادة سلاح الطيران بعد الاستنفار الغاء الواجبات العادية ، واصدار الاوامر بالاستعداد لتنفيذ واجبات تتعلق بدعم جبهات القتال .

ولقد كلف طيران النقل خلال فترة (٧/١٠ — ٣/١١/٧٣) بعدة واجبات هي :

---

١٦ — ان جميع اعداد وانواع الطائرات ماخوذة من Military Balance المذكور انفا .

١٧ — « انتونوف — ٢ » و « انتونوف — ١٢ » .

١٨ — « انتونوف — ٢٤ » ، و « ايليوشين — ١٤ » ، « توبوليف — ١٢٤ » ، و « هيرون » .

١٩ — الحمولة النظرية هي مجموع الحمولات النظامية لكافة الطائرات . وهي تختلف عن الحمولة العملية التي يستطيع طيران النقل حملها عمليا ، والتي تتعلق بمستوى حداثة الطائرات ، ومدى صيانتها ، ونسبة جاهزيـــة اسراب النقل . ومن المتعذر تحديد الحمولة العملية لطائرات النقل العراقيـــة ابان حرب ١٩٧٣ لان ذلك يدخل في مجال الاسرار العسكرية .

— تأمين الاسناد الاداري والفني للاسراب العراقية المقاتلة العاملة في سورية .

— تأمين الاسناد الاداري والفني للجناح العراقي المقاتل الموجود في مصر .

— نقل قوات برية من القطر العراقي الى القطر السوري (٢٠) .

وكان عدد ساعات طيران النقل الجوي لصالح العمليات في فترة (٧/١٠ — ١٩٧٢/١١/٣) هو (٨٦٣) ساعة . منها : (٣٤٨) ساعة لاسناد الجناح العراقي في مصر ، و(١٢١) ساعة لاسناد الاسراب العاملة في سورية ، و(٣٩٤) ساعة لنقل القوات البرية . وبلغ مجموع عدد الرجال الذين تم نقلهم جوا (١٨٠٠) شخصا ، كما بلغ مجموع الوزن المنقول جوا (٦٧١) طنا . منها : (٤٥٢) طنا لاسناد الجناح العراقي في مصر ، و(٢١٩) طنا لاسناد الاسراب العاملة في سورية . ولم يخسر طيران النقل خلال واجباته اية طائرة .

ولقد ادى قصر مدة الحرب ، وضخامة ضرورات النقل الجوي ، الى الضغط على طيران النقل العراقي الذى لم يكن حجمه يتلاءم مع طبيعة مهماته الكثيرة التى فرضتها المشاركة القومية في المعركة ، او مع بعد المسافة التى كان عليه ان يقطعها بين نقاط التحميل ونقاط التنزيل . الامر الذي جعل طياري النقل يطيرون احيانا ١٧ ساعة يوميا (٢١) . وكان

---

٢٠ — نشمل هذه القوات وحدات لواء القوات الخاصة ، ولقد اتينا على ذكر ذلك في الفصل الثامن .

٢١ — ان انظمة الخدمة تحدد ساعات الطيران الاعتيادية لطيار النقل بـ (٦ — ٨) ساعات فقط .

بالامكان رفع مستوى النقل الجوي وتحويله الى جسر جـوي حقيقي لو ان حجم طيران النقل كان كبيرا ومنسجـما مـع متطلبات الطرح القومي للمشاركة في معركة المصير ، كما كان بالامكان تخفيض الضغط علي طيران النقل لو ان التنسيـق العربي قبل المعركة توصل الى خلق مستويات اسناد في مصر وسورية بشكل مسبق .

ومن الجدير بالذكر ان طائرات الطيران المدني (الخطوط الجوية العراقية) ، لم تشترك في عمليات النقل الجوي .وان الدراسات الخاصة باعداد "الطيران المدني لهذه المهمـة ، وتنسيق عمل الطيران المدني مع طيران النقل العسكري ، لم يكونا مؤمنين بالمستوى المناسب . في الوقت الذي استخـدم العدو به طائرات النقل التابعة لشركة « العال » واستاجـر طائرات نقل اميركية واوروبية لنقل المعـدات والمتطوعين المرتزقة خلال حرب تشرين،وجميع حروبه السابقة مع العرب.

قاذفات القنابل

لم يكن العراق يملك عند اندلاع حرب تشرين سـوى ٨ قاذفات متوسطة « ت يو ــ ١٦ » ، كان قد حصل عليها قبـل حرب ١٩٦٧. وكان مجموع الحمولة الحربية للقاذفات العراقية ٧٢ طنا في الطلعة الواحدة . ولقد رأينا كيف كانت القـيادة الجوية العراقية تسعى قبل حرب ١٩٧٣ الى تزويد قوتهـا الجوية الضاربة بقاذفات متطورة . ولم تستخدم القوات الجوية العراقية قاذفاتها القديمة في العمليـات لقصف العمـق الاسرائيلي ، لانها اعتبرتها طائرات قديمة غير محمية ولا تملك اجهزة التشويش او الاجهزة الملاحية اللازمة ، ولا تستطيـع بالتالي تأدية الغرض المطلوب منها .

وعندما كانت المعركة دائرة،وصل العراق سرب من القاذفات المتوسطة السوفياتية « ت يو ــ ٢٢ » المتطورة . وكانـت ميزات هذه الطائرات تسمح لها بالاشتـراك في المعركة ، وضرب اهداف معادية في العمقين العملياتي والاستراتيجي ،

نظرا لان مداها الاقصى يصل الى ٢٥٠٠ كيلو مترا . ولكن وصولها ابان القتال ، ووصول التجهيزات اللازمة لاستخدامها عند انتهاء الحرب ، حرم السرب من المشاركة الفعلية في المعركة .

طائرات الهليكوبتر

كانت اسراب طائرات الهليكوبتر العراقية في العام ١٩٧٣ تضم ٨٣ طائرة (مقابل ٢٠ طائرة في العام ١٩٦٨) موزعة كما يلي : ٤ طائرات خفيفة « مي — ١ » ، و٣٥ طائرة مهمات «مي — ٤» ، و٢٩ طائرة نقل متوسطة «مي — ٨ » ، وكلها سوفياتية الصنع . بالاضافة الى ١٠ طائرات متوسطة بريطانية الصنع «ويسكس»، و٥ طائرات خفيفة فرنسية الصنع «الويت — ٣» ٢) . ولقد استخدمت هذه الطائرات في تنفيذ واجبات متعددة ، دون ان يسقط العدو اية واحدة منها . وكانت واجباتها تتمثل بما يلي :

— تامين انتقال القيادات
— تأمين السيطرة على السابلة (الارتال المتحركة بين القطرين) .
— البحث عن الطيارين المفقودين
— اخلاء الجرحى
— نقل القوات الخاصة خارج حقل المعركة .

بيد أن الهليكوبترات لم تستخدم في عمليات القوات الخاصة وراء خطوط العدو ، او في التصدي لدبابات العدو . كا لم تشترك في عمليات اللواء الجبلي الخامس ، الامر

---

٢٢ — جميع الارقام ماخوذة من Military Balance 1973 - 1974 المذكور سابقا . ويذكر قاهتيتين في تقريره المشار اليه من قبل ، ان عدد طائرات الهليكوبتر كان ٦٩ طائرة فقط . لانه اسقط من الحساب طائرات « مي —١ » و « ويسكس » . ولكننا نميل الى الاعتقاد بأن ارقام M. B. اقرب الى الصحة .

الذي افقد هذا اللواء (كما راينا في الفصل السابع) جزءا كبيرا من مرونته وحركيته .

لقد دعي سلاح الطيران العراقي الى القتال دون انذار مسبق ، واشترك في المعارك فوق اراض لم يتعرف عليها من قبل ، وتعاون مع قوات لم يسبق له ان نسق معها امور العمليات والتدريب . ورغم كل هذه السلبيات ، اندفع هذا السلاح الى القتال بكل حماسة ، وتسابق طياروه وكوادره الفنية للمساهمة في المعركة القومية ، وليعدلوا بالزخم المعنوي كل العوامل التي فرضت عليهم .

ولقد خسر الطيران المقاتل في الاشتباكات الجوية وبنيران المقاومات المعادية وعلى الارض ١٢ طيارا و٢٦ طائرة (٢٢) . وجابه مقاتلات العدو بكفاءة عالية، مؤكدا بذلك، مع رفاق السلاح المصريين والسوريين ، ان تفوق سلاح الجو الاسرائيلي ليس اكثر من اسطورة .

---

٢٢ ــ تعادل خسارة سلاح الطيران العراقي بالطائرات حوالي ٢٤٪ من الطائرات العراقية المقاتلة المشتركة على الجبهتين وحوالي ١٢ ٪ من مجمل الطائرات المقاتلة التي كان يملكها العراق في العام ١٩٧٣ .

الفصل الحادي عشر

معركة الشؤون الادارية

تحتل الشؤون الادارية في الجيوش العصرية مكانة كبيرة تزيد على مكانتها في العصور السابقة عشرات المرات . فلقد ادت ضخامة القطعات المحاربة ، ومكننة آلة القتال ، وتزايد غزارة رمي الاسلحة ، الى تضخم الشؤون الادارية بشكل لم يعرف من قبل . واصبح تأمين هذه الشؤون معركة يومية يؤثر نجاحها او فشلها على مصير العمليات الحربية بأسرها .

وتتسم معركة الشؤون الادارية عادة بالتعقيد ؛ وكلما كبرت القوات المقاتلة ؛ وطالت المسافة التي تفصل مسرح المعركة عن قاعدة الامداد والتموين ، وتسارعت وتيرة المعارك واشتدت حدتها ؛ تزايد التعقيد وتضاعفت الصعوبات . وانطلاقا من هذه المعطيات يمكن القول ان مصالح وادارات الجيش العراقي خاضت بالفعل معركة ادارية على درجة كبيرة من التعقيد ويرجع السبب في ذلك الى العوامل التالية :

— طول خطوط الامداد والتموين (حوالي ١٠٠٠ كيلو متر) .

— ضخامة القوات العراقية المقاتلة التي تحركت نحو الجبهة والتي بلغ عددها فرقتين مدرعتين و٣ الوية مشاة وعدة اسراب طيران قتال .

ـ طبيعة هذه القوات ، وكون غالبيتها قطعات مدرعة ذات وتيرة استهلاك عالية في الوقود والذخائر .

ـ الوضع الخطر الذي كان يهدد الجبهة السورية . وضرورة القيام بعمليات متواترة وعنيفة وسريعة .

ـ طبيعة الطريق الصحراوية ، وما تسببه من معضلات في مجال التموين بالمياه . وفي مجال التعرض للخطر الجوي .

ـ قيام الجيش العراقي بالحركة نحو الجبهة بشكل مفاجيء ودون اعداد مسبق (عملياتي او اداري) .

ـ وجود طريق امداد وتموين واحدة سهلة القطع، شبهها الفريق الركن مصطفى عزيز رئيس الامور الادارية في قيادة الجيش العراقي بـ « نهر تمخر السفن عبره ، ويمكن للعدو قطعه » (١) .

ورغم تماثل نوعيات الاسلحة ، وبالتالي نوعيات الذخائر اللازمة للقوات البرية والجوية في القطرين السوري والعراقي ورغم امكانية الحصول على المؤن والوقود من سورية مبدئيا . فقد حملت القوات العراقية المتحركة الى الجبهة معها كل ما يلزمها من ذخائر ووقود ومؤن ، ثم تابعت الحصول من العراق على ما يلزمها من امداد وتموين خلال المعركة،ويرجع ذلك الى ان القيادة في بغداد تصورت مسبقا ان القوات العراقية ستدخل المعركة فورا ومن الحركة ، ولذا فانها لم تشأ تعقيد عمل قادة التشكيلات ، واضاعة وقت ثمين ريثما تؤمن الهيئات الادارية السورية ما تحتاجه القطعات قبل دخول المعركة ، فجهزت القطعات المتحركة بكل ما يلزمها لدخول المعركة فورا ومتابعة القتال بوتيرة عالية دون ان تلقي مزيداً من الاعباء على عاتق

---

١ ـ من حديث مع الفريق الركن مصطفى عزيز ، رئيس الامور الادارية في قيادة الجيش العراقي .

الهيئات والمصالح السورية المشغولة بامداد وتموين القوات السورية المشتبكة مع العدو . وبالاضافة الى ذلك فقد كان من الضروري امداد القوات العراقية بالوقود بعد ان ضرب العدو مصفاة حمص ومستودعات النفط على الساحل السوري ، وبدأت القيادة السورية تحس بحاجة ماسة للحصول على الوقود اللازم لقطعاتها .

ورغم الصعوبات الادارية التي تفرضها كل معركة كبيرة، والصعوبات الادارية الاضافية الناجمة عن الوضع الذي دخلت به القوات العراقية الحرب ؛ فقد اثبت قادة ومصالح وهيئات الشؤون الادارية في الجيش العراقي انهم على مستوى مسؤولية التامين الاداري لجيش عصري يدخل معركة حديثة تتسم بالحركية والعنف .

ويرجع النجاح الذي تم تحقيقه في مجال المعركة الادارية الى عاملين هما : وجود الخطة ، والاعداد المسبق للأداة الادارية . فلقد كانت القيادة العراقية قبل اندلاع الحرب قد اعدت خطط حركات تشمل كافة التوقعات المحتملة على جميع الجبهات . بما في ذلك الخطط الادارية . وكان من الطبيعي ان تعد هذه القيادة خطة عمليات لمجابهة احتمالات الحرب مع العدو الصهيوني ، وان ترسم بشكل مسبق الخطة الادارية على هذا المحور ، وان تدخل عليها باستمرار التعديلات المتناسبة مع تزايد القوات المسلحة وتطور امكاناتها واسلحتها ومعداتها القتالية .

وساعد على تنفيذ الخطة ان محور بغداد ــ المفرق كان مجهزاً من قبل نظرا لانه كان محور امداد وتموين القطعات العراقية (قوات صلاح الدين) التي تمركزت في الاردن منذ حرب ١٩٦٧ حتى العام ١٩٧١ . وبعد انسحاب الجيش العراقي من الاردن على اثر الغاء الجبهة الشرقية وتقسيمها الى جبهتين مستقلتين (شمالية وشرقية) ، ابقت القيادة العراقية على الجزء العراقي من هذا الطريق منظومة ادارية وادامتها فكانت جاهزة للاستخدام عند اندلاع الحرب في العام

١٩٧٣ . ولقد افادت القطعات المتحركة من هـذه المنظومة : وتمت الحركة على طريق معدة اداريا ، تمتد على طولها اسلاك هاتفية ، وتنتشر عليها خزانات المياه ، ونقـاط التصليـح ، ومستودعات الامداد التموين ، واراضي هبوط الطائرات، ونقاط الاسعاف الطبي .. الخ .

ونظرا لان الحركة لم تكن باتجاه الاردن ، فقد كان عـلى قيادة الشؤون الأدارية ادخال تعديل على الخطة بالنسبة الـى جزء من الطريق يقع بين « ابج ثرى » « دمشـق » . والحقيقـة ان هذا القسم لم يكن دون اي اعداد . فلقد انشا السوريـون ايضا في المنطقة الواقعة بين «دمشـق» والحـدود العراقيـة مستودعات وخزانات مياه ونقاط اسعاف ومراكز تصليح . ولقد افادت الشؤون الادارية العراقية من هذه المنشآت لتامين التكديس، واعداد الخدمات الادارية ، وتنظيم السيطرة علـى السابلة « وكان التعاون مطلقا بين الجيش العراقي والجيش السـوري بدون اى تقييد او تحديد ، وعلى سبيل المثال لا الحصر ، كانت الصهاريج العراقية تجلب الوقود وتملأ مخازن الوقود السورية: كما كانت السيارات العسكرية العراقية تمر من سورية وتمـلأ خزاناتها من مخازن الوقود السورية بدون حساب ، واصبحنـا في وحدة غير معلنة مع سورية في تلك الفترة » (٢) .

ولتحقيق التنسيق في مجال الشؤون الادارية سافر رئيس الامور الادارية العراقي الى دمشق منذ يوم ١٠/٩ ، وبقي هناك حتى ١٠/١٤ ولم يعد الا بعد ان تأكد من ان القطعات العراقية لن تلاقي اية معضلة ادارية خلال القتال . وكان الفريـق عزيز قد اوعز قبل سفره بتطبيق الخطة الادارية ، وقسم الطريق بين «بغداد» و «دمشـق» الى قواطع ، وامن السيطرة على السابلة، وشكل فى كل قاطع منطقة ادامة تضم مستشفى ميدانيا ، وارض هبوط طائرات الاخلاء الطبي ، ومركز سيطرة على السابلـة . ومستودعات كدست فيها ١٥٠٠ طن من الذخائر ، و٧٥٠ طنـا

---

٢ ــ من حديث مع العقيد الركن فاروق الحريري قائد هيئة السيطرة على السابلة .

من الوقود ، و ١٥٠ طنا من الارزاق، بالاضافة الى المياه وادوات التصليح ومواد الاسعاف الطبي . « ولقد بلغ وزن التكديس في مناطق الادامة على الطريق حوالي ٣٠٠ الف طن من الوقود والارزاق والعتاد والادوية وقطع الغيار » (٣) . وكانت القطعات تحصل على حاجتها من هذه المناطق ، ثم تتابع تقدمها وهي كاملة الاستعداد لدخول المعركة .

وحتى لا تشكل المياه معضلة خلال الحركة اذا ما ضربت مناطق الادامة جوا ، او قام العدو بتلويث الآبار الصحراوية جرثوميا او كيماويا ، حملت القطعات معها في صهاريج ضخمة ما تحتاجه من مياه للرجال والآليات خلال مراحل التنقل .

ولم تستبعد القيادة أن يلجأ العدو الى السلاح الكيماوي لانقاذ نفسه وتحسين وضعه بعد الضربة التي سددها اليه الجيشان المصري والسوري في سيناء والجولان ، ولذا انتشرت السرايا والفصائل الكيماوية مع التشكيلات، وجهز كل جندي بقناع واقمن الغازات ، واتخذت مجموعات الكشف والتطهير التدابير اللازمة لكشف الغازات التي يمكن ان يستخدمها العدو ، وتطهير الرجال والمعدات القتالية عند اللزوم .

وكانت القطعات تطبق عند وصولها الى مكان التحشد خطتها الادارية المتناسبة مع مهمتها . وتخلق منطقتها الادارية التي تستلم الامداد والتموين من الخلف ، وتوصله الى القطعات المشتبكة مع العدو بانتظام كامل . وادت دقة التنظيم الادارى، وكفاءة الوحدات الادارية ، وعدم تعرض طيران العدو لارتال الامداد والتموين ، الى وصول الذخائر والمياه والوقود والاطعمة والمواد الطبية والرسائل الشخصية الى كل خندق ، الامر الذى ساعد التشكيلات المقاتلة على القتال بزخم مستمر رغم بعد قاعدة التموين الاولى عن خط الاشتباك . ولقد حرصت القيادة خلال الحركة . وخلال وجود القوات في مناطق التحشد ، على تأمين الطعام المطبوخ للجنود كلما سمحت الظروف بذلك

---

٣ ــ من حديث مع الفريق الركن مصطفى عزيز ، رئيس الامور الادارية في قيادة الجيش .

وساعدها في هذا المجال قرب مناطق التحشد من مدينة «دمشق»، وتعاون السوريين مع الهيئات الادارية للقوات العراقية المحاربة .

وكما سار الامداد والتموين بشكل منتظم ، فقد سارت عمليات انقاذ الدبابات والاليات والمعدات الحربية واصلاحها في ميدان المعركة او في معامل الالوية والفرق . وكانت مفارز الاصلاح الامامية تعمل تحت نار العدو ، او تسحب الآليات المصابة الى الخلف بغية اصلاحها واعادتها الى وحداتها لمتابعة المعركة . وعندما كان جنود الانساق الامامية يجابهون العدو بمدافعهم ورشاشاتهم ، كان جنود الاصلاح في الخلف يقاتلون هذا العدو بادوات الاصلاح الميدانية ، ويعيدون الى الحياة كتل الفولاذ الصماء ، ويحولونها من جديد الى وسائط قتالية تصب نيرانها على العدو .

وكان اخلاء الجرحى يتم بسرعة بالغة مهما كانت ظروف المعركة قاسية ، وكانت الوحدات الطبية تقدم لهم الاسعاف اللازم ، وتنقلهم الى المستشفيات الخلفيه . ولقد استخدمت الطائرات وطائرات الهليكوبتر في نقل الجرحى الخطرين الى المستشفيات البعيدة . ويلاحظ ان عدد الجرحى العراقيين يعادل ثلث عدد الشهداء . مع ان المفروض ان يكون عددهم ٤ـ٥ اضعاف عدد الشهداء . ويرجع السبب في ذلك الى ان معظم الاصابات كانت ناجمة عن تذائف المدفعية والهاون والصواريخ ومدافع الدبابات ، الامر الذي جعل منها اصابات خطيرة وقاتلة .

ورغم طبيعة المعركة ، وانسحاب القوات العراقية بعد المعارك الهجومية التي خاضتها ، فان عدد الاسرى العراقيين على الجبهة السورية لم يزد عن عشرة اسرى كان معظمهم جرحى . ويدل هذا العدد الصغير من الاسرى بالنسبة الى عدد الشهداء (٨١٥ شهيدا) ، على ان الجندي العراقي كان يقاتل حتى النفس الاخير ، كما يدل على ان

التشكيلات المقاتلة كانت تبذل كل ما في وسعها لسحب جرحاها قبل الانسحاب حتى لا تتركهم اسرى بيد العدو .

وعندما كانت القيادة السورية تعد خطة الهجوم المعاكس الاستراتيجي ، اعدت الشؤون الادارية العراقية خطة ادارية لقواتها المشتركة في الهجوم. فكدست في مناطق الشؤون الادارية كميات كبيرة من الوقود والذخائر وخاصة ذخائر الدبابات والمدفعية ١٣٠ مم - لتعطي للصدمة العراقية قوة كبيرة ومستمرة .

ومن الجدير بالذكر ان قيادة الشؤون الادارية العراقية لم تهتم بامداد وتموين القوات العراقية البرية فحسب ، بل امنت امداد وتموين اسراب الطائرات العاملة في سورية ومصر ، كما ساهمت في امداد القوات السورية بالذخائر وخاصة ذخائر الدبابات ، وذخائر المدفعية من عيار ١٢٢ مم و ١٣٠ مم . وامنت حاجة سورية من المحروقات (كيروسين مهدرج وكيروسين طيران وبترول وفيول اويل) (٤) بواسطة الصهاريج ، بعد ان قصفت الطائرات الاسرائيلية المصافي والمستودعات النفطية في سورية ، خاصة وان الطاقة الانتاجية للمصافي اللبنانية كانت غير كافية لتجهيز سورية بالمحروقات وتامين الاستهلاك المحلي اللبناني ، بالاضافة الى ان عدد الصهاريج اللبنانية اللازمة للنقل لم يكن كافيا .

وهكذا لعب ضباط وجنود الشؤون الادارية دورهم الفعال في القتال . فوقفوا مع كل جندي وكل دبابة . وكانوا وراء كل قذيفة تنصب على العدو ، ولكنهم بقوا — ككل جنود الشؤون الادارية في كل الجيوش — جنودا مجهولين، يشاركون بصمت في تحقيق النصر ، دون ان تسلط عليهم الاضواء البراقة .

---

٤ — في ١٠/١١ طلبت سورية من العراق ارسال كيروسين مهدرج ٥ و ١٥ الف طن كيروسين طيران ، و ١٠٠٠٠ طن من البترول يوميا . وفي ١٠/٢٠ طلبت ارسال ٢٠٠ طن فيول اويل يوميا الى حلب . ولقد لبت الحكومة العراقية هذه الطلبات فورا ! ! حسب طاقة الحمل التي تؤمنها الصهاريج المتوفرة في العراق، بالاضافة الى الصهاريج التي خصصت حكومة الكويت لهذه العملية .

الفصل الثاني عشر

الانسحاب من القطر السوري

كان القرار الثوري العاجل الذي اتخذته القيادة السياسية في العراق في مساء ١٠/٦ ثم وسعت ابعاده في صباح اليوم التالي يحمل في طياته بذور معضلة كان لا بد من ظهورها خلال الحرب او بعدها . فلقد اتخذ القرار من اجل تجذير الحرب وتثويرها وأعطائها ابعادا اكبر ، مع ان متخذيه كانوا يعون بوضوح ان الحرب لم تندلع الا لتحقيق اهداف محدودة . وكانت القيادة السياسية تراهن عند اتخاذ القرار على العوامل العرضية التي يمكن ان تظهر خلال الحرب ، والامكانات الجماهيرية الجبارة التي تفرزها المعركة ، فتتبدل معطيات المسالة ، وتخلق الظروف الملائمة للتجذير .

وقبل ان تبدأ اول قطعة بالحركة نحو جبهة الجولان ، كان هناك سياستان ، وبالتالي فقد كان هناك استراتيجيتان . ولم تفكر القيادة السياسية بتأمين التنسيق السياسي قبيل ارسال للقوات الى سورية ، لانها لم تشأ تأخير القطعات واضاعة لحظات ثمينة يتوقف عليها مصير المعركة ، خاصة وان لهجة مطالبة القيادة السورية بارسال اكبر قوة في أصغر زمن ممكن، قد اعطى القيادة في بغداد انطباعا بأن شيئاً ما لا يسير بشكل ملائم . ثم تأكد هذا الانطباع ، واختفت بالتالي كل امكانات الجدال حول القضايا السياسية منذ يوم ١٠/٨ الذي حقق فيه الهجوم المعاكس المعادي انجازات تثير القلق . ولم يعد امام

القيادة العراقية عندئذ سوى هدف واحد ، هو دعم القوة العسكرية السورية باي ثمن، حتى لا يحصل على الجبهة انهيار يدفع الشعب السوري والامة العربية ثمنه غاليا .

ولم تعط القيادة السياسية العراقية لقادة القوات المتحركة الى سورية ، او لضباط هيئة الارتباط توصيات سياسية ، بل طلبت منهم ان يضعوا انفسهم تحت تصرف القيادة السورية ، وان يقوموا خلال المعارك بواجباتهم التي يفرضها الشرف القومي والشرف العسكري . ونجم عن انعدام التنسيق السياسي انه لم يكن بين القوات السورية والقوات العراقية العاملة على جبهة واحدة سوى تنسيق تكتيكي وعملياتي آني ، بينما اختفى كل تنسيق عملياتي بحدود اسبوع او عشرة ايام ، ناهيك عن التنسيق الاستراتيجي الذي لم يكن واردا اصلا « وهذه نقطة خطا رئيسية دفعنا ثمنها غاليا » (١) .

والحقيقة ان القيادة السياسية العراقية لم تكن تتحمل عبء هذا الخطأ . فلقد حاولت عن طريق الحوار تامين الحد الادنى من التماثل في الهدف السياسي ، ليكون بالامكان تحقيق تنسيق استراتيجي وعملياتي . ولكن جهودها باءت بالفشل كما راينا ، وبدات مصر وسورية الحرب وفق تصورهما السياسي واستراتيجيتهما ، ولم يعد امام العراق سوى سبيل واحد هو الوقوف بحيث تقف مصلحة الجماهير العربية . ومن المعروف ان القيادة الثورية الواعية لا تشعل نار الثورة او الانتفاضة المسلحة او الحرب الا وفق استراتيجية ثورية ولتحقيق هدف جذري . وهي تحاول دائما توضيح هذه النقطة للجماهير وللقوى الصديقة الاخرى ، حتى لا تصاب القوى المناضلة بنكسة من جراء الاندفاع الى القتال باستراتيجية غير ملائمة او لتحقيق هدف غير جذري . ولكن فشلها في ذلك ، واندلاع القتال رغم محاولاتها السابقة للتنسيق وفق

---

١ — من حديث من اللواء الركن منعم لفتة الريفي « رئيس هيئة الارتباط العراقية .

الاستراتيجية الملائمة ، ووقوف الجماهير الى جانب الصدام المسلح ، يجعل القيادة الثورية امام خيار واحد : هو الوقوف مع الجماهير حتى لا تسحقها القوى المضادة بعنف وحشي : والوقوف الى جانب القتال بغية التأثير على مجراه واعطائه دفعة كمية ونوعية ترفعه الى مستوى اعلى يقارب المستوى الذي كانت القيادة الثورية تخطط له .

وبسبب التباين السياسي ، وتباين هدف الحرب بالتالي، كان الموقفان السوري والعراقي من قرار وقف القتال متباينين. فلقد وجدت القيادة السورية ان هدف الحرب قد تحقق ، ما دامت مسالة النزاع العربي ــ الاسرائيلي قد عادت الى بؤرة الاهتمام العالمي بشكل دراماتيكي ، تمثل في الرسالة التي بعث بها بريجينيف الى الرئيس نيكسون ، ولوح فيها باستخدام القوة لفرض وقف القتال على اسرائيل ، ورد نيكسون باستنفار الاسلحة الاستراتيجية الاميركية في العالم ، وما دام هذا الوضع المتفجر سيجبر الدولتين الكبريين على البحث عن حل يضمن تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ويضمن انسحاب اسرائيل من الاراضي التي احتلتها في العام ١٩٦٧ . اما القيادة العراقية التي كانت تعتبر تنفيذ القرار رقم ٢٤٢ خسارة وخطأ ، فقد وجدت ان الحرب لم تحقق هدفها ، ولم تكبد اسرائيل خسارة كافية تجبرها على الانسحاب تحت تأثير القوة العربية المسلحة وليس تنفيذا للقرار رقم ٢٤٢ .

وقد تكون النتيجة في الحالتين انسحاب اسرائيل من الاراضي العربية المحتلة في العام ١٩٦٧ . ولكن الانسحاب بسبب الانهاك الناجم عن الحرب الطويلة وما تسببه من خسائر لا تستطيع اسرائيل احتمالها كان يعني ازالة آثار العدوان دون دفع اي ثمن سياسي ، على حين ان انسحاب اسرائيل وفق البند (١ ــ أ) من القرار رقم ٢٤٢ يعني ان على العرب ان يدفعوا الثمن المحدد في البنود (١ ــ ب) و (٢ ــ أ) و (٢ ــ ج) من القرار المذكور ، والقاضية بانهاء الحرب ، واحترام سيادة

الدولة الصهيونية واستقلالها ، وضمان حرية الملاحة في الممرات الدولية في المنطقة (نص القرار في الملحق رقم ١) .

اما على الصعيد العسكري ، فقد وجد القادة العراقيون — سواء كانوا ضباطا في هيئات الاركان ام قادة في القطعات المقاتلة — ان ايقاف القتال قبل تحقيق هدف الحرب يتناقض مع طبيعة الحرب التي لا تخرج عن كونها **عنفا مدفوعا الى حده الاقصى ، واستخداما غير محدود القوة ، يستهدف تدمير قوات العدو المسلحة او وضعها في موقف يجعل تدميرها محتملا ، في سبيل تجريد العدو من درعه واجباره على التخلي عن اهدافه السياسية والخضوع لارادتنا بشكل او بآخر .**

ولقد كان العسكريون العراقيون من مختلف المراتب يقفون الى جانب استمرار الحرب . وكانوا يرون ان ايقاف القتال في الوضع الذي كان قائما في يوم ٢٢ تشرين الاول غلطة استراتيجية كبيرة تعطي العدو الاسرائيلي موقفا يستطيع استغلاله في المستقبل على نطاق واسع . وانه اذا كان قهر ارادة العدو الاسرائيلي لم يتحقق بفضل الضربة المفاجئة خلال الايام الاولى للقتال (استراتيجية التدمير) فان من الضروري استمرار القتال حتى يتم قهر ارادة العدو على المدى الطويل (استراتيجيه الاعياء) ؛ حتى لو ادى ذلك الى القيام بقتال تراجعي شرس ، وتنفيذ انسحاب استراتيجي تتخلله هجمات معاكسة متعاقبة ، والاعداد لهجوم معاكس قوي ينفذ عندما تصل قوات العدو الى نقطة ذروة الهجوم . وتطول خطوط مواصلاتها ؛ وتتبعثر في ارض واسعة لا تستطيع مسكها او السيطرة عليها بكثافة كافية (٢) .

ولم يكن العسكريون العراقيون يتجاهلون عند طرح مقولة الحرب الشعبية طويلة الامد الوضع الدولي الحساس ؛

---

٢ — جاءت مقولة الحرب الشعبية طويلة الامد وقدرتها على تحقيق النصر على لسان جميع الضباط العراقيين الذين جرى الحديث معهم . وكانت حماستهم لهذه المقولة كبيرة جدا .

واحتمالات سس الولايات المتحدة بقواتها المسلحة الى جانب اسرائيل ، عندما سيميل ميزان القوى لصالح العرب ، وتصبح العسكرية الاسرائيلية مهددة بالانهيار . لان وعيهم بحقيقة العلاقة العضوية بين الامبريالية الاميركية واسرائيل كان كافيا لجعلهم يتوقعونمثل هذا التدخل ويؤكدون على ضرورة مجابهته بالعنف الثوري ، وبواقعية ثورية .

بيد ان القرار حول وقف القتال لم يكن بيد القيادة العراقية ، وانما كان بيد القيادتين المصرية والسورية . ولقد بادرت القيادة المصرية في ١٠/٢٢ الى الموافقة على قرار مجلس الامن رقم ٣٣٨ وتاريخ ١٩٧٣/١٠/٢٢ القاضي بوقف القتال وضرورة تنفيذ القرار رقم ٢٤٢ (٣) . وكان الاعتقاد السائد في بغداد ان سورية ستوافق ايضا على وقف القتال . ومع هذا فقد بقي لدى العراق بعض الامل ، نظرا لتأخر سورية في قبول وقف القتال . وبدات القيادة السياسيةاتصالات مكثفة مع الدول العربية وحكومة الاتحاد السوفياتي لمعرفة حقيقة موقفها من هذه المسالة . واجتمعت القيادتان القومية والقطرية في يوم ١٠/٢٢ ، ثم اعلن الناطق الرسمي العراقي ان العراق لم يكن طرفا في اتفاقية هدنة ١٩٤٨ ، ولم يوافق على قرار القتال في العام ١٩٦٧ ، وهو لن يكون طرفا في اي قرار او اجراء من هذا القبيل اتخذ او يتخذ في المستقبل (٤) . وكان موقف القيادة العراقية منسجما مع مبادئها المعلنة ومواقفها السابقة التي تمنعها من الموافقة على القرار رقم ٣٣٨ الذي لم يكن سوى تكرار للقرار رقم ٢٤٢ المرفوض من قبلها .

وفي ليلة ٢٣-٢٤ تشرين الاول ، وافقت سورية على قرار وقف اطلاق النار . ولم يكن امام القوات العراقية الموضوعة

---

٣ - ان قرار مجلس الامن رقم ٣٣٨ وتاريخ ١٩٧٣/١٠/٢٢ مرفق مع الملاحق (الملحق ٧) .

٤ - انظر نص تصريح الناطق الرسمي عن الاجتماع المشترك للقيادتين القومية والقطرية ومجلس قيادة الثورة المرفق مع الملاحق (الملحق ٨) .

تحت تصرفها سوى الانصياع لاوامر ايقاف جميـــــع العمليات العربية . وهنا وجدت القيادة السياسية في بغداد ان تطلعاتهـــا العاملة في سورية تجابه موقفا جديدا لا بد من تقييمه واتخاذ القرار بشأنه. وكانت اعادة التقييم قد بدأت منذ موافقة مصر على القرار رقم ٣٣٨ ، ثم استمرت بعد ذلك ، واتخذ على اثرها قرار بسحب القوات العراقية من مصر وسورية . ولقد بنت القيادة السياسية العراقية القرار ، الذي آلمها اتخاذه ، على المعطيات السياسية ــ العسكرية التالية :

١ ــ لقد ذهبت القوات العراقية للمشاركة في القتال وفق تصورات الجماهير العربية وطلائعها الثورية ، ضمن اطار حرب التحرير التي لا مساومة فيها . ولكن قبول القـــرار رقم ٣٣٨ ، وبالتالي القرار رقم ٢٤٢ بكل ما فيهما من قبول بالتخلي عـــن جزء من الحق والارض العربيين ، وبكل ما يعنيانه من اعتراف بحق الدولة الصهيونية بالبقاء والسيادة ، كان يعني ايقاف معركة التحرير قبل انجاز مهماتها ، والبدء بالمساومة على حقوق الامـــة العربية ومصالحها الجوهرية .

٢ ــ ان بقاء القوات العراقية بعد ايقاف القتال سيجعل العراق طرفا في التسوية المقترحة على اساس القرار رقم ٢٤٢، او في اية تسويات مماثلة ، الامر الذي يتنافى مع مبادىء الثورة واهدافها .

٣ ــ ان ايقاف القتال يعني حرمـــــان القوات المسلحة العراقية من حقها في تأدية واجبها ، ويجعل وجودها على حدود العدو بلا اي معنى عملي .

٤ ــ ليس بين العراق والعدو الصهيوني هدنة مماثلـــــة لهدنة رودس ١٩٤٩ المعقودة بين مصـــر وسوريـــة والاردن ولبنان من جهة واسرائيل من جهة اخرى . لذا فان بقاء القوات العراقية على خط النار بعد توقف القوات المصرية والسورية عن القتال ، وعدم قبول الحكومة العراقية بالقرار رقم ٣٣٨ ، قـــد

يعطي العدو فرصة للانفراد بالقطعات العراقية ، وتوجيه ضربة انتقامية مباغتة لها ، دون ان يكون زمام الموقف بيدها لترد عليه ردا حازما وفق تصوراتها لطبيعة الصراع، علما بان الوضع المائع الذي يسود جبهات القتال عادة بعد وقف القتال سيسمح للعدو باستغلال الفرصة واختلاق اي مبرر لتسديد ضربته دون عقاب رادع (٥) .

٥ — ان تعرض القوات العراقية لضربة عنيفة ، سيحرم هذه القوات من الزخم المعنوي الذي حققته خلال معاركها مع العدو ، وسيجعل اي عدو خارجي يتطاول على مهاجمة جيش مهزوم . في حين ان عودة القطعات بعد الانتصارات التي حققتها سيجعلها في وضع معنوي افضل لردع اي عدو او صده اذا ما قرر العدوان .

٦ — لقد كان اشتراك القوات العراقية في الحرب ضد العدو الاسرائيلي عاملا من جملة العوامل التي شكلت حاجزا نفسيا وسياسيا منع البرزاني من التحرك ضد السلطة الثورية . ومن المؤكد ان توقف القتال سيخفف اهمية هذا الحاجز ، وسيجعل البرزاني اقدر على التحرك وتهديد الامن في شمالي العراق ، خاصة اذا كانت غالبية القوات المسلحة بعيدة عن البلاد .

ولقد حاولت قوى عربية وصديقة ثني القيادة السياسية العراقية عن قرار الانسحاب ، خاصة بعد ان استدعى وزير

---

٥ — لم تكن مجموعتا الوية « ادان » و « ماغن » عند بدء تنفيذ قرار وقف القتال في مساء ١٩٧٣/١٠/٢٢ قد تمكنتا من تطويق الجيش المصري الثالث الموجود على الضفة الشرقية للقناة وفي مدينة السويس . ولذا استغلت القيادة الاسرائيلية حالة الاسترخاء المعنوي التي اصابت القوات والقيادة المصرية بعد وقف اطلاق النار بفترة وجيزة ، وميوعة الوضع بشكل عام ، فاستمرت « ادان » و « ماغن » بمتابعة تقدمهما باتجاه الجنوب ، الامر الذي ادى الى احتلال ميناء الادبية على الشاطيء الغربي لخليج السويس ، واحكام الطوق حول الجيش الثالث ومدينة السويس في منتصف ليلة ١٩٧٣/١٠/٢٤ .

الخارجية السورية السفراء العرب في مساء ١٠/٢٥ وتحدث اليهم عن قرار العراق بشأن عودة القوات العراقية بعد وقف اطلاق النار ، واشار الى الدور الذي لعبه الجيش العراقي ، ومدى تأثير انسحابه على الجيش السوري والمواطنين . وطلب من السفراء تبليغ حكوماتهم بذلك ، ومحاولة التوسط لتأجيل تنفيذ هذا القرار ؛ حتى لا يؤدي الانسحاب الى انفتاح ثغرة في خطوط الجبهة السورية . وكانت الحكومة العراقية تشرح وجهة نظرها للاشقاء والاصدقاء ، وتبين لهم الاخطار التي يتعرض لها امن العراق وامن قواته اذا ما بقيت هذه القوات في سورية ؛ وتؤكد لهم انها ترفض ان تكون حارسا للحل السلمي الذي تحاول الولايات المتحدة تحقيقه لمصلحتها عن طريق نزع الفتيل من المنطقة وتهدئتها .

وبينما كانت المساعي جارية لثني السلطة الثورية في العراق عن عزمها ، كانت القوات المسلحة التي ادت واجبها بشرف وبطولة تسلم مواقعها للقطعات السورية ، وتلقي نظرة وداع على الارض المحتلة التي كانت تود فداءها بدمائها . وفي وفي ٢٩ / ١٠ اصدرت القيادة القومية والقطرية ومجلس قيادة الثورة بيانا حول سحب الجيش العراقي من الجبهتين الشمالية والغربية (٦) ؛ وبدأت الحركة نحو الشرق في اليوم التالي بحماسة اقل ونظام اكثر . وسارت قوافل الدبابات والعربات المدرعة والمدافع والآليات الملأى بالجنود تقطع الطريق الصحراوية الطويلة بصمت موحش . ولم تتردد في بطاح الصحراء زغاريد الفرح التي ملأت جنباتها طوال عشرين يوما . فقد كان الجنود يجلسون في عرباتهم صامتين . ويفحصون بعيونهم كل ثنية من ثنيات الارض . محاولين اختزان صورتها في اذهانهم؛فقد يعودون الى السير عليها عندما ستهدر المدافع من جديد على هضبة الجولان .

---

٦ ــ ان نص بيان القيادة القومية والقطرية ومجلس قيادة الثورة مرفق مع الملاحق (الملحق ٩) .

الفصل الثالث عشر

دروس وعبر

اتسمت الحرب العربية – الاسرائيلية الرابعة بالعنف ، وسرعة الوتيرة ، وضخامة المعدات والاسلحة المستخدمة من الجانبين ،وارتفاع مستوى استهلاك الذخيرة الحربية من جميع الانواع . ولقد قامت القوات المسلحة العراقية البرية والجوية في هذه الحرب بواجبها بشكل مشرف ضمن معطيات الظروف التي فرضت على تدخلها . ولكن كفاءتها القتالية ، وارتفاع روحها المعنوية ، ودقة الخطط المعدة لتدخلها ،جعلتها تقلل نتائج السلبيات المفروضة الى الحد الادنى ، وتؤمن النتائج القصوى من الجهد الذي امكن تقديمه . ولقد خسرت القوات العراقية في حرب تشرين الاول ١٩٧٣ (وفقا لما اعلنه الفريق اول الركن عبد الجبار شنشل رئيس الاركان العامة في ٤ ايار ١٩٧٥) ٨٣٥ شهيدا (من بينهم ١١ ضابطا) ، و٧٣ مفقودا (من بينهم ١٧ ضابطا) ، و٢٧١ جريحا (من بينهم ٣٦ ضابطا) ، و٢٦ طائرة مقاتلة ، و١١١ دبابة وعربة نقل جنود مدرعة ، و٢٤٠٩ سيارة عسكرية ، و٧٣٨ قطعة سلاح(١).

ولقد كانت الاسابيع الثلاثة التى انقضت بين تحرك اول قطعة عراقية الى الجبهة ، ووقف اطلاق النار ، مدرسة قتالية وادارية رائعة ، تعمدت فيها التشكيلات تحت النار ، ودخلت

---

١ – صحيفة النهار ١٩٧٥/٥/٥ .

في قتال عنيف جرى وفق احدث انماط الحرب العصرية واستخدم فيه الجانبان اسلحة متطورة ومعقدة . ولقد اكد كافة المشتركين في هذه الحرب انهم تعلموا خلال الاسابيع الساخنة الثلاثة الكثر مما تعلموه خلال سنوات طويلة من التدريب والمناورات والدورات التعليمية ، وخرجوا من هذا الصدام بدروس وعبر على كافة المستويات . ولقد وجدنا ان من المفيد الحديث عن هذه الدروس والعبر بشكل عام ، دون الدخول في التفصيلات التي يمكن ان يفيد العدو من التحدث عنها الآن ، طالما ان المعركة معه لم تنته ، وطالما ان وجوده العدواني في قلب الوطن العربي يشكل عاملا لانعدام الاستقرار وسببا كافيا لاندلاع حرب خامسة .

جاء اول الدروس المستفادة من دخول المعركة دون تنسيق سياسي مسبق ، الامر الذي ادى الى تباين مخططات الجانبين السوري والعراقي ، ووضع القوات العراقية المسلحة في الايام الاخيرة من الحرب في وضع حرج وخاصة بعد موافقة الحكومة السورية على وقف اطلاق النار .

ونجم عن هذا الامر بالضرورة عدم وجود تنسيق عسكري بكل ما في هذا التنسيق من جوانب تكتيكية وادارية وتدريبية ، لذا دخلت القوات العراقية المعركة بنسق قتال مختلف عن النسق السوري او المصري ، وقاتلت على ارض غير مستطلعة ومجهولة الطبيعة الطبوغرافية . ولو كان هناك تنسيق مسبق لقام قادة التشكيلات باستطلاع ارض المعركة ، واجراء التمارين الهيكلية (بدون قطعات) على الارض والخارطة وصندوق الرمل بشكل يساعد على دخول الحرب بكفاءة افضل ، ولعرفت القيادة السورية طبيعة الاداة المسلحة العراقية الموضوعة تحت تصرفها حتى تستخدمها بالشكل الملائم وفي المكان الملائم . والحقيقة ان القيادة السورية كانت تتعامل مع اللواء العراقي مثلا وكانه لواء سوري ، دون ان تدخل في الحسبان التباين القائم بين قوة ووسائط وتدريب التشكيلتين العراقية والسورية ، ودون ان تاخذ بالاعتبار اختلاف القدرات القتالية لهاتين التشكيلتين .

ولقد انعكس انعدام التنسيق والتدريب المشترك على لغة التخاطب بين قادة القوات العراقية والمسؤولين السوريين . فلقد كان الجيشان العربيان يقاتلان على ارض واحدة ،ويتحدثان لغتين عسكريتين مختلفتين . وهذا ما عرقل تدابير الاتصال والسيطرة وتنسيق التعاون التكتيكي بين القطعات العراقية من جهة ؛ والقطعات السورية والاردنية من جهة اخرى .

اما على صعيد الامور الادارية ، فقد انعكس انعدام التنسيق على اختيار منطقة الشؤون الادارية الامامية . وتمت عملية التكديس بشكل ارتجالي . فلقد تقرر في البداية ان تكون منطقة الشؤون الادارية المتقدمة للجيش العراقي على محور طريق ابو الشامات دمشق. ثم تبين ان طبيعة الارض المكشوفة لا تسمح بذلك ، فنقلت هذه المنطقة الى حوران حيث تسمح ثنيات الارض بتكديس المواد في مأمن من انظار العدو الجوية . ولقد ادى عدم وجود التنسيق المسبق الى عدم القيام بتكديس مسبق للذخائر والمؤن والمحروقات منذ زمن السلم. ومن المؤكد ان وجود مثل هذا التكديس ، وخلق مستودعات ادارية لاسناد القوات البرية والجوية ، كان سيسهل عملية الامداد والتموين ، ويخفف الضغط عن محور الحركة الوحيد الذي سارت عليه ارتال القطعات المحاربة وارتال الامداد والتموين (عربات ٥ و ١٠ اطنان) بشكل كثيف .

وتأثر اسلوب استخدام القطعات نفسه من عدم التنسيق؛ لان عدم معرفة طبيعة الارض ، وتدريب القطعات المدرعة العراقية الطويل في البادية ، جعل قادة التشكيلات لا يقدرون في البداية اهمية وجود نسبة كبيرة من المشاة مع الدبابات خلال القتال على ارض متعرجة صخرية تكثر فيها كتل الحجارة والتلال ، ولا يقدرون مستوى كفاءة العربات المدرعة ذات العجلات في مرافقة الدبابات على مثل هذه الارض،وضرورة تزويد المشاة الميكانيكية بعربات مدرعة مجنزرة قادرة على مواكبة الدبابات .

ولقد عمل ضباط هيئة الارتباط العراقية كل ما في وسعهم لتلافي المعضلات الناجمة عن عدم التنسيق . ووجدوا الحلول المناسبة للمواقف المتعددة المتغيرة ، بيد انهم واجهوا مشكلة اساسية لم يستطيعوا حلها ، وهي عدم وجود عقيدة عسكرية عربية موحدة مستوحاة من طبيعة الجندي العربي ، وطبيعة العدو ، وطبوغرافية الارض ، والزمن الممنوح للقتال في الحروب العربية — الاسرائيلية . ومن المؤكد ان حل هذه المعضلة كان يخرج عن حدود امكاناتهم في الفترة القصيرة التي قضوها في سورية ، كما يخرج عن حدود صلاحياتهم ، ويدخل في اطار المفهوم الصحيح للوحدة العسكرية العربية المبنية على مفهوم اوسع هو الوحدة السياسية او التنسيق السياسي الجدي على الاقل .

ولم يؤثر عدم وجود التنسيق السياسي في مجال العقيدة العسكرية فحسب ، بل اثر على روح العمليات ، فعندما كانت القيادة السورية تنتظر وقف اطلاق النار في اواخر ايام الحرب ؛ كانت القيادة العراقية في بغداد او على خط القتال تقاتل هجوميا وبعنف على اساس ان الحرب مستمرة . ولقد راينا كيف اثر موقف الحكومة الاردنية على عمليات اللواء المدرع ٤٠ . فلقد دخلت الحكومة الاردنية الحرب لتغطية موقفها امام الجماهير العربية المتحمسة للمشاركة بكل القوى ضد العدو المشترك ، لذا كانت عمليات اللواء الاردني ٤٠ في هجومي ١٦ و١٩ عبارة عن مساهمة اقرب الى المجاملة الناتجة عن الاحراج في حرب مصر وسورية ؛ فجاءت بالتالي محرومة من الزخم ولا تتسم بالاصرار على القتال حتى آخر جندي ، على عكس القوات العراقية التي دخلت القتال على اساس ان الحرب هي حربها وحرب العرب كلهم ، فاخذت عملياتها طابعا عنيفا مصمما . ومن المؤكد ان هذا التباين في طبيعة عمليات القوات الاردنية والعراقية لا يعود الى اختلاف نوعي بين الجندي العراقي والجندي الاردني ، ولكنه يعود الى اختلاف بين السياسة العراقية والسياسة الاردنية ، انعكس على معنويات الجنود وطبيعة العمليات .

ولقد تأثرت العمليات العسكرية ايضا بالموقف السياسي الصهيوني . فكانت عملية القوات المحمولة جوا في ٢١ ـ ٢٢ تشرين الاول ، موقتة بحيث يتم احتلال المرصدين السوري والاسرائيلي وقمة جبل الشيخ قبل صدور قرار وقف القتال مباشرة ، حتى تأتي نهاية الحرب وهذه النقاط الاستراتيجية الهامة بين يدي القوات الاسرائيلية ، دون ان تستطيع القوات العربية القيام بهجوم معاكس لاستردادها . ومن المؤكد انه كان بوسع الاسرائيليين تنفيذ هذه العملية قبل ايام من تاريخ تنفيذها الفعلي . ولكنهم اجلوا التنفيذ حتى تأكدوا (عن طريق الاميركيين) من تاريخ صدور القرار ، فقاموا بالعملية ، وامنوا حماية المكتسبات بقرار وقف القتال . ولو ان القيادة السورية علمت بتوقيت وقف القتال مسبقا لدفعت اللواء الجبلي العراقي في يوم ١٠/٢٠ الى « عرنة » او الى ابعد من ذلك بدلا من الاحتفاظ به في « قطنا » . وعلى كل حال فقد كانت القيادة السورية ، كما رأينا ، تعلم منذ ١٠/١٩ بأن هناك اتجاها لوقف القتال . ولذا فقد كان من المنطقي استخدام اللواء الجبلي الخامس لتعزيز « منظمة العقبات » حتى لو لم تكن تعرف القيادة السورية موعد صدور القرار رقم ٣٣٨.

ومن الملاحظ ان العدو لم يستخدم القتال الليلي على الجبهة العراقية ، كما لم يدفع دباباته بكتل ضاربة في العمق، بل كان يستخدم الدبابات بالتنسيق مع المشاة المسلحة بالصواريخ الموجهة المضادةللدبابات بتكتيك يعتمد على استجرار الدبابات العراقية الى مدى عمل الصواريخ وضربها بالصواريخ، ثم مهاجمتها بالدبابات.ولهذا يمكن القول ان القتال لم يأخذ شكل قتال دبابات تقليدي بالشكل الذي اخذه في سيناء وخاصة بعد يوم ١٤ ، او في فترة (٨ـ١١) تشرين الاول على هضبة الجولان .

ولقد برزت خلال الحرب اهمية القوى المعنوية وقدرتها على تبديل ميزان القوى ، واعطاء القوة الضاربة وزنا لا يتناسب مع عددها ووسائطها القتالية الفعلية . ولعبت توجيهات القيادة السياسية الدور الاول في هذا المجال ، وما كان

لتوجيهاتها انتحقق النتائج الباهرة التي حققتها ، لو لم تجد صداها في نفوس المقاتلين المعبئين توميا الى ابعد الحدود .وكان للزيارات التي قام بها الى خطوط القتال المسؤولون السياسيون، والقياديون الحزبيون ، واعضاء من المكتب العسكري ، ومدراء الصنوف ، وانعكاسات ايجابية على الوضع المعنوي للجنود والضباط ، كما كان لشجاعة القادة من مختلف الرتب ، ووجودهم دائما على راس تشكيلاتهم فعل سحري في انكاء الحماسة وروح الفداء . ويؤكد قادة التشكيلات ان ضباط التوجيه السياسي كانوا في جميع الاوضاع محركا ديناميكيا ساعد القادة على استثارة الطاقات المعنوية الخلاقة المخزونة في صدور المقاتلين ، وان عمل هؤلاء الضباط في الميدان لم يكن سوى استمرار لجهودهم التي بدات في المعسكر منذ تشكيل مديرية التوجيه السياسي في الجيش العراقي .

وهناك هيئة قيادية مارست دورها بشكل فعال خلال حرب تشرين الاول ، وهي هيئة الارتباط العراقية التي ضمت عددا من ضباط الاركان المؤهلين الذين التحقوا بالقيادة العامة السورية ، وعملوا باشراف العميد الركن منعم لفتة الريفي ، كحلقة ارتباط بين القيادة السورية وقادة التشكيلات العراقية. ولقد كانت هذه الهيئة تحضر المؤتمرات ، وتعد الاوامر وتنقلها الى القادة الميدانيين ، وتجمع التقارير المتتابعة للموقف المتبدل على قاطع القوات العراقية ، وتهتم بشؤون الامداد والتموين والاخلاء ، وتؤمن للمسؤولين السوريين عن اتخاذ القرارات صورة صحيحة عن الامكانات القتالية للتشكيلات العراقية.

ان الحديث مع الرجال الذين خاضوا حرب تشرين الاول ، يكشف مدى اعتزازهم بالدور البطولي الذي لعبوه ، كما يكشف الكثير من المرارة التي يحاولون اخفاءها بصعوبة. وما ان يبدا الحديث عن دروس الحرب وعبرها ، حتى يلاحظ المرء ان هؤلاء المقاتلين كبروا في الاسابيع الثلاثة للحرب عشرات السنين ، واصبحوا اكثر نضجا واشد تماسا مع الحقائق العملية ، وغدا كل واحد منهم مدرسة قتالية لا تقل اهميتها عن بريق الفخار المشع في عينيه .

وهناك دروس كثيرة تعلمتها القوات المسلحة العراقية من الحرب . ومن افواه المقاتلين ، وخلال سردهم بتواضع لدورهم في صناعة التاريخ امكن عدد من هذه الدروس اهمها :

أ — في مجال الطيران

— اهمية مفارز اصلاح المطارات ، وتأثير هذه المفارز على حجم القوة الجوية المستخدمة وعدد الطلعات الجوية التي تستطيع الاسراب القيام بها خلال فترة زمنية محددة .

— اهمية ملاجيء الطائرات في حماية القوة الجوية من الضربة الجوية الاولى ، والضربات اللاحقة خلال القتال ، وضرورة اعداد هذه الملاجيء — رغم ارتفاع تكاليفها — في الحفاظ على وتيرة العمل الجوي العالية .

— ضرورة رفع مستوى تدريب القوات البرية على تمييز الطائرات ، حتى لا تتعرض الطائرات للنيران الصديقة .

— اهمية التنسيق البري — الجوي في الحرب الحديثة التي تتعاون فيها مختلف صنوف الاسلحة . وضرورة اجراء تدريبات برية جوية مشتركة حتى تستطيع القيادة الحصول على المردود الاقصى من القوة المتوفرة لديها.

— اهمية الاعداد منذ زمن السلم لاستخدام الطيران المدني في خدمة العمليات العسكرية .

ب — في مجال الحرب البرية

— اهمية الاعداد الهندسي المسبق للارض ، وتأثير هذا الاعداد على مستوى الحماية ضد القصف البري والجوي ، وعلى مستوى القدرة القتالية للقوات البرية رغم هذا القصف .

ـ ضرورة وجود احتياط مضاد للدبابات مزود بصواريخ موجهة ومحمول بطائرات الهليكوبتر لتسهيل مناورة هذه الاحتياط ، وزيادة امكانات استخدامه بسرعة في الحالات الطارئة .

ـ ضرورة وجود طائرات هليكوبتر في مــــلاك فرقـــة الدبابات لاستخدامها من قبل القيادة كوسيلة اتصال وسيطرة سريعة، ولاستخدامه في رصد نيران المدفعية عندما تفرض طبيعة الارض ذلــك .

ـ ضرورة تحويل الثنائي « دبابة ـ مشاة ميكانيكية » الـــى ثلاثي « دبابة ـ مشاة ميكانيكية ـ هليكوبتر مسلحة ضـــد الدبابات » .

ـ فاعلية الهاون الثقيل في الرمايات ضد المشاة ، وارتفـــاع مستوى مرونة هذا السلاح اذا كان محمولا على عربـــات مدرعـــة .

ـ ضرورة زيادة الغزارة النارية للاسلحة المضادة للدبابات داخل تشكيلات المشاة الميكانيكية .

هـ ـ في مجال الامور الادارية

ـ اهمية مكننة القوات ، وزيادة عدد الآليات وناقلات الدبابات والصهاريج .

ـ ضرورة اعداد اكثر من طريق بين اماكن تجمـــع القـــوات العراقية في زمن السلم ونقاط الصدام المحتملة مع اعـــداء الامة العربية ؛ وتدعيم هذه الطرقات بشبكة سكك حديديـــة ذات توصيلات فرعية تسمح بمتابعة الحركة رغم القصـــف الجوي لبعض اجزاء الشبكة .

ـ اهمية اعداد المنظومات الادارية على الطـــرق ، وتكديـــس

المؤن والذخائر والوقود وقطع الغيار في البلدان العربية المجاورة لبؤرة الصدام الرئيسية « اسرائيل » .

— اهمية حفر آبار عديدة على طريق الصحراوية بغداد — دمشق . واعداد هذه الآبار للاستخدام في حالة قيام العدو بتلويث مصادر المياه الموجودة كيماويا او جرثوميا .

★★★

ويبقى اهم الدروس واكثرها الحاحا ، درس يتعلق بالوحدة العربية ، او الوحدة العسكرية العربية كحد ادنى للتنسيق . لانها الوسيلة الاولى لحشد طاقات الامة العربية ضد العدو المشترك ، ووضع الخطط اللازمة لمجابهته على كافة الاصعدة . وعندما تتحقق هذه الخطوة (على المستوى السياسي) ، تصبح كل المسائل العسكرية في مجال الاعداد والتنفيذ مسائل عادية يمكن حلها ، وتغدو القوات المسلحة العربية في وضع يسمح لها بخدمة اغراض السياسة .

الملاحق

(الملحــــق ١)

نص قرار مجلس الامن

رقم ٢٤٢ تاريخ ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٧

ان مجلس الامــــن .. اذ يعبــــر عن قلقه المستمر للموقف الخطير في الشرق الاوسط ..

ـــ يؤكد عدم شرعية الاستيلاء على الاراضي عـــن طريق الحرب ، والحاجة الى سلام عادل ودائم تستطيع ان تعيش فيه كل دولة في المنطقة .

ـــ ويؤكد ايضا أن جميع الدول الاعضاء عندما قبلت ميثاق الامم المتحدة قد التزمت بالتصرف وفقا للمادة الثانية منه .

١ ـــ يعلن ان تطبيق مبادىء الميثاق يتطلب اقامة سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط وهذا يقتضي تطبيق المبداين التاليين :

أ ـــ انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي (*) التي احتلتها في النزاع الاخير .

ب ـــ ان تنهي كل دولة حالة الحرب ، وان تحتـــرم وتقر الاستقلال والسيادة الاقليمية والاستقلال السيـــاسي لكل دولة

---

* ـــ او من اراض حسب اختلاف النصين الانكليزية والفرنسي .

في المنطقة وحقها في ان تعيش في سلام في نطاق حدود مأمونة ومعترف بها متحررة من اعمال القوه او التهديد بها .

٢ ـ ويؤكد المجلس الحاجة الى :

ا ـ ضمان حرية الملاحة في الممرات الدولية في المنطقة .

ب ـ تحقيق تسوية عاجلة لمشكلة اللاجئين .

ج ـ ضمان حدود كل دولة في المنطقة واستقلالها السياسي عن طريق اجراءات من بينها انشاء مناطق منزوعة السلاح .

٣ ـ يطلب من السكرتير العام ان يعين ممثلا خاصا الى الشرق الاوسط لاقامة اتصالات مع الدول المعنية بهدف المساعدة في الجهود للوصول الى تسوية سلمية ومقبولة على اساس النصوص والمبادىء الواردة في هذا القرار .

٤ ـ يطلب من السكرتير العام ان يبلغ المجلس بمدى تقدم جهود المبعوث الخاص في اقرب وقت ممكن .

(الملحـــق ٢)

المبادرة الامريكية ـ او مشروع روجرز

نص رسالة وزير الخارجية الاميركية ويليام روجرز الى وزير الخارجية المصري محمود رياض (١٩/٦/١٩٧٠)

عزيزي السيد / وزير الخارجية ـ

لقد اطلعت بعناية على تصريح الرئيس جمال عبد الناصر بتاريخ اول مايو وما ادليتم به مـــن ملاحظات بعد ذلك للمستر بيرجيس (المشرف علـــى شؤون الرعايـــا الامريكيين في القاهرة والملحق بالسفارة الاسبانية) ، كما قــدم الى المستر سيسكو (مساعد وزير الخارجية الامريكيـــة لشؤون الشرق الاوسط ، تقريرا كاملا عن الاحاديث التـــي اجراها مع الرئيس جمال عبد الناصر معكم ، وقد قمنا بالتفكير جديا فيمـــا يمكن عمله بالنسبة للوضع في الشرق الاوسط .

انني اقر بان الوضع قد بلغ نقطة خطيرة واعتقـــد انه من مصلحتنا المشتركة ان تحفظ الولايات المتحدة وتنمـــي علاقات صداقة مع كل شعوب ودول المنطقة وتأمل في توضيح ان ذلـــك يمكن تحقيقه ونحن على استعداد للقيام بدورنا فيه . اننا ننظر للاطراف الاخرى المعنية ـ وبصفة خاصة لحكومتكم التي يقع عليها دور بالغ الاهمية ـ على ان تتحرك معنـــا لانتهاز هـــذه الفرصة ، فاذا ضاعت هذه الفرصة فاننا سنعاني جميعـــا من

النتائج وسنشعر حقا بالاسف على ذلك ، ومن خلال هذه الروح ، فانني اناشد حكومتكم أن تدرس بعناية الافكار التي سوف اعرضها فيما يلي :

اننا نهتم بالغ الاهتمام بالسلام الدائم ، ونود أن نساعد الاطراف المعنية للتوصل الى هذا السلام .

لقد قدمنا مقترحات جديدة وعملية من اجل ذلك ، كما قدمنا النصح لكافة الاطراف بالحاجة الى قبول حل معقول ، ولضرورة خلق الجو الذي يصبح السلام فيه ممكنا ، ونقصد بهذه النقطة الاخيرة ، تقليل حدة التوتر من ناحية ، وتوضيح المواقف من ناحية اخرى ، حتى تتوفر للعرب وللاسرائيليين بعض الثقة في ان ما سيتم الانتهاء اليه سوف يحفظ لهم مصالحهم الاساسية .

وفي راينا ان الوسيلة الاكثر فعالية للتوصل الى تسوية تكون بأن تبدأ الاطراف في العمل تحت اشراف السفير يارنج (المبعوث الخاص للسكرتير العام للامم المتحدة) ، للتوصل الى الخطوات التفصيلية اللازمة لتنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ .

لقد قال وزير الخارجية الاسرائيلي ابا ايبان اخيرا ، ان اسرائيل على استعداد لتقديم تنازلات عندما تبدأ المحادثات وفي نفس الوقت ، فان المشاركة المصرية في مثل هذه المحادثات (مع السفير يارنج) ستؤدي بدرجة كبيرة الى التغلب على الشك الاسرائيلي في ان حكومتكم تسعى بالفعل للتوصل الى سلام .

انني ادرك موقفكم بالنسبة للمفاوضات المباشرة ، وقد اوضحنا منذ البداية اننا لا نقترح وضع مثل هذه الترتيبات موضع التنفيذ ، الآن ، وان كنا نعتقد — ويتوقف ذلك على التقدم الذي يحرز في المناقشات — ان الاطراف قد يجدون من الضروري أن يتقابلوا في مرحلة ما اذا كان السلام سيعود الى منطقة الشرق الاوسط .

ومع مراعاة هذه الافكـــار فان الولايـــات المتحدة تقدم بالمقترحات التالية لتقوم الجمهورية العربية المتحدة بدراستها :

أ ــ ان توافق كـــل من اسرائيل وال ج.ع.م على العودة الى وقف اطلاق النار ولو لفترة محدودة (٣ شهور) .

ب ــ ان توافق الاطراف المعنية على التصريح التالـــي على اساس ان يصدره السفير يارنج في شكل تقـــرير الى السكرتير العام يوثانت .

ابلغتني الجمهورية العربية المتحدة والاردن واسرائيل انها توافق على :

أ ــ انها بعد ان قبلت وابدت رغبتها في تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ بكل اجزائه فانها سوف تعـــين ممثلين لهـــا في المناقشـات التي تعقد تحت اشرافي طبقـــا للاجـــراءات والمكان والزمان الذي قد اوصي به مع الاخذ في الاعتبار ، كلما كان ذلك مناسبا ، ما يفضله الاطراف بالنسبة لاسلوب الاجراءات وبالنسبة للتجارب السابقة بينهم .

ب ــ أن الهدف من المناقشات المشار اليها عالية هو التوصل الى اتفاق حول اقامة السلام العادل والدائم بينهم مستنداً الى :

١ ــ الاقرار من جانب الاطراف بسيادة وسلامة الاراضي والاستقلال السياسي (وفـــق نص قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ بتاريخ ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧) .

٢ ــ الانســحاب الاسرائيلي من الاراضي التي احتلت خلال نزاع عام ١٩٦٧ وذلك طبقا لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ .

ج ــ وانه لتسهيل مهمتي للعمل من اجل التوصل الى حل كما تضمن قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ فان الاطراف ستحتـــرم

بكل دقة — ابتداء من اول يوليو حتى اول اكتوبر على الاقل — قرارات مجلس الامن الخاصة بوقف اطلاق النار .

اننا نأمل ان يلقى هذا الاقتراح قبولا من الجمهورية العربية المتحدة كما نأمل في الحصول على موافقة اسرائيل والى حين ذلك فانني واثق انكم تشاركونني الراي لبذل كل الجهود من اجل الاحتفاظ بسرية هذه المقترحات حتى لا تؤثر على احتمالات قبولها .

وانني اوجه رسالة مماثلة الى السيد / الرفاعي وآمل ان انلقى ردكم في اقرب فرصة .

مع اطيب التمنيات .

المخلص
ويليام ب. روجرز

(الملحـــق ٢)

نص بيان مجلس قيادة الثورة حول اعادة العلاقات الدبلوماسية مع ايران .

ان المعركة التي تخوضها الامة العربية اليـــوم .. ضد العدو الامبريالي الصهيوني هي اشرف المعارك .. وهي القضية الاولى التي تتقدم بمحتواها التحرري ، وضمن هذه المرحلة كل الاعتبارات الاخرى ولما كان العراق يتحمل مسؤولية قومية كبرى في المساهمة الفعالة ، وبكل طاقاته ، في هذه المعركة فانه يتوجه الى الجارة ايران بالدعوة الى اعادة علائق حسن الجوار والتعاون وحـــل المشكلات القائمة وفق روح الجيرة وروح الروابط الاسلامية التي تجمع بين الشعبين العراقي والايراني ومصالحهما المستقبلية .

لقد كان للعراق موقفه المبدئي الواضح تجاه المشكلات الناشئة مع الجارة ايران والتي قامت في ظروف خاصة .. وقد استند العراق في ذلك الموقف والاعتبارات الناشئة عنه ـ الى اسس السيادة والعلائق الدولية .

وقد شرح العراق موقفـــه واكده للمسؤولين الايرانيين في اللقاءات المباشرة وفي جميع المناسبات الاخرى .

ويتطلب الظرف الراهن الذي تمر به الامة العربية اليوم والمهمات الكبيرة التي تقع علـــى عاتـــق العراق بذل كل الجهود الايجابية الممكنة مع الجارة ايران بهدف حـــل المشكلات القائمة

معها والانصراف التام الى حشد كــل طاقات العراق وزجها في المعركة القومية الكبرى .

واستنادا الى هذه النظرة القومية المبدئية وانطلاقا من روح العلائق التاريخية بين شعبنا العراقي والعربي وبين الشـعـب الايراني ومن الروابط الاسلامية الوشيجة التي تربطهما قرر مجلس قيادة الثورة ..

١ ـ اعادة العلائق الدبلوماسية مع حكومة ايران تعبيرا عن حسن النية وعن الرغبة في التوصل الى حل سريع للمشكلات القائمة بين البلدين .

٢ ـ دعوة الحكومة الايرانية الى التفاوض حول المشكلات القائمة بين العراق وايران بما يضمن مصالح وحقوق وسيادة البلدين الاسلاميين الجارين ويعزز روابط حسن الجوار بينهمـا وينسجم مع علائقهما التاريخية الوطيدة .

وان الحكومة العراقية على استعداد لارسـال وفد يمثلها لهذا الغرض الى طهران كما انها على استعداد لاستقبال وفد ايراني في بغداد .

واننا نامل بكل ثقة ان تستجيب الجـارة ايران وبشكل سريع لهذه المبادرة الاخويــة .. كمـا ندعو الاقطار العربية والدول الاسلامية الشقيقـة وبخاصة المجـاورة للعراق وايران والدول الصديقة الى بذل المساعي الحميدة في هذا الاتجاه .

التوقيـــع

مجلس قيادة الثورة

١٩٧٣/١٠/٧

(الملحـــق ٤)

قرار مجلس قيادة الثورة بتاميم حصة امريكا من شركة نفط البصـــرة

ايها الشعب العراقي العظيم ،

يا جماهير امتنا العربية المجيدة ،

ان العدوان الصهيوني على ارضنا وامتنا العربية قد تام بالاساس لحماية المصالح الامبرياليـــة وقـــد دعمت الامبريالية الامريكية الكيان الصهيوني بالسلاح والمال والمساندة السياسية لكي يكون حارسا لمصالحها في المنطقة وآداه للعدوان علـــى قوى الثورة والقوى العربية المناضلة لتصفية تلك المصالح . وقـــد اكدت الثورة في القطر العراقي وفي جميع المناسبات الارتباط الوثيق بين المصالح الامبريالية وبين قدرة العدو الصهيوني واستمراره على العدوان ودعت الى استخدام كل الاسلحة العربية الفعـــالة في النضـــال ضد العدو الامبريالي الصهيوني وفي مقدمتها سلاح النفط باعتباره سلاحا استراتيجيا فعالا في شل قدرة العدو الامبريالي والصهيوني . وكان قرار الثوره في الاول من حزيران ١٩٧٢ الخالد تاكيدا علميا وثوريا لهذه النظرة وتطبيقا جذريا وشجاعا لشعار استخدام سلاح النفط في المعـــركة القومية ، واليوم اذ يتصاعد العدوان الامريكي الصهيوني على الامة العربية وانطلاقا من التزام الثورة في القطر العراقي باستخدام سلاح البترول الى جانب القدرة العسكرية المتاحة ضد العدوان الصهيوني الامبريالي الامريكي ، فقد قرر مجلس قيادة الثورة اصدار القانون رقم (٧٠) لسنة ١٩٧٣

بتأميم الحصة الشائعة لشركتي ستاندرد اويل نيوجرسي (اكسون) وموبيل اويل كوريشن الامريكيتين في شركة نفط البصرة المحدودة .

ايها المواطنون .. يا جماهير امتنا الباسلة .. اليوم وقد وصل العدوان الامبريالي والصهيوني درجة خطيرة من التصاعد وحيث تقاتل قواتنا العربية في الجبهتين المصرية والسورية العدو الصهيوني صنيعة الامبريالية الامريكية وآداتها في التآمر والعدوان على امتنا . ندعو كل الاقطار العربيـــة في كل مكان من ارض الوطن الى ضرب المصالح الامريكيـــة وتصفيتهـــا تصفية نهائية وتأميم مصالحها البتروليـــة بصورة خاصة عقابـــا لمن يـــساند المعتدي الصهيوني في عدوانه ودعما فعالا للمعركة القومية كما ندعو كل الاقطار العربية الى وقف تصدير النفط الى الولايات المتحدة الامريكية والى كل دولة تساند العدو الصهيوني وندعو الجماهير العربية وقواها الثورية المناضلة الى التصدي الحازم لكل من يوفر للعدو الامبريالي الامريكي طاقة العدوان واسباب الحياه والى امام .

١٩٧٣/١٠/٧

(الملحق ه)

قرار مجلس قيادة الثورة بتأميم حصة هولندا من شركة نفط البصرة

ايها المواطنون :

تاكيدا للالتزام القومي المبدئي لثورة السابع عشر من تموز . ولما كنا قد اعلنا مرار اننا لم نسمح لاية جهة تتمادى في مساندة طغيان العدو الصهيوني واغتصابه حقوقنا بأن تستفيد من خيرات هذه الامة ، ولما كنا قد عاقبنا الولايات المتحده الامريكية على موقفها العدائي السافر بتأميم حصتها في شركة نفط البصرة وبالنظر للمواقف العدائية السافرة التي اتخذتها هولندا من الامة العربية واصرارها على مساندة عدونا المغتصب مستهترة بأماني شعبنا وحقوقه المشروعة ومبادىء العدل والحرية في العالم قرر مجلس قيادة الثوره تأميم حصة هولندا في شركة نفط البصرة عقابا لها على موقفها العدائي من امتنا ونضال شعبنا .

١٩٧٣/١٠/٢١

(الملحق ٦)

بيان صادر عن الاجتماع الطارىء للمؤتمر القطري الثامن

عقد المؤتمر القطري الثامن لحزب البعث العربي الاشتراكي في الساعة العاشرة من صباح يوم ١٩٧٣/١٠/٨ ، اجتماعا طارئا تراسه الرفيق احمد حسن البكر امين سر القيادة القطرية وحضره الرفيق شبلي العيسمي الامين العام المساعد للحزب واعضاء القيادتين القومية والقطرية .

وقدم الرفيق امين سر القطر باسم القيادة القطرية للحزب . تقريرا حول الاوضاع الراهنة في المنطقة العربية والتطورات الاخيرة حول القرارات والتدابير السريعة التي اتخذتها القيادة لمواجهة الموقف وتأمين مشاركة القطر العراقي الشاملة وبجميع الوسائل الفعالة في المعركة القومية ضد العدو الامبريالي الصهيوني .

كما شرح الرفيق أمين سر القطر الدوافع والمبررات القومية التي دعت قيادة الحزب الى اتخاذ القرار الخاص باعادة العلائق الدبلوماسية مع ايران والتفاوض معها لحل المشكلات القائمة بروح ودية في سبيل توفير كل قدرات القطر العراقي للمشاركة في المعركة والانصراف التام لها بما ينسجم مع مبادىء حزب البعث العربي الاشتراكي ومسؤولياته القومية الكبيرة ، ودوره الطليعي في حركة الثورة العربية وفي النضال ضد العدو الامبريالي الصهيوني .

كما تحدث الرفيق امين سر القطر عن الاجتماعات التي عقدها

مجلس قيادة الثورة واللجنة العليا للجبهة الوطنية والقومية التقدمية ومجلس الوزراء لهذا الغرض .

وقد ناقش الرفاق اعضاء المؤتمر الموقف الراهن والتدابير التي اتخذتها القيادة .. وقرر المؤتمر بالاجماع الموافقة على الاجراءات والتدابير التي اتخذتها القيادة ، واكد مسؤولية الحزب والنظام الثوري في القطر العراقي الكبيرة تجاه المعركة القومية وضرورة مشاركتها الكاملة والفعالة والطليعية فيها ، والمضي قدماً في النضال لتحقيق التحرير الكامل للأرض العربية المغتصبة ورفض الحلول والتسويات التي تحاول أن تفرضها على الامة ، الدول الامبريالية والاوساط الرجعية المتخاذلة .

وقد اكد المؤتمر القطري للحزب ، ان هذه المعركة التي تنتظرها الامة منذ اكثر من ست سنوات ، تتطلب حشد كل طاقات الامة العربية .. بترصين الجبهات الداخلية في كل قطر - وتصعيد التضامن بين الاقطار العربية وبخاصة المحاربة منها ، الى اعلى درجات التنسيق - وتوفير كل الفرص اللازمة لمشاركة الجماهير مشاركة فعالة في قضيتها المصيرية .

كما اثنى المؤتمر على قرار القيادة بتأميم حصة الشركات الاميركية في شركة نفط البصرة - واكد الاهمية البالغة لاستخدام سلاح النفط في المعركة - ودعا الجماهير العربية والاحزاب والمنظمات الى تشديد النضال الحازم في الوطن العربي بأسره لزج سلاح النفط في المعركة - وقطع الطريق على اية محاولة للتراجع عن استخدامه او لتضليل الجماهير في هذا الشأن .

وحيا المؤتمر بحرارة قواتنا العسكرية الباسلة التي تتحمل مسؤولياتها القومية المقدسة في هذا الظرف الدقيق من حياة الامة . كما حيا القوات العربية المحاربة في الجبهتين الغربية والشمالية وحيا بحرارة قوات المقاومة الفلسطينية التي تناضل ببسالة ضد العدو الصهيوني . ودعا الى افساح المجال الكامل لها وفتح كل الجبهات امامها لتأدية دورها النضالي العسكري .

وقد دام الاجتماع زهاء الساعتين ..

(الملـــــحق ٧)

قرار مجلس الامن رقم ٣٣٨ بتاريخ ٢٢/١٠/١٩٧٣

« ان مجلس الامن :

اولا — يدعو كل اطراف القتال الحالي الى وقف اطلاق النار والى انهاء كل نشـاط عسـكري فورا على ان يتم ذلك في وقت لا يتجاوز ١٢ سـاعة بعد تبني هذا القرار وفي المواقع التي تحتلها هذه الاطراف الآن .

ثانيا — يدعو الاطراف المعنية الى البدء مباشـرة بعد وقف اطلاق النار بتنفيذ قرار مجلس الامن الرقم ٢٤٢ بكل فقراته .

ثالثا — يقرر وجوب بدء مفاوضـات فورية في الوقت ذاته الذي يتم فيه وقف اطلاق النار وتحت اشراف مناســب بغية تحقيق سـلام دائم وعادل في الشرق الاوسـط » .

(الملـــحق ٨)

نص تصريح الناطق الرسمي عن الاجتماع المشترك للقيادتين القومية والقطرية ومجلـس قيادة الثورة

١ ــ ان العراق لم يكن طرفا في اتفاقيات الهدنة لعام ١٩٤٨ كما انه لم يوافق على قرار وقف اطلاق النار لعام ١٩٦٧ ، لذلك وانسجاما مع سياسة حزبنا حزب البعث العربي الاشتراكي في رفض التفاوض والصلح مع الكيان الصهيوني المغتصب والاعتراف به فاننا لا نعتبر انفسنا طرفا في اي قرار أو اجراء او تدبير من هذا القبيل اتخذ او يتخذ في المستقبل .

٢ ــ اننا نعلن أن العراق لم يكن طرفا في المشاورات التي سبقت اتخاذ قرار وقف اطلاق النار .. وقد علمنا به بعد اتخاذه لذلك فقد وجدنا ان المصلحة تقضي آجراء اتصالات فورية مع الاشقاء في بعض الدول العربية للتعرف على مواقفهم الحقيقية من هذا الموضوع تفصيليا وتدارس الموقف بما يخدم قضية نضالنا القومي التحرري العادل ضد الكيان الصهيوني واجراء اتصالات مماثلة مع الاتحاد السوفييتي ايضا على اننا سنحتفظ بحقنا الكامل في توضيح رأينا وموقفنا التفصيلي لجماهير امتنا العربية في الوقت المناسب ذلك الرأي الذي يستند بالاساس الى الايمان المطلق بحق شعبنا العربي في سورية ومصر في ارضه وبحق شعبنا العربي الفلسطيني في ارضه .

وقد اكدنا ايماننا هذا بالمشاركة الشاملة وغير المحدودة في

المعركة الدائرة مع العدو الصهيوني الامبريالي منذ ١٩٧٣/١٠/٦ من منطلق قومي وفي سبيل هدف قومي تحرري عزيز هو تطهير الارض العربية من الاغتصاب الصهيوني واننا سنكون اوفياء لمبادئنا وشعبنا في اعلان الحقيقة وبكامل تفاصيلها للجماهير بغض النظر عن وجهة نظر الاخرين بها .

١٩٧٣/١٠/٢٢

(الملــــحق ٩)

نص بيان القيادتين القومية والقطرية ومجلس قيادة الثورة حول سحب الجيش العراقي من الجبهتين الشمالية والغربية.

ايها المواطنون ..

يا جماهير الامة العربية ..

في الســادس من تشرين الاول ١٩٧٣ سمعنا بنبا اندلاع القتال ضد العدو الصهيوني من الاذاعـــــات وعلى الفور عقد اجتماع مشـترك للقيادتين القومية والقطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي ومجلس قيادة الثورة .. كما عقد اجتماع طارىء للجنة العليا للجبهة الوطنية والقومية التقدمية ولمجلس الوزراء .. واتخذ قرار بالمشــاركة في المعركة بكل طاقــــات القطر العراقي العســـكرية والاقتصادية والسياسية .

وعندما اتخذنا قرار المشــاركة في المعركة لم تغب عن اذهاننا التقديرات الدقيقة التي سبق ان اعلناها واكدناها امام الجماهير وفي الاجتماعات العربية الرسمية وانطلقنا في قرارنا هذا من ان نشوب القتال ضد العدو الصهيوني وبصرف النظر عن تقديراتنا حول ما سبقه من مقدمات وما رسم له من آفاق يستلزم مشــاركة العراق الفعالة والشاملة فيه ولم نغفل في حينه ان هناك جهات عربية وظروفا دولية تسعى للوصول الى ما يسمى بــ « الحل السلمي » بهذا الشكل او ذاك بل اننا اخــــذنا هذا الاحتمال بالحسبان وقررنا دخول المعركة آملين ان نعطي لها بقدر ما نستطيع

ابعادها القومية التحررية التي ناضلت من اجلها امتنا اكثر من ربع قرن وقدمت لها الشهداء والتضحيات الغالية .

ولقد اكدنا اثناء خوض غمار القتال ان معركة التحرر العربي لا يمكن الا ان تكون طويلة وصعبة وباهظة التكاليف وانها تحتاج الى اكبر حشد وتنظيم لطاقات الامة العربية باسرها والى مواقف جذرية ضد الامبريالية ومصالحها والى بناء سليم للجبهات الداخلية في كل قطر والى عمل عربي موحد ذي طبيعة وحدودية وابعاد وحدوية .

وكنا نامل ونطمح في اثناء المعركة ان تسير بهذا الاتجاه التحرري القومي الشامل والجذري ومع اننا لم نكن نغفل الحقائق الموضوعية في الصراع بيننا وبين العدو وحقائق الوضع الدولي واحتمالاته فاننا كنا واثقين اشد الثقة من ان احتضان الجماهير العربية للمعركة واسنادها لها بكل طاقاتها الهائلة وما تفرزه المعركة من امكانات وقوى جديدة سواء ما يصدر عن الجماهير وقواها التحررية ام يصدر نتيجة الضغط الشعبي على الانظمة ونتيجة استمرار المعركة يمكن ان يغير الكثير من الظروف ويتيح امكانات غير محدودة للاستمرار في المعركة بالشكل الذي يكرس ابعادها القومية التحررية باعمق شكل ويحقق انتصاراً حاسما واكيدا على العدو الصهيوني وعلى حليفته وسيدته الامبريالية وفي مقدمتها الامبريالية الاميركية ولم نبن تقديراتنا تلك على الآمال فحسب وانما بنيناها على الواقع الملموس الذي اسفرت عنه المعركة منذ ايامها الاولى .. فلقد حدثت في طول الساحة العربية نهضة سريعة شاملة وتدفقت على ساحة المعركة امكانات لم تكن محسوبة من قبل وابدت الجماهير والمقاتلون العرب الشجعان من الصبر والتحمل ما كان يؤمن بالفعل مستلزمات الصمود والاستمرار في المعركة حتى نهاياتها الحاسمة .

لقد دخلنا المعركة بهذه الروح .. وبهذا اليقين .. ولكننا وكما سمعنا بدء القتال من الاذاعات سمعنا بنبأ ايقافه من الاذاعات ايضا .

وبعد ان وافقتا حكومة مصر وسورية على قرار مجلس الامن ووقف اطلاق النار ذلك القرار الذي رفضناه لانه لا يضمن في تقديرنا حقوق امتنا في ارضها المغتصبة وبخاصة حقوق شعب فلسطين العربي في ارضه فاننا نجد ان مهمة قواتنا المسلحة التي ارسلت الى الجبهتين الشمالية والغربية قد توقفت ولم يعد لها في الجبهتين من واجب قومي قتالي تؤديه اضافة الى ما يثيره تواجد قواتنا المسلحة هناك من مسائل عسكرية وامنية دقيقة وخطرة .. لذا تقرر سحب قواتنا المسلحة المتواجدة في الجبهتين لتعود الى تأدية واجبها الوطني في حماية استقلال الوطن .. وفي بناء المجتمع الثوري الجديد وفي التهيؤ لتأدية واجبها القومي من جديد عندما تتوفر لها الظروف الملائمة .

ايها المواطنون .. ان ابناءكم جنود العراق الشجعان ادوا واجبهم القومي بشرف وامانة ونكران ذات .. وقاتلوا بصبر وكفاءة وهمة عالية وثقة وطيدة بالقضية التي يقاتلون من اجلها وبحتمية انتصار هذه القضية ولقد شهد بشجاعتهم واستبسالهم الاعداء قبل الاصدقاء .. لقد رفع هؤلاء الرجال الاحياء منهم والذين استشهدوا في ساحات القتال رفعوا عاليا اسم امتهم وكرامتها فتحية اجلال لهم .. وهنيئا لهم بما نالوه من فخر ومجد .

ايا المواطنون ؛

يا جماهير امتنا العربية .

ان توقف القتال لا يعني ان المقاتلين العرب قد هزموا في المعركة او انهم لم يبلوا فيها بلاء حسنا .. فلقد اثبتت المعركة بشكل قاطع انهم قادرون على الاستمرار .. وقادرون على تحقيق النصر الحاسم لو تهيأت لذلك المستلزمات التي هي من مسؤولية القيادات السياسية والعسكرية العليا .

واذا كان القتال قد توقف الآن فاننا نلمس لمس اليقين ان المقاتلين العرب الشجعان الذين استبسلوا في البر والبحر والجو

قد بنوا بشجاعتهم وصبرهم وكفاءتهم اصلب قاعدة للنصر في المستقبل وغسلوا بدمائهم عار الهزيمة الشائنة واثبتوا انهم جديرون بتاريخهم المجيد فتحية لهم من الامة على ما بذلوه من اجل شرفها وكرامتها ومستقبلها .

يا جماهير الامة العربية ..

ان مستلزمات النصر في معركة التحرير ضد العدو الامبريالي والصهيوني ليست مجهولة .. فلقد شخصتها الجماهير وقواها الثورية منذ زمن بعيد ودعت الى توفيرها بكل قوة ، فالمعركة التي تحقق هدف التحرير الحاسم هي المعركة التي تحشد لها طاقات الامة والتي تبنى في سبيلها الجبهات الداخلية على اساس رصين والتي تستخدم فيها كل اسلحة الامة العسكرية والبشرية والاقتصادية على اوسع نطاق وبشكل صادق وجاد والتي تحتل فيها المقاومة الفلسطينية دورها النضالي الطليعي وهي المعركة الطويلة الصعبة والتي تتطلب صبرا لا حدود له وتضحيات لا حدود لها وعندما لا تتوفر كل هذه الشروط والمستلزمات بشكل جاد وحقيقي فلا بد ان تقف المعركة عند هذا المنعطف او ذاك وهذا ما كان محسوبا ومتوقعا كما ان الظروف والمؤثرات الدولية لم تكن مفاجأة لاحد فهي الاخرى معروفة ومتوقعة ايضا فتجربتنا في النضال ضد العدو الصهيوني وفي توضيح قضيتنا للعالم وكسب تأييده لنا فيها ليست بنت اليوم وانما هي تجربة تمتد عبر اكثر من ربع قرن من الزمن ولقد كانت تلك التجربة كافية لتدل الجميع ومنذ البداية على مدى ما يمكن ان تسفر عنه المستلزمات التي وفروها للمعركة من نتائج .

تحية للمقاتلين العرب الشجعان وللجماهير العربية المناضلة فيما اكدوه من حقائق عن القدرة على خوض النضال وتحمل اعبائه والسير على طريق النصر .. وتحية لجنودنا الشجعان العائدين من ساحة الشرف والطامعين الى العودة الى معركة التحرير من جديد ..

وتحية لجماهير شعبنا وللاحزاب والقوى الوطنية والقومية التقدمية ولجبهتها المناضلة التي امدت جبهة القتال بكل ما تحتاجه من اسناد وجسدت الوحدة الوطنيـــة وكانت ظهيرا قويا للجنود المقاتلين في ساحة المعركة والى امام .

١٩٧٣/١٠/٢٩

مراجع الكتاب

١ ـ حديث مع السيد نائب رئيس الجمهورية العراقية صدام حسين .

٢ ـ احاديث مع ضباط هيئة الاركان العامة العراقية

٣ ـ احاديث مع ضباط هيئة الارتباط العراقية

٤ ـ احاديث مع عدد من الطيارين الذين شاركوا في الحرب على الجبهتين السورية والمصرية .

٥ ـ احاديث مع قائد هيئة السيطرة على السابلة .

٦ ـ احاديث مع معظم قادة التشكيلات الميدانية في الفرقتين المدرعتين ٣ و ٦ ، والوية المشاة الثلاثة (ل مش ٢٠ ، ول جبلي ٥ ، ول قوات خاصة) .

٧ ـ احاديث مع عدد من ضباط الشؤون الادارية في القطعات المشتركة في المعركة .

٨ ـ تعليمات قيادة قطر العراق ، حزب البعث العربي الاشتراكي ، ٦/١٠/١٩٧٣١٠ .

٩ ـ برقيات الخارجية العراقية في شهر تشرين الاول ١٩٧٣ .

١٠ ـ « العودة الى سيناء » ـ حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، الجنرال د.ك. باليت ، لندن ، منشورات كومبتون راسل ، ١٩٧٤ . وقد صدرت ترجمته بالعربية عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر .

١١ ــ « حرب يوم الغفران » ـ حاييم هرتزوغ ـ مترجم عن العبرية في اعداد « يديعوت احرونوت » القسم الخاص بالجولان سبع حلقات ـ من عدد ١٩٧٤/٩/٢٧ حتى عدد ١٩٧٤/١١/٨ .

١٢ ــ « دروس الحرب الرابعة » ـ المقدم الهيثم الايوبي ، مركز الابحاث الفلسطيني ـ ١٩٧٤ ـ بيروت .

١٣ ــ « القوات المدرعة الاسرائيلية عبر اربع حروب » محمود عزمي ، مركز الابحاث الفلسطيني ـ بيروت ـ ١٩٧٥ .

١٤ ــ التقصير « زئيف شيف وآخرون ـ مؤسسة الدراسات الفلسطينية ـ بيروت ـ ١٩٧٤ .

١٥ ــ « دور الجيش العراقي في الحرب الفلسطينية الرابعة » ، مديرية الحركات العسكرية ومديرية التوجيه السياسي في الجيش العراقي ، ١٩٧٤ .

١٦ ــ مجلة « افييشن ويك اند سبايس تكنولوجي » عدد ٥/١٩٧٣/١١ ، مقال باري ميللر « الولايات المتحدة تزود اسرائيل بالاسلحة الموجهة الذكية » .

١٧ ــ حرب رمضان » اللواء الركن البدري وآخرون ، الشركه المتحدة للنشر والتوزيع ـ القاهرة ـ ١٩٧٤ .

١٨ ــ مجلة « بمحانيه » ١٩٧٤/٣/١٣ .

١٩ ــ « هآرتس » ، ١٩٧٣/٨/٢٤ .

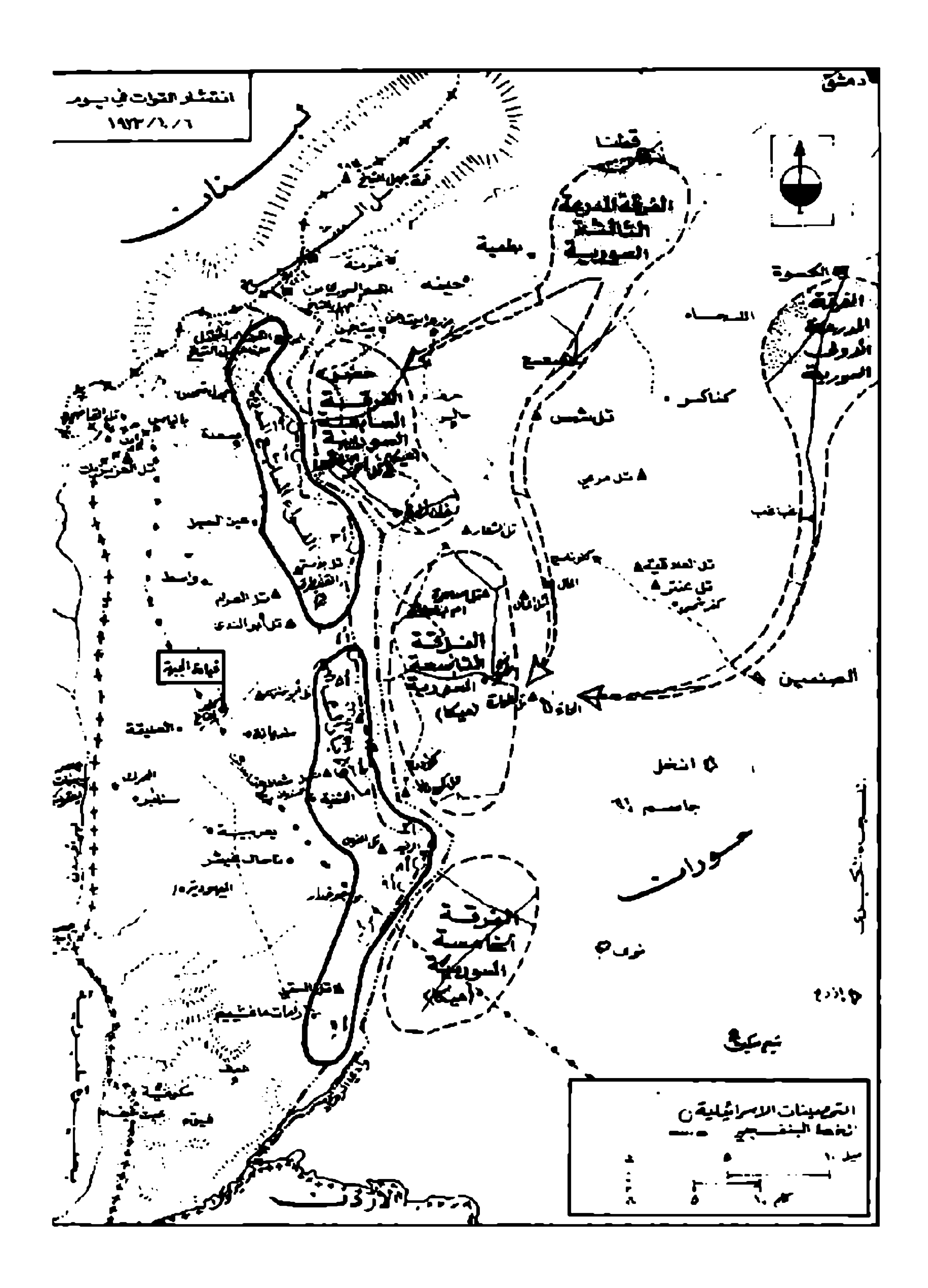
٢٠ ــ « هآرتس » ، ١٩٧٣/١١/٢٠ .

٢١ ــ « معاريف » ، ١٩٧٣/١١/٢٣ .

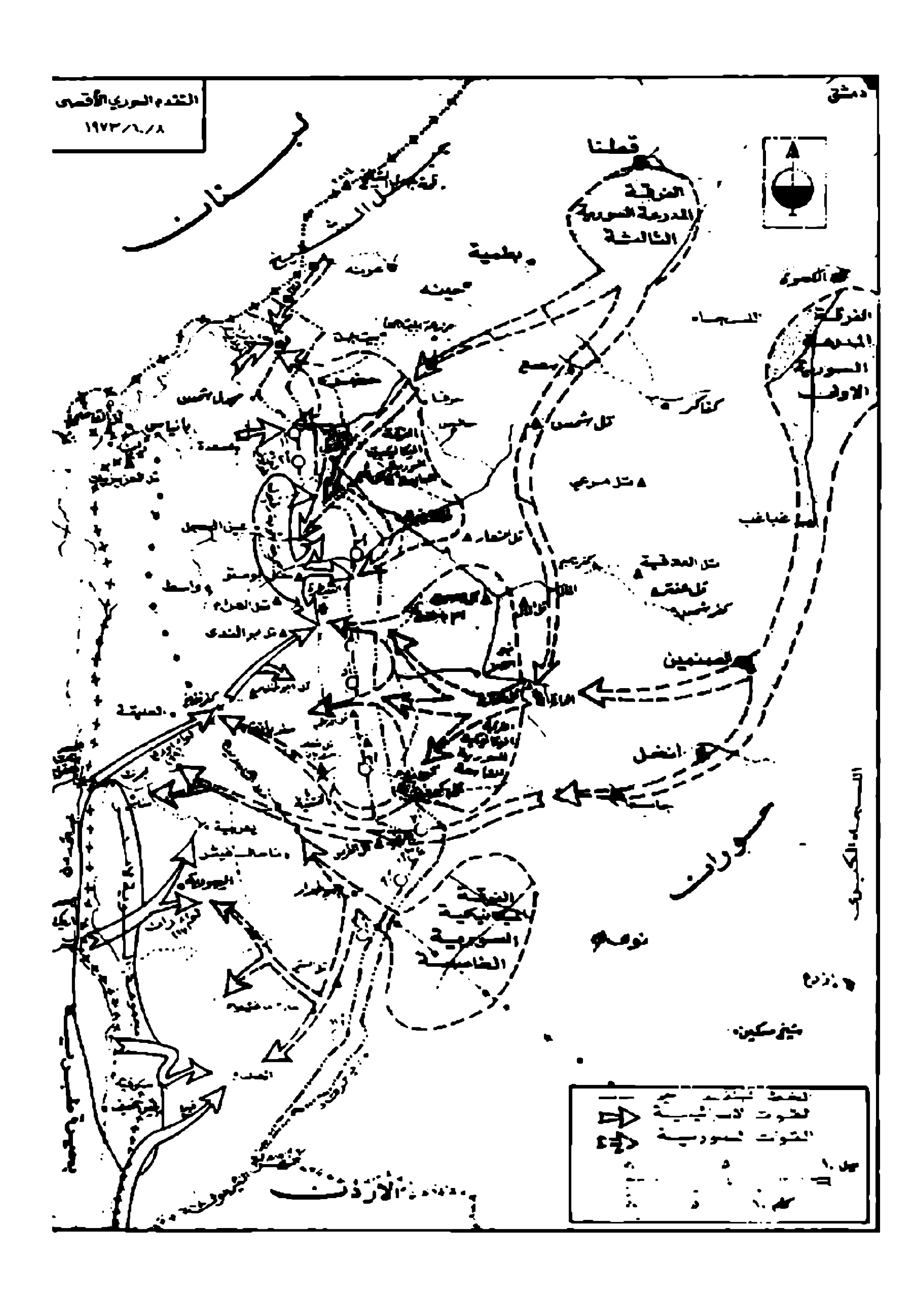
٢٢ ــ « معاريف » ، ١٩٧٢/١/١٤ .

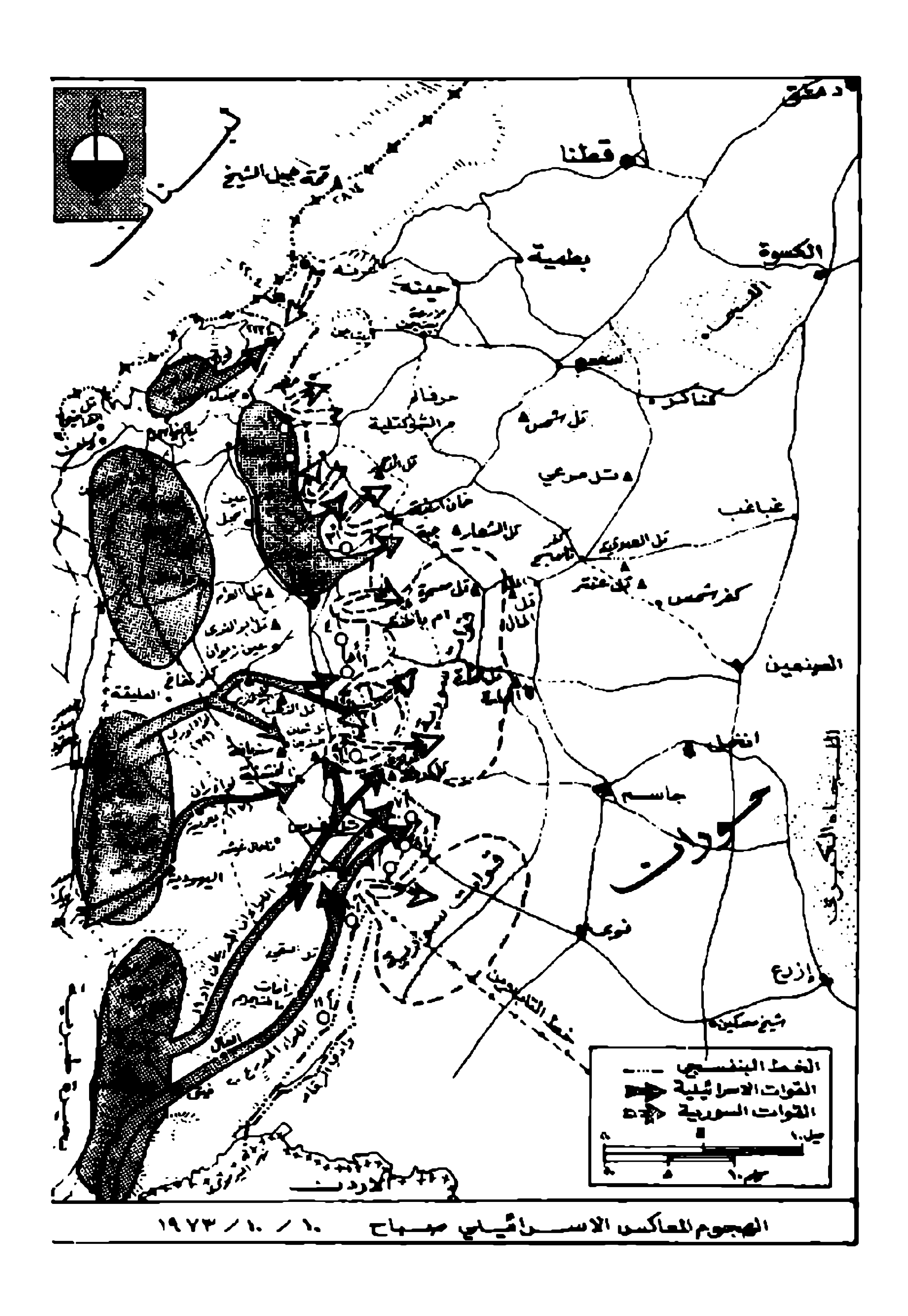
٢٣ ــ « دافار » ، ١٩٧١/٤/١١ .

٢٤ ــ مجموعة من صحيفة « النهار » اللبنانية .

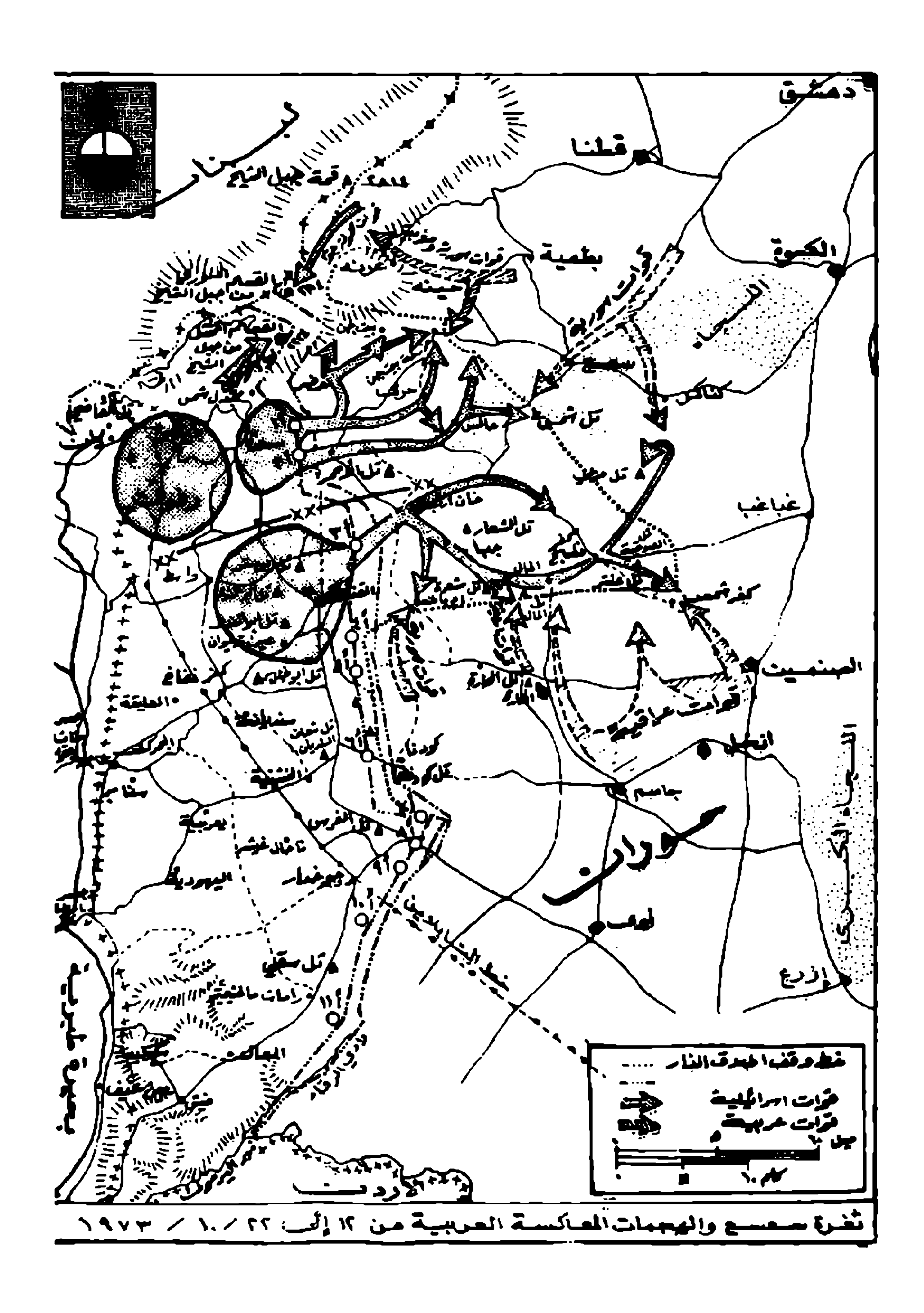


انتشار القوات في يوم
٦/٦/١٩٧٣
لبنان
دمشق
قطنا
الفرقة المدرعة الثالثة السورية
الكسوة
الفرقة المدرعة الأولى السورية
كناكر
تل شمس
الفرقة السابعة السورية
الفرقة التاسعة السورية
الصنمين
انخل
جاسم
حوران
الفرقة الخامسة السورية
نوى
الأردن
التحصينات الإسرائيلية
ميل ١٠
كم ١٠

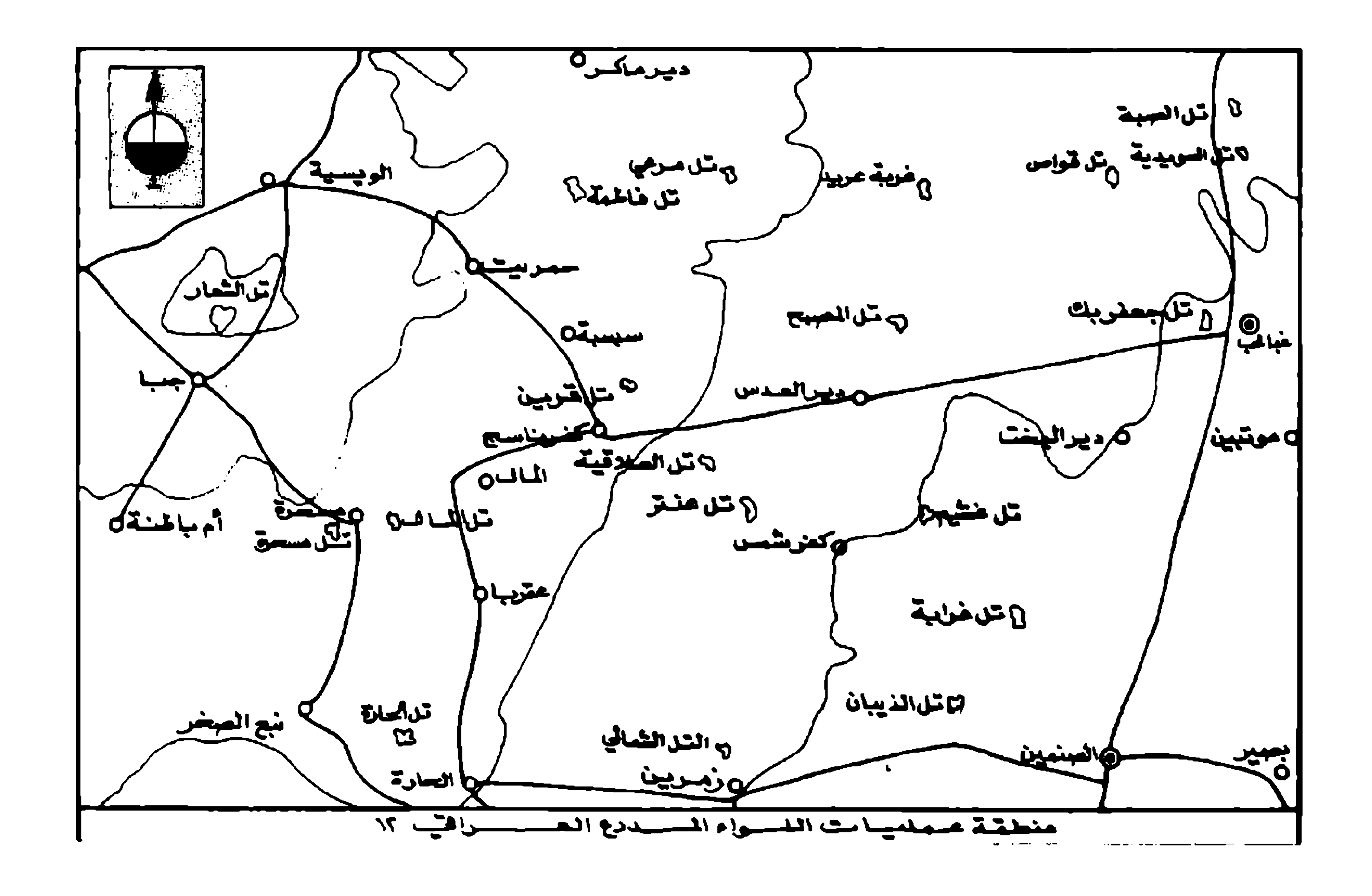

التقدم السوري الأقصى
١٩٧٣/١٠/٨
دمشق
لبنان
قطنا
الفرقة المدرعة السورية الثالثة
الفرقة المدرعة السورية الاولى
تل شمس
كناكر
غباغب
الصنمين
انخل
الأردن



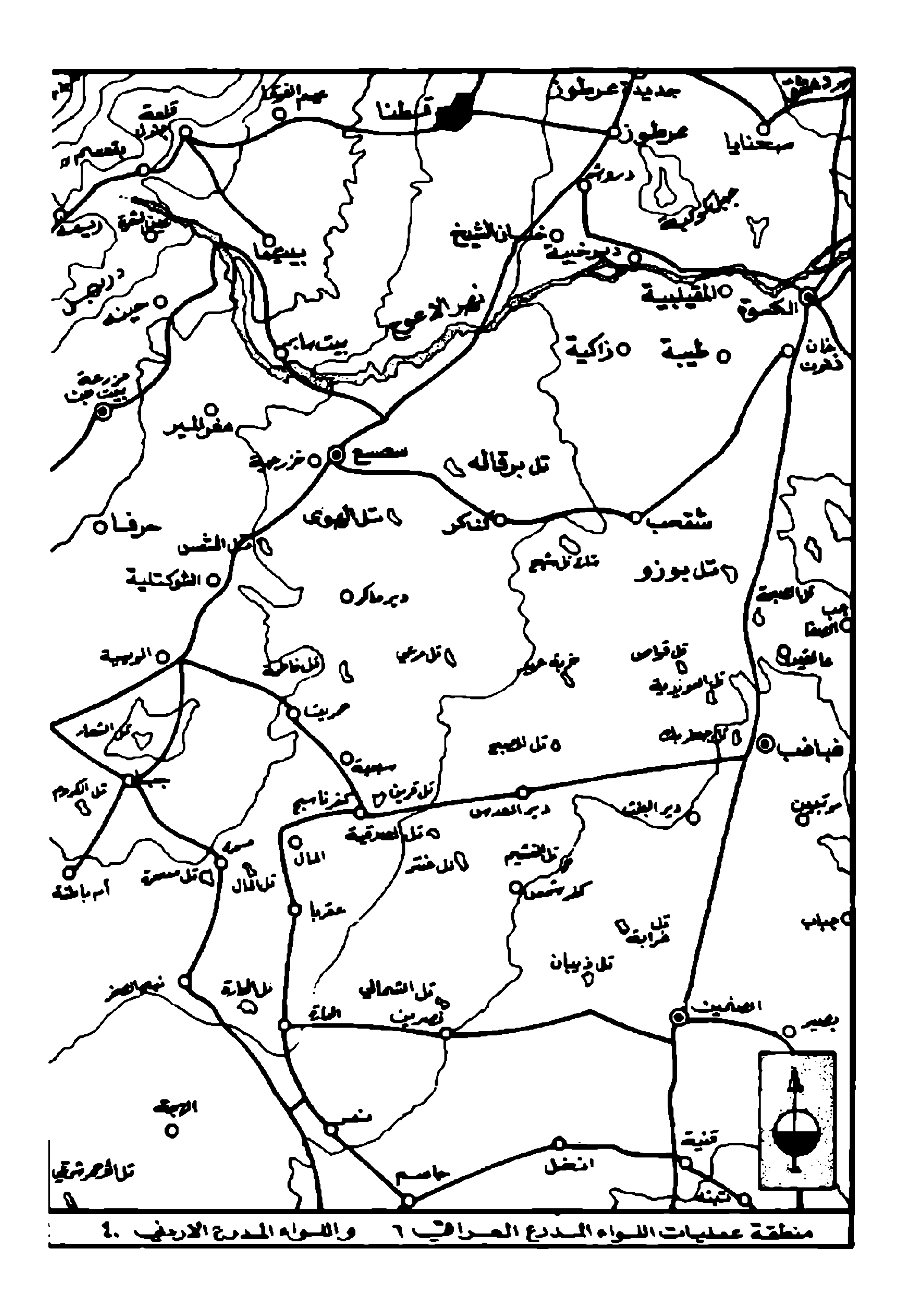
الهجوم المعاكس الاسـرائيلي صبـاح ١٠ / ١٠ / ١٩٧٣



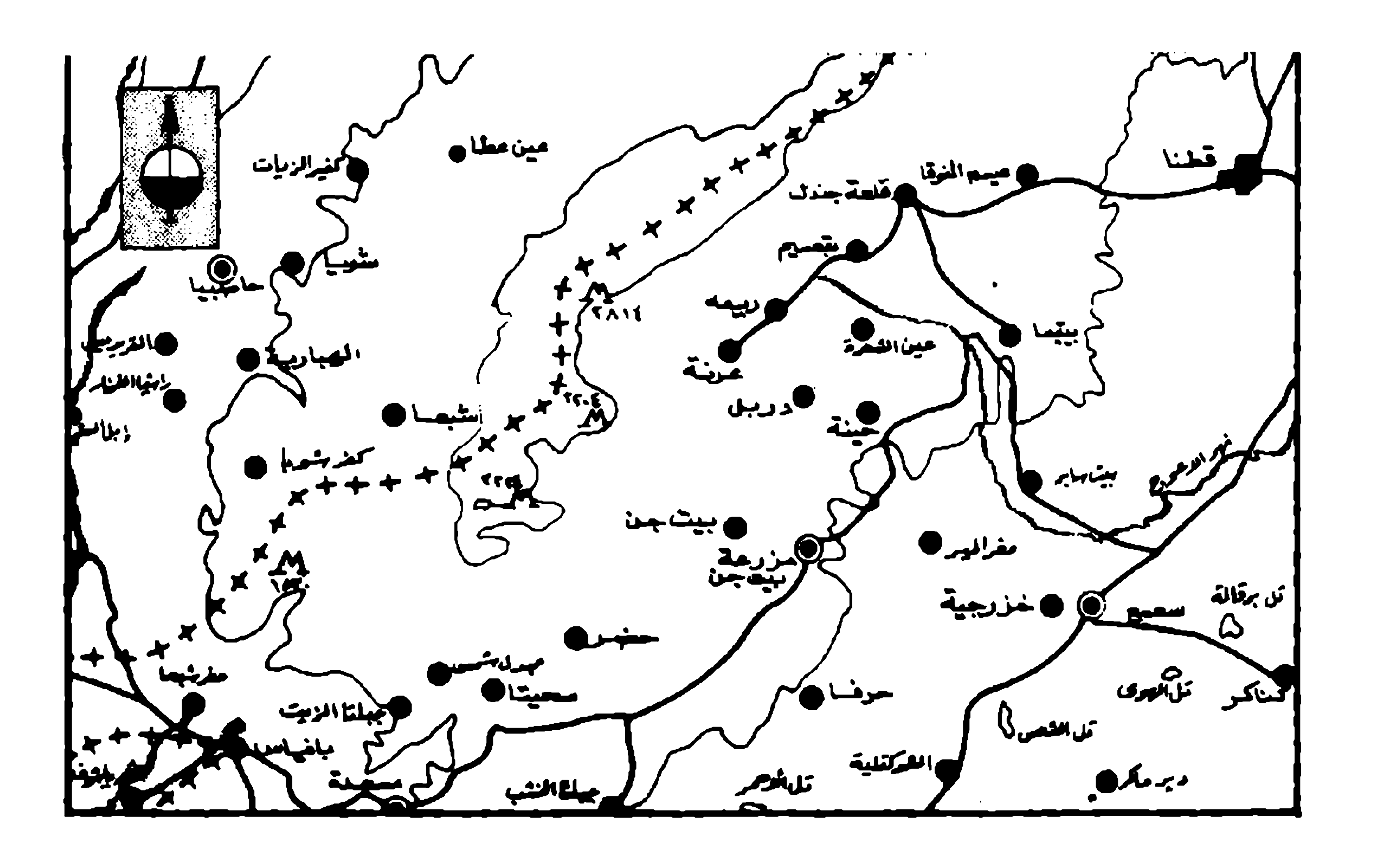
ثغرة سعسع والهجمات المعاكسة العربية من ١٢ إلى ٢٢ / ١٠ / ١٩٧٣



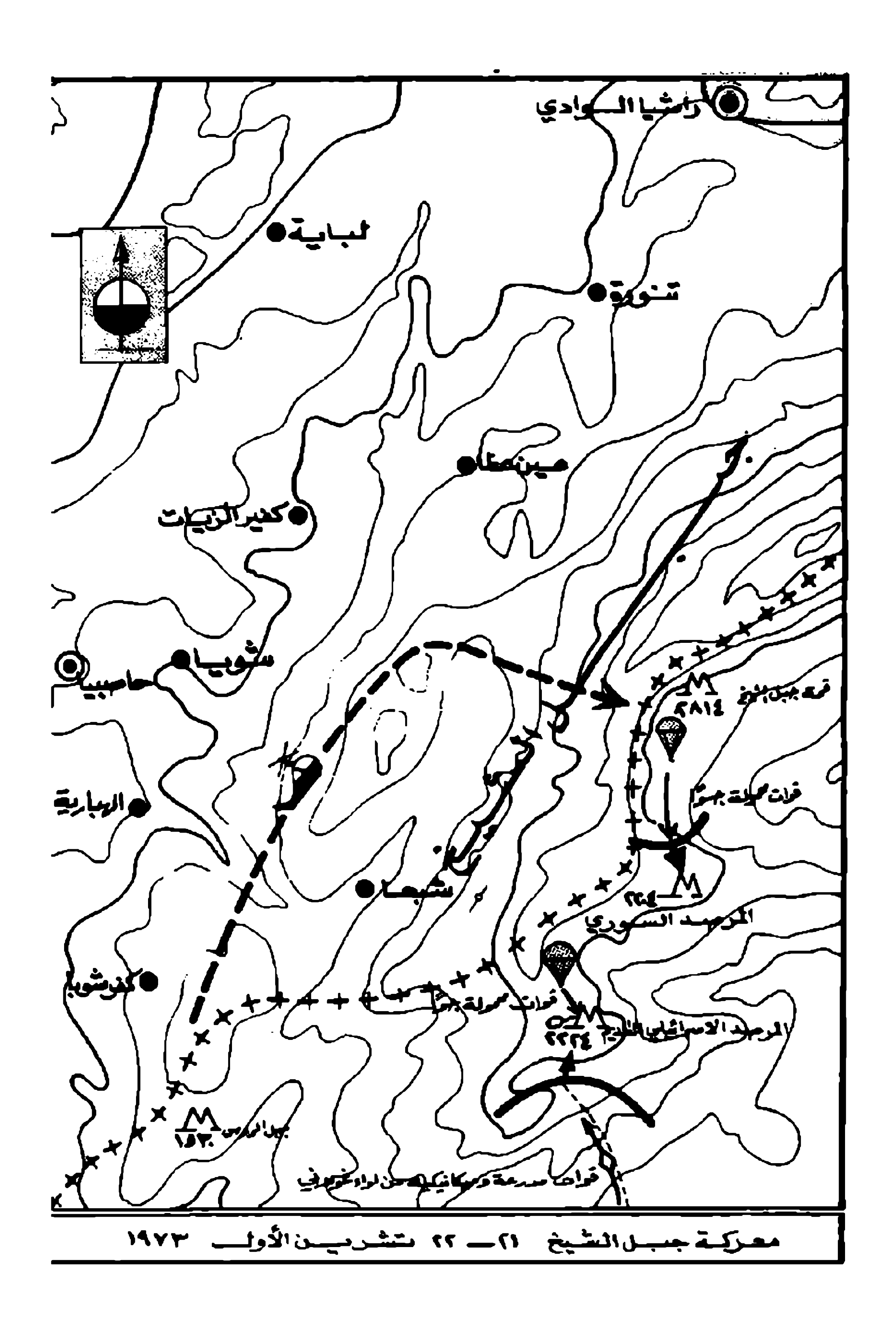
منطقة عمليات اللواء المدرع العراقي ١٢



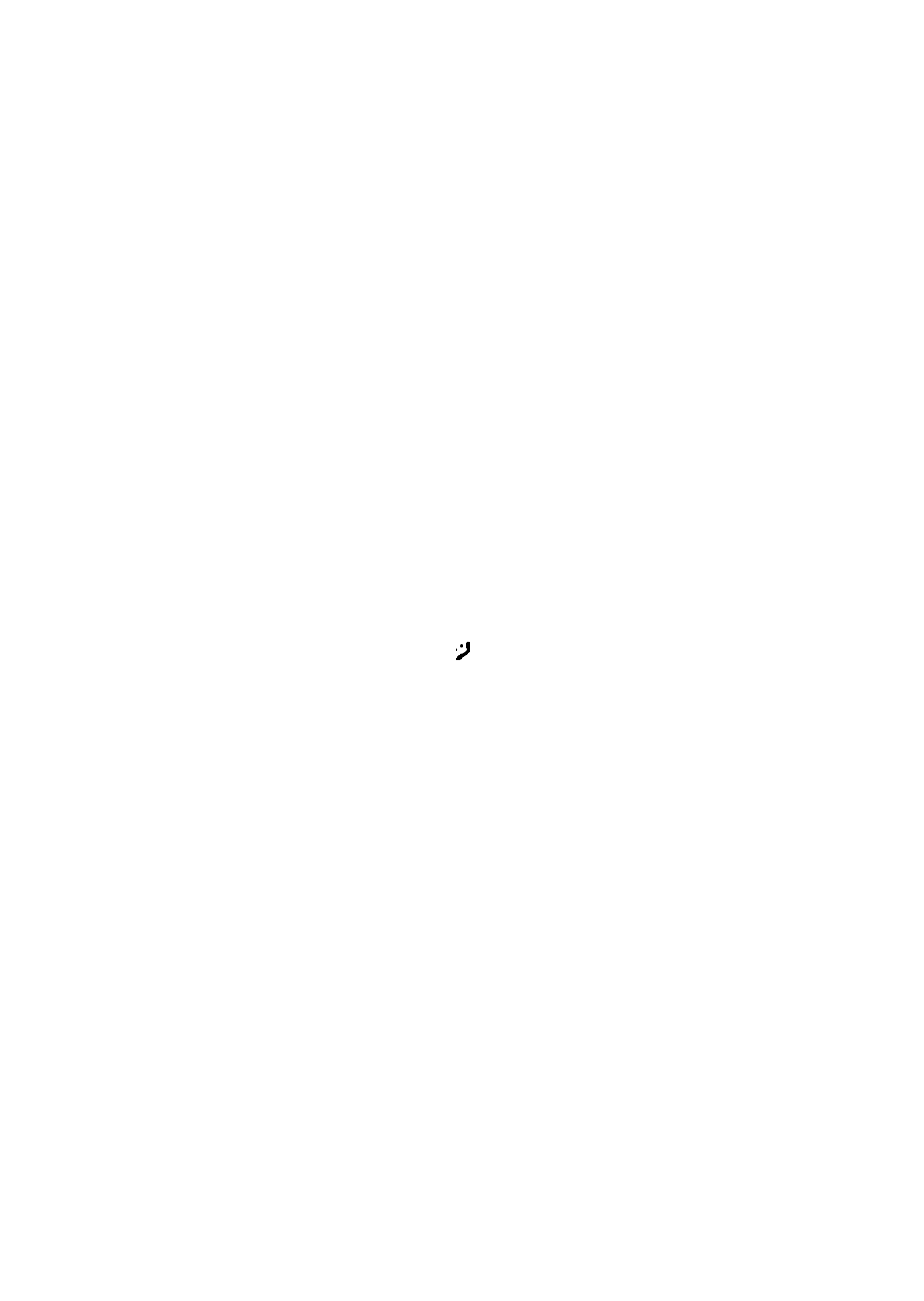
منطقة عمليات اللواء المدرع العراقي ٦ واللواء المدرع الاردني ٤٠



قطنا
عين عطا
كفير الزيات
قلعة جندل
عيسم الفوقا
بقعسم
ريمه
عرنة
بيتيما
عين الشعرة
شويا
حاصبيا
الهبارية
شبعا
كفرشوبا
دربل
حينة
بيت جن
مزرعة بيت جن
مغر المير
خزرجية
سعسع
كناكر
تل برقالة
تل الهوى
تل الشمس
حرفا
حضر
عين الشمس
سحيتا
جبلتا الزيت
باغداس
مسعدة
المقرنطلية
دير ماكر
تل الأحمر
بيت سابر
نهر الأعوج
٢٨١٤
٢٢٠٤
٢٢٩٤



معركة جبل الشيخ ٢١ – ٢٢ تشرين الأول ١٩٧٣



فهرس

هذا الكتاب

تعتبر المشاركة العراقية في حرب تشرين حدثاً مجيداً في تاريخ النضال العربي ومن المشاركات الفريدة التي شهدتها الحروب . فلقد تمت دون تخطيط مسبق على صعيد القتال والشؤون الادارية ، ونفذت بشكل مفاجئ سريع وبمبادرة عراقية بحتة نابعة من وعي القيادة السياسية في العراق بدور القطر العراقي في معركة التحرير والترابط الوثيق بين الأمنين القومي والقطري . ورغم جميع الظروف التي أحاطت بالمشاركة العراقية ، فقد دفع العراق الى المعركة فرقتين مدرعتين وثلاثة ألوية مشاة ، وثلاثة أرباع قواته الجوية ، مجسداً بذلك قومية المعركة.

الثمن ٥ ليرات لبنانية أو ما يعادلها.

المؤسسة العربية للدراسات والنشر